

الجزء ٧ تموز سنة ١٩٢١ م الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

الالقاب الرومانية عند قدماء العرب

يعيرنا بعض الادباء باننا نستعمل بعض الالفاظ الاجنبية في مطاوي مقالاتنا ونبذنا، كالكبتن والميجر والكولونيل واللورد والسر والمر والمسيو والمستر والسنيور الى غيرها ، ونسي هؤلاء الغلاة ان السلف الصالح استعمل مثل هذه الالقاب قبل الاسلام وبعده ، جرياً على عادات أهالي اولئك العصور الخوالي ، واثباتاً لمدعانا هذا ، نذكر للقراء ما اخذه ابناء عدنان ، من القاب الرومان ، يوم كانت الصداقة محكمة العقد بين القومين ، فمن ذلك :

١ الانبراطور

(ويكتبه بعضهم خطأ الامبراطور جرياً على مصطلح الافرنج ، مخالفين فيه مصطلح العرب الذين يكرهون مجاورة الميم للباء ، اذ لا تكاد ترى كلمة واحدة عربية فصيحة على هذا المنحى ، اللهم الا ان تكون لغة عند بعضهم ، ولا نزد على ذلك .) وكان الاقدمون من السلف يستطيلون هذا اللفظ فاحتفظوا منه بالحروف المهمة وقالوا « الهنباط » بقلب الهمزة هاء كما هو لغة بعضهم . قال في تاج العروس الهنباط ، بالفتح ، (اي بفتح اوله وهو الهاء) صاحب الجيش بالرومية . وقد جاء

في حديث حبيب بن مسلمة: اذا نزل المنباط ، ثم قال: هذا (اي في مادة هـ ب ط) ذكره ابن الاثير، وذكره الصاغاني في مادة هـ ب ط، وقلده المصنف (اي الفيروزبادي) والصواب انه بالنون . وقال في مادة هـ ب ط : الهياط بالفتح ملك للروم (وهذا اقرب الى الحقيقة لو لم يخطىء بقوله للروم ، وكان عليه ان يقول ملك الروم، وان كان المنباط في الوقت ذاته صاحب الجيش) نقله الصاغاني هنا ، والصواب انه المنباط بالنون اه .

وفي النهاية لابن الاثير المطبوع في مصر : ضبط الهاء بالضم وهو خطأ اذ هو مخالف لنصوص اللغويين كلهم اجمعين .

وكأن اهل القرون الوسطى من العرب نسوا ان السلف استعملوا كلمة «المنباط» فاتخذوا اللفظ على اصله ، فقالوا : الانبرذود ، او ، الانبراذود . قال ابن بطوطة في مقدمته (ص٢٠٤ من طبعة بيروت الاولى) ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليه في اختلافاتهم واجتماعاتهم تحرجاً من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبية التي لا فوقها منهم ، لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور (ويروى الانبراذور)، وحرفه الوسط بين الذال والظاء المعجمتين ، ومباشره يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ، ولعله معنى الانبرذور . اهـ فقال الواقف على طبعه : المشهور قديماً ايبراطور (كذا) بالطاء المهملة ، والفرنسيس تقول : ايبرور ، ومعناها عندهم ملك الملوك.

وقال في تقويم البلدان لأبي الفداء : « وسلطانها (سلطان المانية) هو المعروف بالانبرطور ، ومعناه ملك الملوك ، والعامة تقول : الانبرور » اهـ .

وفي كتاب العبادين في كتاب الفنس بن سانشس الى الخليفة المعتمد الانبيطور.

فهذه كلمة imperator جاءت معربة بصور شتى تختلف بين هنباط وهيباط وانبرذور وانبراذور وانبرطور وايبراطور وانبرور وانبيطور وربما وجد غيرها، اذا تتبع المحقق النسخ الخطية هذا فضلاً عن أن كثيرين من العصريين يكتبونها امبراطور وقد قلنا ان الاصح ان تكتب انبراطور . فهذه عشر لغات لكلمة واحدة معناها في الاصل : الآمر الاكبر أو آمر الجيوش اي ملك الملوك : مل .

٢ً القيصر

قال القلقشندي في صبح الاعشى (٥ : ٤٨٢) كان يقال لكل من ملك منهم (اي من ملوك الروم) قيصر . وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية « جاشر[١] » بجيم وشين معجمة فعربتها العرب « قيصر » ولها في لغتهم معنيان : احدهما[٢] الشعر ، والثاني الشيء المشقوق .

واختلف في أول من تلقب بهذا اللقب منهم : فقيل اغانيوش[٣] اول ملوك الطبقة الثانية . سمي بذلك لأن أمه ماتت وهو حمل في بطنها فشق جوفها وأخرج ، فأطلق عليه هذا اللفظ أخذاً من معنى الشق ، ثم صار علماً على كل من ملكهم بعده . وقيل أول من لقب بذلك يوليوش الذي ملك بعد اغانيوش المذكور ، وقيل أول من لقب به اغشطش ، واختلف في سبب تسميته بذلك ، فقيل لأن أمه ماتت وهو في جوفها فشق عنه وأخرج كما تقدم القول في اغانيوش ، وقيل لأنه ولد وله شعر تام فلقب بذلك اخذاً من معنى الشعر كما تقدم . ولم يزل هذا اللقب جارياً على ملوكهم الى ان كان منهم هرقل الذي كتب اليه النبي (صلعم) اهـ .

---

(١) الكلمة بالرومية (اي باللاتينية) Caesar والجيم التي يشير اليها هي الجيم الفارسية المثلثة الشبيهة بلفظ ch في الكلمة الانكليزية cheet مثلا او chamberlan ، والالف في جاشر ممالة . وحق الشين المعجمة ان تكون سيناً مهملة في جاشر ، الا ان بعض الرومان (ولا سيما من كان منهم من الجبال) كانوا يلفظون السين شيناً معجمة اللغة في لسانهم . ومثل هذا العيب كان لبعض العرب . وجميع الاعلام الرومية (اي الرومانية بمعنى اللاتينية) التي تدخل فيها السين المهملة نقلها صاحب صبح الاعشى شيناً معجمة وقدسبقه الى مثل هذا الصنيع جماعة من كتاب العرب . فتأمل .

(٢) اللفظة التي تدل على شعر الرأس هي caesaries لا caesar كما توهمه القلقشندي ، فيحتمل ان يكون السبب في تسميته هو ما يقوله نقلا عمن سمع عنه .

(٣) ليس في اعلام القياصرة من هو بهذا الاسم، بل اول من سمي بقيصر هو (اكتابيوس) Octavius ونظن ان الكلمة مصحفة تصحيف خط لكلمة إقتابيوس بجعل الكاف فيئاً.

قلنا : ان الذي عندنا ان قيصر سمي كذلك من معنى الشعر لا من معنى البقر ، لأن اول من سمي بقيصر لم يكن خشعة (اي مخرجاً من بطن أمه يبقره) بل مولوداً وعلى رأسه شعر وهو اكتابيوس او اكتافيوس . هذا فضلاً عن انه لو كان خشعة لسمي (خشعة) عند العرب ، لأن الكلمة هذه معروفة عندهم ، ولم يسم قيصراً .

٣ الفرناس

هذه الكلمة تعريب princeps ونقل الحرف الافرنجي p الى فاء او باء أشهر من أن يذكر . وكان حقهم ان يقولوا فيها « فرنكابس » فحذفوا منها الكاف والباء لتحمل على مركب عربي . ولم يذكر أحد انها معربة ، وهي في لغة الرومان تفيد « الأول في قومه » والظاهر ان العرب الاقدمين لم يعرفوا معناها حق المعرفة ، لأسباب منها : لأنهم ذكروها في مادة ف ر س ، اعتقاداً منهم انها عربية النجار . ثانياً لأنهم ذكروا لها معاني قاربوا فيها الحقيقة ولم يصيبوها. فقد قالوا في معنى الفرناس على ما في التاج : الفرناس: كفرصاد : رئيس الدهاقين والقرى ، عن ابن خالويه .. والأسد الضاري وقيل الغليظ الرقبة . وقال ابن خالويه : سمي الأسد فرناساً لأنه رئيس السباع. نونه زائدة عند سيبويه كالفرانس بالضم . والفرناس أيضاً الشديد الشجاع من الرجال ، شبه بالأسد . قاله النضر في كتاب الجود والكرم ... والفرنوس كفردوس : من أسماء الأسد ، حكاه ابن جني ، وهو بناء لم يحكه سيبويه وأسد فرانس كفرناس ، فعائل ، وهو مما شذ من أبنية الكتاب ا هـ . فالكلمة اذاً عربت على صور مختلفة واختلاف اللغات آت من عجمة اللفظة وأهل العرب يسمون الأسد فرانس أو فرناس أو فرنوس ، لأنه الأول بين السباع كما قال ابن خالويه .

وكتاب العرب نسوا ما عربه السلف ، فنقلوا اللفظة بدون تغيير جليل في عهد العباسيين فسموا الفرناس « برنس » نقلاً عن الفرنجية prince والذين نقلوا هذا اللفظ بهذه الصورة هم جميع المؤرخين الذين دونوا الوقائع في القرون الوسطى. واذا عذرنا الجميع من هذا التعريب ، فلا نعذر ابن شداد قاضي حلب صاحب

كتاب النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية ، فقد قال في حوادث سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠م) : « ان البرنس صاحب انطاكية خرج بعسكره نحو القرايا (كذا وهو يريد القرى ، وقد وردت في كتب كثير من المولدين ولها وجه صحيح وان كان الافصح ان يقال القرى) الاسلامية » اه . فنستنتج من هذا ان العرب كانوا يتصرفون في اللفظة الواحدة على مناح شتى ، اعتماداً على مايسمونه في عصرهم وفي بلادهم وعلى لغة الاقوام الذين يطوون بساط ايامهم بين ظهرانيهم فاذا سلمنا بهذا عذرنا ابن شداد نفسه لجريه على هذا المنحى من صنع العرب .

٤ الدقس

ويقال فيه دقوس وقدوس وعطوس ودعوس ، وكلها تعريب اللاتينية Dux قال الصاغاني : الدقس : الملك . وقال الازهري : الدقوس كصبور : الذي يستقدم في الحروب والغمرات كالقدوس (التاج) . وعندي أن العرب كتبوها في الاول : دُقس كقفل ، ودوقس بضم فسكونين لتحقيق اللفظ الرومي أو الروماني الاصل . ثم وقع فيها القلب والابدال كما وقعا في كثير من الالفاظ المعربة بل العربية نفسها فصارت دقوس وقدوس . ولما كان بعضهم يقلب القاف عيناً صيروا قاف دقوس عيناً فقالوا دعوساً كما قالوا الفرناس والعرناس ، القسوس والعسوس ، النقل والنعل ، فرّق بين القوم وفرّع أي حجز الى غيرها وهو كثير عندهم . واما عطوس فهو مقلوب دعوس بجعل الدال طاء من باب تفخيم الحروف . ومثله مد الحرف ومطه . ترياق ودرياق وطرياق (عن الجمهرة) واختدفه كاختطفه (التاج) . والدقس باللاتينية : دليل القوم ورئيس الجيش وقائده ومقدم القوم والامير والملك على حد ما قاله العرب .

وجاء في تاج العروس في مادة د ع س : في النوادر : رجل دغوس عطوس قدوس دقوس أي مقدام في الغمرات والحروب ، وحرفه الصاغاني فقال : « في العمل » بدل « في الغمرات » اهـ قلنا : لاتحريف عند الصاغاني لان الدقوس على مانقلناه لك عن كلام الرومان : هو دليل القوم في أي شيء كان ، في الغمرات والحروب كما في الاعمال والمبرات ، فاحفظه تصب .

والظاهر ان كتاب عهد الخلفاء لم يعرفوا ان سلفهم عربوا الكلمة بالاوجه التي ذكرناها كما جهلها كتاب عصرنا هذا . اما كتاب عهدنا فانهم سموه دوق أي Duc بقاف في الآخر واما كتاب عصر الخلفاء فعرفوه بالدوك بكاف في الآخر . قال ابو شامة في كتاب الروضتين في ص ١٨٣ من طبعة باريس « وكان فيهم مائة كند ، وثلثمائة من الخيالة المعروفين ، وملك عكاء والدوك (وهو يريد به بوهمند دوك النمسة) واللوكات نائب الباب . ومن الرجالة ما لا يحصى » اه . أما دوك البندقية Doge فسماه العرب « دوك » أو « دوج » كما فرق الافرنج بين الاثنين بتخصيص لفظ دوج بمن يكون للبندقية ، الا أن القلقشندي كتب الدوج بالكاف وصرح بانها بالجيم كجيم Doge الفرنسية . قال في كتابه صبح الاعشى ٥ : ٤٨٥ « كل من ملك منهم (أي من ملوك البندقية) يسمونه « دوك » بالكاف المشوبة بالجيم ، فيقال : (دوك البندقية) وهذا اللقب جار على ملوكهم الى آخر وقت » اه.

فانظر حرسك الله الى كم صورة من الصور انتقلت كلمة Dux اللاتينية ، فانها تراءت لك بصورة دُقس ودَوْقس ودقوس وقدوس ودعوس وعطوس ودوق ودوك ودوج . ولعل هناك غيرها ونحن نجهلها ، اذ رأينا بعض المعربين عن الانكليزية في عهدنا هذا يقولون (ديوك) أو (ديوق) نقلا عن اللفظة الانكليزية . فهذه اذاً احدى عشرة لغة ، ولعلنا لم نقف الا على بعضها .

٥ المركيس

لم تعرب قديماً هذه الكلمة ، بل عربت في عهد الخلفاء ، لأنها نشأت في عهدهم وكثيراً ما وردت في كتب المؤرخين كقول ابن الاثير في حوادث سنة ٥٨٣ « واتفق ان انساناً من الفرنج الذين داخل البحرية يقال له المركيس » اه . وفي أغلب النسخ ورد : المركيش بالشين المعجمة . وقد كثر عندهم ورود هذا اللقب في جميع كتب تاريخ حوادث الصليبيين حتى لم تر حاجة الى ايراد شواهد عديدة ، على أن بعض المعربين الناقلين في هذا العهد نقله بصورة مركيز ومار كيز ومار كيس (راجع المعاجم الفرنسية العربية) وفي معجم نجاري بك الفرنسي العربي : «ماركي»

وسمى مؤنثها «مار كيزة» (فكان يجب عليه أن يقول مار كيز ليصح قوله مار كيزة، لكن هكذا اورده نقلا عن لفظ الكلمة بالفرنسية وهو جائز أيضاً) والذين أخذوا اللفظة عن الانكليزية قالوا: مر كيز ومار كويس (راجع معجم بادجر الانكليزي العربي). فهذه سبع لغات لكلمة واحدة أعجمية واحسنها مو كيس بسين مهملة في الآخر لقدمها وقربها من اصلها وخفة لفظها.

٦ً الكنت

الكنت وبالفرنسية Conte وباللاتينية Comes وقد اختلف العرب في نقلها الى لغتهم كما هي عادتهم في تعريب الالفاظ الدخيلة فالاقدمون قالوا فيه: قومس وقمّس قال في التاج: القومس كجوهر: الامير بالنبطية (كذا. وهم كثيراً ما يجهلون اللغة الاصلية التي جاءت فيها اللفظة ولما كانت تلك الحروف اخذت عن العجم عن طريق النبط اي الإرميين، كانوا يظنون انها نبطية اي ارمية) نقله الصاغاني عن ابن عباد. وقال الازهري: «الملك الشريف. وقيل: هو الامير بالرومية» اه. قلنا: وهذا هو الصحيح لا من اللغة النبطية، وان كانت هي الواسطة الى نقلها الى العربية، ثم قال: والقمّس كسكر: الرجل الشريف. كذا نقله الصاغاني، وهو قول ابن الاعرابي، وأنشد:

وعلمت اني قد منيت بنيطل اذ قيل كان من آل دوفن قمس

فسره بالسيد والجمع قمامس وقمامسة. ادخلوا الهاء لتأنيث الجمع، والقمامسة البطارقة نقله الصاغاني عن ابن عباد ولم يذكر واحده وكأنه جمع قمس كسكر اه.
قلنا ان البطارقة هنا بمعنى الاشراف من اكابر القوم، وكذلك قولهم القومس الامير والقمس الرجل الشريف. وكل هذه المعاني هي واحدة وانما الفروق هي من بعض الشارحين.

والاقباط يسمون قسوسهم بالقمص بضم الاول وسكون الثاني وتشديد الميم والجمع قمامصة. وسمى النويري القمامسة بمعنى الاشراف القمامصة بالصاد بما يشعر بانه اعتبر المفرد قمصاً وزان سكر بصاد في الآخر وهذا من لغات العرب اي قلب السين صاداً اذ قلب السين صاداً هو من باب التفخيم. وكذا فعل ابن الاثير فان الذي سماه بعض المؤرخين قومساً سماه هو قومصاً وسمى الانثى قومصة قال في الكامل

(١١ : ١٩٨) كان القمص (وفي بعض الروايات القومص) صاحب طرابلس واسمه رينند بن رينند الصنجيلي قد تزوج بالقومصة صاحبة طبرية اه . وقد جرى على هذه التسمية كثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده. وقال في وقائع سنة ٥٨٣ فر القومص اليا (الى صور) يوم كسرتهم (يوم كسرة الصليبيين).

والذين جاؤوا بعد هذه الطبقة من المؤرخين والكتاب قالوا : الكند بدال في الآخر او القند اي بقاف ودال . فمن الاول قول ابي شامة (راجع كلامه الذي اوردناه في دوقس ومنه الكند اسطبل وقد تحذف الهمزة ومعناه امير الاسطبل وهو معرب Comes Stabuli قال صاحب مختصر الدول: (٤٤٨) ومن الارمن الكند سطبل اخو التكفور حاتم . والشواهد على هذه اللفظة كثيرة .وقد غلط صاحب محيط المحيط في مادة كند اذ قال: الكند الشرس الشديد . فارسي .وقد نقل الكلمة عن فريتاغ ولم يصرح بأخذه ، وفريتاغ رجل حاطب ليل لا يميز بين الغث والسمين وقد ادخل في العربية الفاظاً جمة لا حقيقة لها سوى سوء فهمه لكلام العرب ولسوء قراءة كلمهم ، هذا فضلا عن ان البستاني لم يفهم معنى Strenuus اللاتينية فلا تفيد ابداً معنى الشرس كما عربها بل معناها النشيط ، الثقف ، العامل ، الفعال ، فهذه اغلاط فوق اغلاط ،ظلمات فوقها ظلمات فوقها ظلمات . ومن الغريب انه عرب هذه الكلمة اللاتينية نفسها في مادة « كنداكر » بالمعنى غير المذكور . قال : الكنداكر: الشجاع الجسور اه. قلنا: وهذا يجوز لانه من معاني اللاتينية المذكورة اي (Strenuus) لكن كنداكر منقولة عن فريتاغ ايضاً ، وقد قال عنها انها فارسية وهي لا فارسية ولا عربية ولا هندية ولا صينية ، بل انها مركبة من كند (اي قومس) و كرا (لا اكر) كما قال وهي علم مصحف تصحيفاً شنيعاً لكلمة (هري) اي الكند هنري المعروف عند الافرنج باسم هنري دي شنباني Henrl Champagne[1]

(١) هو ملك القدس ، ولد نحو ١١٥٠م وتوفي ١١٩٧ وقاتل في الحرب الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠ وابلى بلاء حسناً في حصار عكاء فاظهر من البسالة والشجاعة ما نوه

وأما القند بهذا المعنى ايضاً فقد نقله دوزي عن كثيرين وقال : ويجمع على أقناد . وذكر قند اسطبل بمعنى كند اسطبل فراجعه ان شئت . وصحافيونا يكتبون اليوم : كونت او كنت . وفي معجم بادجر : قونت . فهذه تسع لغات تختار منها ما تشاء . والاحسن عندي ان نقول اليوم : كنت او كونت ، لان العرب كانوا يكتبون الفاظ الاعاجم بالوجه الذي تصير اليه من جهة اللفظ في عصرهم ، وان كان لك الخيار في غيرها .

٧ البارون

هذه الكلمة لم تكن معروفة عند الاعاجم قبل الاسلام، بل بعده وعربت بلفظها لقرب صيغتها من صيغ الحروف العربية، وقالوا فيها ايضاً باروني ،وقالوا في جمعها : بارونة وبارونية قال في الفتح القدسي: «واحضرت (الافرنج) الاستبارية والداوية والبارونة » . وقال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ٥٨٢ : «ثم ان هذه الملكة هويت رجلاً من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه (كي)، فتزوجته ونقلت الملك اليه وجعلت التاج على رأسه واحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والداوية والبارونية » . اه. ونحن لا نطيل الاستشهاد بكلام المؤرخين اذ لا نرى فيه عظيم جدوى ويغني هنا القل عن الجل .

ـبه مؤرخو العرب فأعطي الصولجان برضى جميع كبار الصليبين سنة ١١٩٢ وكان تزوج ايزابله الثيب عن كراد موركيس منته فراتو او (مونفرات)

وحاول صاحب اقرب الموارد ان يظهر علمه في هذين اللفظين (كند وكنداكر) فقال في معنى الكند : الشرس الشديد (فارسي) نقله فريتغ عن بعض كتب العرب (كذا قال) وقال في (كنداكر) : الشجاع الجسور . فارسية . نقلها فريتغ عن بعض كتب العرب اه . فانظر ما فعله المستشرقون في هذه اللغة وكيف ينقل عنهم لغويونا المعاصرون بدون تبصر او تحقق او تثبيت ، ثم تأمل ملياً . ومحيط المحيط واقرب الموارد من الكتب المشحونة اغلاطاً من هذا القبيل وكنا قد ألفنا في كل منها كتاباً يحوي تلك الاغلاط مع كتب اخرى فكانت طعمة للنار في سقوط بغداد .

٨ً الفارس

يقابله بالفرنسية Chevalier وبالانكليزية Knight وباللاتينية eques وباليونانية (hippeus) وكل هذه الالفاظ مشتقة من معنى الفرس ، كاشتقاق الفارس العربية من اللفظة المذكورة ، الا الانكليزية فانها مشتقة من كلمة تعني الخادم ، ولا جرم ان الاصل في المعنى : « خادم (خيل) الملك » ثم ارتقى منصبه مكافأة لخدماته كما وقع لمن تسمى بامير الاصطبل او امير الاخور او كُنْد إصطبل .

على ان للعرب لفظة من اللاتينية equus (اقووس) اي الفرس وهي كلمة (المقاوس) ومعناها عندهم : « الذي يرسل الخيل للسباق » ولا جرم ان الاشراف الفرسان كانوا يفعلون ذلك لما كانوا في خدمة الملك ، فالعربية اذاً لاتينية الاصل ، لا سيما ان ليس في اصول الكلمة العربية مايشير الى معنى الخيل سوى (المِقْوَس) وهو حبل تصف عليه الخيل عند السباق ، لكن المقوس نفسه مأخوذ من الرومية المذكورة وكذلك القول عن (الكومي ّ) بمعنى الفرس القصير الدوارج .

واضاف ان اقول ان (الكَيْس) العربية هي من (اكوس) للاتينية . و(الاكوس)وردت ايضاً عند العرب بهذا المعنى. فليكفرني من اللغويين العصريين من شاء . وأني لأرى جماعة عظيمة تنهض عليّ نهضة واحدة لتنسب اليّ ما تشاء من الشعوبية والتعصب للاغراب(الاغراب جمع غرب بمعنى غُرُيب وقداخطأ منقال انه لا يجوز ان يقال اغراب وكذلك الاجناب فهي جمع جُنُب بمعنى اجنبي). فليقولوا ما يشاؤون ، لكنهم اذا تروّوا يعودون بعد عشرات من السنين الى فكري لاسباب يطول بسطها هنا ، الا ان الجدال يظهرها للعيان .

واخشى ان اقول ان (الحبيس) بمعنى الفرس الموقوف في سبيل الله مأخوذ من اليونانية حبوس hippos فهذا يقيم عليّ القيامة ،فاقف عندهذا الحد لئلا اغيظ بكفرياتي اللغوية أناساً آمنين في سربهم . اللهم اجعلنا ممن ينطق بالحق ولو كان يثقل سماعه كما هو شأن كثير ممن يغشي ابصارهم حب القومية الاعمى .

الاب انستاس ماري الكرملي

معلقة طَرفة بن العبد[1]

ايها السادة :

كلفت ان اتكلم على مئة بيت شعر ونيف من كلام عرب الجاهلية. وضُربت لي مدة للكلام لا أراها بالتي تكفي لذلك لان الابيات تحتاج الى شرح وتفسير معنى ومن دون ذلك لا يكون للمحاضرة معنى : مئة البيت هذه هي التي تسمى (معلقة طرفة بن العبد)

ومعلقة طَرَفة واحدة من معلقات سبع . والمعلقات السبع بعض شعر الجاهلية . وشعر الجاهلية طائفة من الشعر العربي . والشعر العربي فن من فنون الآداب العربية .

فإذا حاولنا ان نلمّ بهذه المقدمات نفد الوقت قبل الوصول الى (معلقة طرفة) .

فالاجدر بنا اذن أن نعمد الى تلك المعلقة التي هي موضوع محاضرتنا ونهجم عليها توًا من دون تعريج على شيء آخر سواها :

(لماذا سميت المعلقات معلقات ؟)

غير ان هناك امرًا أحببت التعرض له وهو لماذا سميت هذه القصائد بالمعلقات؟

المشهور انها سميت بذلك لانها كانت معلقة على جدران الكعبة او مرقومة على ستائرها.

وانكر قوم ذلك . ومنهم (ابو جعفر النحاس النحوي) من رجال القرن الرابع للهجرة . فقالوا - في سبب التسمية - كان الملك في الجاهلية اذا اعجبته قصيدة قال لهم علّقوا لنا هذه يعني اكتبوها لتبقى محفوظة في خزانته مع الاعلاق النفيسة .

وربما أيد هذا القول أن قريشًا كانوا قومًا حمسًا اي شديدي الحماسة والتعصب لديانتهم . وناهيكم بمنزلة الكعبة وقداستها في نفوسهم فيبعد أن يسمحوا بتعليق شعر فيه تصريح بالفحش والعهر احيانًا - على كعبتهم المقدسة .

وزد على ذلك ان كتّاب السيرة النبوية ذكروا أن النبي ﷺ والصحابة في فتح

---

(١) اول محاضرة ألقيت في قاعة مجمعنا العلمي لاحد اعضائه «المغربي» وذلك مساء الاحد الواقع في ١٧ نيسان سنة ١٩٢١ .

مكة دخلوا الكعبة وحطموا الاصنام التي فيها وأزالوا عنها كل معالم الجاهلية حتى انهم كانوا يحملون الماء بترومهم ويصبونه على جدرانها لمحو الصور المنقوشة عليها بالاصباغ . ولم يذكر ان المعلقات كانت مما أزيلت او أنزلت عن الجدران .

(الاسباب التي نظمت معلقة طرفة من اجلها)

ليست محاضرتنا في (طرفة) نفسه لنسهب في ترجمته . وانما نلمّ من سيرته بما له تعلق في سبب نظم المعلقة :

كان (طرفة) من قبيلة بكر بن وائل التي يضرب بها المثل في العزة والكثرة وكان بيته في الذروة والسنام من تلك القبيلة . وكان هو شاباً جميلاً فصيحاً جريئاً. ومن كان في مثل حاله ومنزلته لا يلبث ان يتصل بالملوك فيكون نديماً لهم وجليساً . وكان ملك العرب اذ ذاك عمرو بن هند وعاصمته (الحيرة) . فاتصل به طرفة ونادمه . ثم نقم منه الملك بعد ذلك اشياء وحقد عليه من أجلها :

قالوا : رآه يوماً يمشي بين يديه وهو يتخلج في مشيته اي يتمايل ويتبختر غير حاسب للملك حساباً .

وكانا مرةً يشربان فرأى في الجام (اي الكأس) الذي بيده خيال اخت الملك وكأنها كانت تطل عليهم متوازية فانشد طرفة :

(يا بأبي الظبي الذي تبرق شفتاه ولولا الملك الجالس الثمني فاه)

ويروى (شنفاه) مكان (شفتاه) فسمع الملك قوله فسكت على غيظ .

وبدرت من الملك بوادر منكرة في سياسة بلاده : منها اليومان الملعونان : يوم البؤس الذي كان يقتل فيه كل من يصادفه ويوم النعيم الذي كان يكرم فيه كل من يصادفه . فنظم طرفة قصيدة انتقده فيها ــ وكان جريئاً على النقد ــ منها قوله :

(فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدور)
(لعمرك أن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير)

و (الرغوث) الناقة او النعجة الحلوب . فصمم الملك على قتله فمنعه بعض

رجاله عاقبة الامر . وخوّفه عشيرة طرفة وخاله المتلمس الشاعر الكبير المشهور : فإن هذا اذا هجاه أسقطه في القبائل .

فارتأى الملك ان يتخلص منهما جميعاً فدعاهما اليه واعطاهما كتابين الى المكعبر عامله بالبحرين يأمره بقتلهما وأوهمهما أنه يأمر لهما بصلة وجائزة ثم فطن المتلمس للامر فمزق كتابه في حكاية ليس هنا محلها وقال لابن اخته مزق كتابك أنت أيضاً واتبع معي فحملت طرفة غرارة الشباب على عدم المبالاة وقال لخاله: « لئن كان اجترأ عليك فما كان ليجترىء عليّ » ثم ذهب الى عامل البحرين فأطلعه العامل على جلية الامر . وفسح له مجال الهرب . فلم يفعل أنفة واستكباراً . واشار على شبان عبد القيس – وهي قبيلة بالبحرين – أن يسقوه الخمر وأن يفصدوا أكحله وهو ثمل . والاكحل عرق في الدم . ففعلوا فمات . وكان في حدود العشرين من العمر . ولذلك يقال له (ابن العشرين) وقيل انه بلغ ستاً وعشرين بدليل قول اخته في رثائه :

(عددنا له ستاً وعشرين حجةً فلما توفاها استوى سيداً ضخماً)

(فجعنا به لما رجونا أيابه على خير حال لا وليداً ولا قحما)

و (القحم) المتناهي في السن .

وفي معلقة طرفة أبيات أشار بها الى حادثة شربه الخمر في البحرين فتيان عبد القيس :

لكن ليس هذا كل السبب الذي حمل طرفة على نظم معلقته . فان هناك سبباً آخر هاج من قريحته . وحرك من انفته :

كان لطرفة اخ اسمه (معبد) وكان لمعبد ابل ضلت فذهب طرفة الى ابن عم لهم اسمه (مالك) يسأله ان يساعده في استرداد الابل . ولا يخفي ما يكون في ابناء الاعمام احياناً من الصلف والجفاء اذا رأوا ابن عم لهم يدانيهم ويتحبب اليهم من اجل قضاء امر ما. فانتهره ابن عمه وقال له(فرّطتم في ابلكم ثم جئتم تتعبونني في طلبها) فتأثر طرفة من قوله . وهاجت شاعريته . فقال معلقته . ومن أحسن ما جاء فيها أبياته في معاتبة ابن عمه مالك على ما سيجيء :

والتحقيق ان كل ابيات معلقة طرفة لم تقل في سبب واحد . ولا في زمن

واحد ومثلها المعلقات الاخرى : فكان الواحد من ابابها يعرض له السبب الآن فينظم فيه ابياتاً . ثم يعرض له سبب آخر فيقول فيه قطعة من البحر والقافية . حتى اذا كثرت الابيات ضم بعضها الى بعض او فعل هذا بعض رواة شعره . وبهذه الصورة تتألف المعلقة وتبرز الى الوجود . ومن قلب نظره في المعلقات وسياقاتها وجد الامر كما قلنا .

وقد ذهب اكثر علماء الادب الى ان (طرفة) في الطبقة الثانية من ارباب المعلقات : اي انه بعد امرىء القيس وزهير والنابغة . لكن (عمرو بن العلاء) – وهو اكبر علماء اللغة – كان يقول (أن طرفة أشعرهم واحـــدة) يعني اشعرهم معلقة . بل ذهب ابن مقبل الى ابعد من هذا فقال : (ان طرفة اشعر الناس).

اما مذهب (طرفة) في الشعر وحسن تصرفه في فنون وشعاب اساليبه ومنزلته في ذلك بين رفاقه اصحاب المعلقات – فيتجلى لنا من اعمال مقارنة إجمالية بين معلقته ومعلقة امرىء القيس. وحبذا لو اتسع الوقت للمقارنة بينها وبين سائر المعلقات.

مقارنة اجمالية بين معلقة طرفة ومعلقة امرىء القيس

معلقة طرفة مئة وثلاثة ابيات . ومطلعها :

لخولة اطلال ببُرقة ثَهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

هلموا بنا ايها الافاضل نقف مع طرفة على اطلال محبوبته (خولة) ثم نسير معه فنطوف حيث طاف ونسمع منه ما أتى على ذكره من الاحوال والاوصاف :

ها نحن نسمعه يصف أطلال خولة ببيتين من الشعر .

ثم نسمعه يصف نياق الظعائن فيشبهها بالسفن بثلاثة ابيات .

ثم وصف محبوبته بخمسة ابيات .

ثم الناقة التي ساعدته على نيل مقاصده – بثلاثين بيتاً .

ثم الفلاة التي اجتازها وأنها مهلكة – بثلاثة ابيات

ثم نفسه بنشاط العزيمة وكفاية المهم – بستة ابيات .

ثم عاد الى ناقته ووصف سرعتها – بثلاثة أبيات .

ثم عاد الى نفسه فوصفها بالجود والشرف وانه يجمع بين الجد والهزل – بثلاثة ابيات ايضاً

ثم وصف مجلس لهوه مع قينته وندمائه ــ بأربعة أبيات .

ثم ذكر رأيه في هذه الحياة الدنيا وقال : انما هي شرب ولعب ومسرات . وذم البخل والبخلاء الذين يضنون بأموالهم فلا ينفقونها في هذا السبيل . ورد على الذين يلومونه في رأيه هذا ــ كل ذلك بستة عشر بيتاً .

ثم عاتب ابن عمه (مالك) وقص ماوقع بينهما ــ بأربعة عشر بيتاً .

ثم رجع الى وصف نفسه وسيفه ونحره النياق في سبيل اللهو وما نصح له أبوه به ــ بأحد عشر بيتاً .

ثم انتهى الى نهاية كل حي وهي الموت فاستوقفنا على مصرعه. وعلّم ابنة أخيه (معبد) كيف تندبه . وتبكي عليه . وترثيه بما هو جدير به من القول : لا بما ترثي به لئام الناس وذوي البخل والشح فيهم ــ بتسعة أبيات .

ثم ختم معلقته بأبيات حكمية بليغة سارت مسير الامثال

ويمكن ارجاع هذه المواضيع كلها الى موضوعات ثلاثة كبرى :

(١) وصف نفسه وأطواره ــ بأربعة وثلاثين بيتاً .

(٢) أخلاقه خاصة . وآداب عامة . بثلاثة وثلاثين بيتاً .

(٣) وصف الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً .

بهذه المواضيع يمكن أن نعرف الفرق الادبي بين معلقته ومعلقة امرىء القيس : فان امرأ القيس لم يضرب بسهم في وصف الاخلاق وتقرير الحكم والآداب كما فعل طرفة وانما هو اسهب في وصف أمور قد لاتكون مفيدة كالافادة التي نشعر بها في معلقة طرفة :

لنقف مع امرىء القيس بسقط اللوى بين الدخول فحومل. ثم نطوف معاطفه ونسمع اوصافه :

(١) أسهب امرؤ القيس في وصف النساء ووقائعه معهن ــ بسبعة وثلاثين بيتاً

(٢) وفي وصف فرسه ــ بثمانية عشر بيتاً .

(٣) وفي وصف السحب والامطار ــ بثلاثة عشر بيتاً .

هذه هي أمهات الموضوعات التي أتى عليها امرؤ القيس في معلقته وقد استغرقت سبعة وستين بيتاً من واحد وثمانين بيتاً التي هي مجموع أبيات معلقته فيبقى أربعة

عشر بيتاً وصف نفسه ببيت. والاطلال بستة . والليل بأربعة .والمفاوزبثلاثة.
ولم نسمعه قال بيتاًواحداً في الآداب العامة ولاالاخلاق ولا الحكم . على العكس
من (طرفة) الذي أسمعنا من ذلك الكثير الطيب .وكان من أكبر مزايامعلقته
ماتضمنته من هذه الحكم والامثال .

فغائدتنا الادبية والاجتماعية من معلقة (طرفة) أعظم وأجزل منها في معلقة
امريء القيس اللهم الا ان يدّعى بأفضلية هذه من حيث الصناعة الشعرية . وربما
كان في هذا التفضيل أيضاً نظر يتحقق لكم أيها السادة بعرض نموذجات عليكم من
معلقة (طرفة) مفصلة ومتمايزة بعناوين خاصة بها .

توارد المعلقة أي موافقتها لغيرها

توارد (طرفة) مع (امريء القيس) في قوله :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسىً وتجلّد

وقال امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسىً وتحمل

فهل هذا من قبيل توادر الخواطر على معنى واحدمن دون ان يسمع أحدهما
ماقاله الآخر .أو هو سرقة .وبعبارةانزه اقتباس ؟ وأيها الذي اقتبس من الآخر.

ووفاة (طرفة) كانت سنة (٥٥٠) للميلاد وفي دائرة المعارف الفرنسوية سنة
(٥٧٠)وهي السنة التي ولد فيهامحمد(ص). أما امرؤ القيس فكانت وفاته سنة(٥٦٠)

أرق بيت في معلقة طرفة

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها   عليه . نقي اللون . لم يتخدد

أي لم يتشقق وينحف ويلتصق لحمه بعظمه . بل هو بض ممتليء سمناً .

تشبيهاتها البديعة

كثيرة واحلاها موقعاً قوله يصف النياق والظعائن :

كأن حدوج المالكية غدوةً   خلايا سفين بالنواصف من دد

يريد بالحدوج النياق وماعليها من الهوادج. وبالخلايا السفن العظام. وبالنواصف الاماكن الرحبة او الاباطح . و (دد) مكان .

وقوله في وصف السفائن :

يشق حبابَ الماءِ حيزومها بها كما قسم الترب المفايلُ باليد

(حباب الماء) سطحه او فقاقيعه. و(حيزوم السفينة) صدرها وجؤجؤها .

و (المفايل) اسم فاعل من (الفيال) ضرب من اللعب عند الاعراب : يجمع اللاعب التراب ويدفن فيه شيئاً كخاتم مثلا. ثم يقسمه باليد نصفين. ويسأل الآخر عن الدفين في أيها ؟ فمن أصاب قمر . ومن أخطأ قُمر .

وقوله في صفة عيني الناقة :

وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

(الماويتان)المرآتان و (استكنتا) استقرتا و (الحجاج) بفتح اوله العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب و(القلت) نقرة في الصخرة يستنقع فيها ماء المطر.

يقول ان عينيها صافيتان كالمرآتين . وقد اودعتا حجاجين من رأس كصخرة ذات نقرة كالنقرة التي يتجمع فيها ماء المطر: فيكون قد شبه عينيها بالمرآتين اولاً ثم بماءالقلات (جمع قلت)ثانياً عدامافيه من تشبيه حجاجيهابالكهفين ورأسهابالصخرة.

وقوله في صفة تبختر الناقة في المشي :

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تُري ربَّها أذيال سَحلٍ ممدد

« ذالت » مأخوذ من الذيل وهوان يمشي المرء ويجر ذيله و « السحل » ثوب قطن ابيض : كانت ناقة طرفة اذا ضربها بسوطه ذالت اي نشرت ذيلها على فخذيها . كما تفعل الوليدة وهي الجويرية في مجلس تسقي فيه ربها اي سيدها الخمر . او انها تفعل ذلك حين ترقص امامه : فهي تجرّ ذيل ثوبها من القطن الابيض .

وقوله في صفة وثاقة خلق الناقة :

كقنطرة الروميّ أقسم ربُّها لتكتنفنْ حتى تشاد بقرمد

بقرمد متعلق بتكتنفن. وتشاد ترفع. اي لايزال يحيطها بالآجر حتى ترتفع.

وقوله في وصف ذنبها :

كأن جناحي مضرَحيٍ تكنّفا حفافيْه شُكّا في العسيب بمسرد

(المضرحيّ) النسر الابيض و « حفافيه » اي في جانبي الذنب و « العسيب » عظم الذنب و « المسرد » الخرز .

وقوله في صفة القينة - وهي المغنية :

إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها تجاوبَ أظآرٍ على رُبعٍ ردَي

يقول اذا رددت تلك القينة صوتها وهي تغني حسبته لحسنه حنين نياق تتجاوب من أجل فصيل لها مات .

ومما تفحش به قوله :

ندامايَ بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسد

رحيبٍ قطاب الجيب منها : رفيقة بجسّ الندامى بضّةُ المتجرد

« المجسد » قميص يلي الجسد او قد صبغ بالجساد وهو الزعفران و « قطاب الجيب » مخرج الرأس منه .

يقول ان شق جيب صدرها واسع حتى اذا مدّ الندامى أيديهم للجس رفقت ورضيت . وهذا كل ما جاء فيها من الهنات .

ومن تعابيره الوشيقة قوله في صفة إسراع الناقة وأدبها وخوفها من لذع صوته :

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملويٍ من القدّ محصَد

« ترقل » تسرع و « الملوي » يعني به السوط « محصد » محكم الفتل .

وإن شئتُ سامى واسط الكور رأسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيددَ

« سامى » ارتفع « واسط الكور » أعلى الحدج والحدج للبعير كالسرج للفرس و « نجاء الخفيدد » اي مثل اسراع الظليم وهو ذكر النعام .

تباري عتاقاً ناجياتٍ وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ معبّد

(تبارى) تعارض وتسابق (ناجيات) نياقاً سريعات و (الوظيف) مستدق عظم الساق و (المور) الطريق المستوي الموطوء .

وقوله في صفة حالته مع ابن عمه (مالك) :

فمالي أراني وابن عمي مالكاً   متى أدنُ منه ينأ عني ويبعد

وقوله في صفة سيفه :

حُسام إذا ما قمت منتصراً بـه   كفى العود منه البدءُ ليس بمعضد

(منتصراً به) اي منتقماً به لنفسي ، يقول : ان الضربة الاولى به تغني عن ضربة ثانية . وليس هو بمعضد اي سيف يمتهن تقطع به الاشجار .

(ما فيها من الشؤون التي تهم الباحث في تاريخ العرب)

يشق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايل باليد

مرّ شرح هذا البيت وهو يفيدنا شيئاً مما كانت عليه العرب في العابهم وملاهيهم.

وقوله :

كقنطرة الرومي أقسم ربها   لتكتنفن حتى تُشاد بقرمد

يفيدنا هذا البيت ان اليونانيين كانوا معروفين بالحذق في فن المعمار لدى عرب الجاهلية بحيث يضرب بهم المثل .

وقوله في صفة الناقة :

وأتلع نهّاض إذا صعدت بـه   كسُكّان بوصيٍّ بدجلة مصعد

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر   كسبت اليماني : قدّه لم يجرّد

وأروع نبّاض أحذّ ململم   كمرداة صخر في صفيح مصمّد

(تلع) عنق (سكّان) دفة السفينة (بوصي) معرب (بوزي) السفينة اوالنوتي (مشفر) شفة (سبت) الجلد المدبوغ (قده الخ) اي لم يقع في قطعه اضطراب (اروع) يعني به قلب الناقة الذي يرتاع من كل شيء(احذّ)سريع الحركة(مرداة) حجر مستطيل يكسر به الصخر «صفيح» حجارة رقيقة ويعني بها اضلاعها .

وقد استفدنا من هذه الابيات اموراً من الاعمال والصناعات :

الملاحة في دجلة. وصنع الورق في الشام. والجلد المدبوغ في اليمن . وان العرب قبل الاسلام كانوا يكسرون الصخور بالمرداة كما كان شأنهم في الدور الحجري .

ما في المعلقة من الأدب والحكمة

هذا الضرب من الشعر استوفاه طرفة وأجاد فيه ، وتقسم أبيات الادب في قصيدته الى اقسام : منها ما جرى مجرى الامثال :

الا ايهذا الزاجري أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي؟
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطَول المُرخى وثنياه باليد

«ما» هي المصدرية التوقيتية اي ان شأن الانسان في هذه الحياة الدنيا كشأن ناقة لها زمام مرخي أطيل لها لترعى . ولكن طرفيه مثنيان في يد صاحبها فهو لا يلبث ان يجذبها اليه وهكذا الموت ما دام هو لا يصيب الفتى : لا يقال إنه ناج منه . فهو في صدد ان يجذبه اليه : كصاحب الدابة والدابة :

وظلمُ ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً : ما أقرب اليوم من غد

«أعداد» جمع عدّ وهو الماء لا ينقطع مدده ومراده بالغد المستقبل الذي يموت فيه الانسان يقول ان الموت كالمناهل للورّاد : يردونها واحداً بعد آخر . وهي لا ينفد مددها .

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

(تبع له) تشتري وتبتاع لاجله (بتاتاً) هو كساء المسافر وأداته . ويروى انه ﷺ أنشد هذا البيت (ستبدي الخ) بين يديه فقال (هو من كلام النبوة) اي على طريقته .

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة   وما تنقص الايام والدهر ينفد

«يعتام» يختار «الفاحش» المبالغ في البخل و «عقيلته» ماله العزيز عليه والمعنى ان ايام العمر كالكنز من المال : يؤخذ منه للنفقة كل يوم . وما كان هذا شأنه لا بد ان ينفد اخيراً .

التمدُّح والفخر

اذا القوم قالوا : من فتى ؟ خلتُ أنني   عُنيت فلم أكسل ولم اتبلّد

«اتبلد» اي اتحير او أخمل وهذا على حد قول الحماسي :

«لو كان في الألف منا واحد فدعوا   من فارس ؟ خالهم اياه يعنونا»

فان تبغني في حلقة القوم تلقني   وان تلتمسني في الحوانيت تصطد

وان يلتق الحيّ الجميع تلاقني   الى ذروة البيت الشريف المصمّد

قوله «في حلقة القوم» اي للمسامرة او لإدارة الرأي و «الحوانيت» يريد بها الحانات وقوله «وان يلتق الخ» اي يلتقون للمفاخرة في اعمال المجد وقوله «الى ذروة» اي في ذروة فإلى نابت مناب «في» كقول النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني   الى الناس مطليّ به القار اجرب

فقوله «الى الناس» اي في الناس . ومنه قولهم «جلست الى القوم» اي فيهم وقوله «المصمّد» اي المقصود كثيراً .

انا الرجل الضرب الذي تعرفونه   خشاش كرأس الحية المتوقّد

«الضرب» اي الماضي الندب واصله الخفيف اللحم وقوله «خشاش» اي كثير الدخول في الامور الصعبة .

وقال موصياً ابنة اخيه «معبد» ومعرّضاً بآخرين من منافسيه :

فإن مت فانعيني بما أنا أهله   وشقّي عليّ الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعليني كامرىء ليس همه   كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا   ذلول بإجماع الرجال ملهّد

قوله «ذلول باجماع» اي اذلته او ذللته كثرة ضرب الرجال له بجمع ايديهم فهو «ملهد» اي كثيراً ما يضربونه في ظهره او صدره بقبضات أيديهم .

فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني   عداوةُ ذي الأصحاب والمتوحد

«وغلا» اي لئيماً جباناً .

ولكن نفى عني الرجال جراءتي   عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي

قوله «نفى عني الخ» اي كشفهم وتحامهم عن مباراتي في حلبة المجد .

لعمرك ما أمري عليّ بغمة   نهاري . ولا ليلي عليّ بسرمد

اي لا تعمى عليّ وجوه انفاذ اموري وقضاء مصالحي في النهار . كما انه لا يطول ليلي في الغم والحسرة على ما فاتني قضاؤه : لاني اكون قد قضيت ونفذت كل ما يلزمني عمله فلم يفتني شيء انحسر عليه .

رأيه في الحياة أو مذهبه الايكوري

«ايكور» فيلسوف يوناني مشهور . وخلاصة فلسفته أن اللذة اساس السعادة في الانسانية . وانه يجب علينا ان نبذل كل مساعينا في سبيل نيلها والحصول عليها:

قال فينلون «الفرنسي» مؤلف كتاب تلياك : ان الناس نظروا الى «ايكور» كرجل يرى الانغماس في اللذات وتقمم الشهوات ولو كانت سافلة — مذهباً له — هذا ناشيء عن عدم فهم حقيقة فلسفته :

وحقيقتها ان الملذوذ عنده يجب ان يساعد على ترقية الفكر البشري وان يكون تناول اللذات ضمن دائرة الفضيلة والحكمة .

ومع هذا فقد فهم معظم الناس ان «ايكور» يقول بتناول الملذوذات على أية صورة وقعت . واخـذوا يطلقون «ايكوري» على كل رجل منغمس في اللذات والشهوات من دون مبالاة فضيحة أو عار .

ويظهر ان «طرفة بن العبد» كان ايكورياً بدليل اياته الآتية :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي   وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

اي مازال هذا دأبي وديدني .

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد

رأيت بني غبراء لاينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

(بني غبراء) عني بهم الفقراء الذين ينامون على الغبراء وهي الارض. و «اهل هذاك » الخ عني بهم الاغنياء . . و « الطراف » الخباء من جلد. يقول ان اكبر دليل على شرفه ومجده وحسن طريقته ان فريقي الفقراء والاغنياء يألفونه ولا ينفرون منه : الاولون لغمره لهم بالعطايا والصلات . واما الآخرون فلمشاركته لهم في الشرب واقتطاف اللذات. وما بقي من الناس غير هذين الفريقين فهم حسدة أغبياء.

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

« فان كنت » ايها اللائم الحاسد من الفريق الثالث .

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك ! لم أحفل متى قام عودي

(هن من عيشة الفتى) اي عيشته اللذيذة او المعنى هن مما تتوقف عليه لذة عيشه يقول : لولا هذه الاشياء التي هي منتهى لذة الحياة وسعادتها عندي لما باليت الموت واذا كنت ارغب في الحياة واتمنى طولها فذاك لاني مولع بهذه الاشياء الثلاثة :

فمنهن سبقي العاذلات بشربة كُميت متى ماتعل بالماء تزبد

وكرّي إذا نادى المضاف مجنّباً كسيد الغضا نبّهته المتورّد

« المضاف » الخائف المذعور و «مجنباً» فرساً في عظامه انعطاف و « السيد » الذئب و « المتورد » العطشان وارد الماء .

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمّد

كريم يروّي نفسه في حياته : ستعلم ان متنا غداً أيّنا الصدي ؟

ويظهر من هذا ان عرب الجاهلية كانوا يتأثمون من شرب الخمر ويعتقدون ان من يشربها في الدنيا يعطش في الآخرة .

أرى قبر نحّام بخيل بمـــاله كقبر غويّ في البطالة مفسد

« النحام » البخيل لانه ينحم اي يسعل كلما سئل صدقة و « الغوي » المستهتر لايبالي اللائمين و « المفسد » المبذر .

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائحُ صمٌّ في صفيح منضد

« الجثوة » كومة الحجارة وقوله في « صفيح » اي انك ترى القبرين في جملة قبور منضدة كثيرة . واذا كان قبر البخيل كقبر المنفق في لذاته وكان مآل كل منهما ان تكون كومتان من صفائح على قبريهما فلماذا يبخل البخيل ولا يحذو حذو الغوي .

عتاب ابن عمه مالك

يلوم وما أدري على مَ يلومني كما لامني في الحي قرط بن معبد

فمالي أراني وابن عمي مالكاً متى أدن منــــه ينأ عني ويبعد

وأياسني من كل خير طلبتــــه كأنا وضعناه الى رأس ملحد

قوله « كأنا وضعناه الخ » اي كأنا وضعنا طلبنا وقدمناه الى ملحد اي ميت مدفون في اللحد .

وإن أُدع للجلى أكن من حماتهـا وان يأتك الأعداء بالجهد اجهد

« أدع » اي من قبلك ياابن عمي و « الجلى » الخطب العظيم « بالجهـــد » اي بشقة لا تطيقها و « أجهد » اجتهد في دفعها .

وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بشرب حياض الموت قبل التهدد

اي اذا سبوك ابادرهم فاسقيهم من مشروب الموت واوردهم حياضه قبل ان اهددهم بالاقوال اي ان فعلي يسبق قولي .

فلو كان مولاي امرأً هو غيره لفرج كربي أو لأنظرني غد

« مولاي » اي ابن عمي وقوله « لأنظرني » اي لأمهلني .

ولكن مولاي امرؤٌ هو خانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتدي

يقول ولكن ابن عمي خانقي وآخذ باكظامي على كل حال: سواء شكوتُ له. أو سألته العفو. او افتديت منه بمال.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

فذرني وخُلُقي انني لك شاكر   ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد

اي اتركني على ما انا عليه من الاخلاق والطباع فانا راض بها ولا طاقة لي بتغييرها. واذا فعلت هذا أكون شاكراً لك. مهما كنتُ بعيداً عنك ولو في جبل ضرغد.

حال أبيه معه وصبره عليه

يقول ـ وقد ترّ الوظيف وساقها   ألستَ ترى أن قد أتيتَ بمُؤيد

« تر » سقط و « الوظيف » مستدق الساق و «مؤيد» داهية يثقل وقعها على النفس « يقول » اي ذلك الشيخ. وقد مرّ ذكره في الابيات السابقة. قال الزوزني هو ابوه. لكن ورد في ترجمة طرفة ان اباه مات وتركه صغيراً. وعلى هذا يكون المراد بالشيخ عمه أو وصيُّ أبيه عليه.

وقال: ألا ! ماذا ترون بشارب   شديد علينـــا بغيه متعمد ؟

اي وقال عمه ايضاً لجلسائه المشاهدين عقر طرفة للنياق. و «ترون» اي تشيرون.

وقال : ذروه إنمـا نفعهـــا له   وألا تكفوا قاصي البَرْك يزدد

وكأن الشيخ بعد ما استشارهم عاد فقال: دعوه فان النياق ارثه ونفعها عائد اليه. فدونكم ردوا عليه تلك النياق القاصية الشاردة البعيدة عنه او التي ابعدناهـــا واقصيناها نحن عنه. واني اخشى ان لم تفعلوا ان يزداد غضبه فيعقر النياق كلها. ولا يُبقي على شيء منها تشفيا وانتقاماً.

أبيات مغلقة في المعلقة

ما كان من هذا القبيل في معلقة طرفة قليل جداً ويمكن ان يعد منه قوله :

جمالية وجناء تردي كأنهـــا   سفنّجة تبري لا ذعر مربد

كأن علوب النسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر قردد

وتبسم عن ألمى كأنّ منوراً تخلل حرّ الرمل دعص له ندي

هذه هي النمودجات التي احببت عرضها على مسامعكم ايها الافاضل — من معلقة « طرفة » وهي نصف ابياتها . واذا لاحظنا معها ان طرفة لما قالها كان في حدود العشرين من عمره حكمنا مع (ابن مقبل) بأن طرفة أشعر الناس. أولا فمع (عمرو ابن العلا) بانه اشعر اصحاب المعلقات .

مخطوطات

مما اقتناه المجمع العلمي مؤخراً كتاب شرح ايضاح ابي علي الفارسي في النحو والصرف المتوفى سنة ٣٧٧ المشتمل على ١٩٦ باباً منها ١٦٦ في النحو والباقي في الصرف الفه حين قرأ عليه عضد الدولة بن بويه ولما رآه استقصره وقال له مازدت على مااعرف شيئاً وانما يصلح هذا للصبيان فمضى الشيخ وصنف كتاب التكملة وحملها اليه فلما وقف عليها قال قد غضب الشيخ وجاء بما لا نعرفه . والشرح المذكور للامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ وهو يروي الكتاب المذكور عن محمد بن الحسين بن محمد ابن عبد الوارث عن مؤلفه الشيخ ابي علي الحسن بن احمد الفارسي كما في خطبة الكتاب. وكان شرحه أولاً شرحاً مبسوطاً نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في كتاب سماه المقتصد قال في مقدمته : عرضتم عليّ ايدكم الله رغبتكم في كتاب الايضاح وتحققه وتحصيل معانيه اونكته وذكرتم ان ماعملت فيه من الكتاب الموسوم بالمغني لا يطول باع كل احد لبلوغ رتبته وتسنم دروته لاشتماله على مسائل جمة وفصول ممتدة فرأيتم الرأي ان املي عليكم كتاباً متوسطاً يفضي بتأمله الى اغراض هذا الكتاب ويعتد منه ومن هذا العلم نسباً ينفي عن طبعه وحشة الاجانب وتعدية انس المجانس والمناسب ويلين له جانباً من عريصه ويهديه الى تصعب طريقه حتى يتوصل منه الى طلب الغاية ويطلع منه نجم السعي للنهاية فوجدت الميل الى ما يعمر معالمكم ويثمر مساعيكم اذهب في سبيل المروءة والكرم واشد مناسبة لسجاحة الشيم الخ والنسخة المذكورة في ٤٥٣ صحيفة بالقطع الكامل كتبت سنة ١٨٠

سعيد الكرمي

عثرات الاقلام

— ٢ —

ومن عثرات الاقلام قولهم « حضرة الرئيس المهاب » بضم الميم من « أهاب » الرباعي يعنون ان الناس تهابه . وصوابه «مهيب» و «مهوب» اسم مفعول من «هاب» الثلاثي وقد يصح ان يقال «مهاب» بفتح الميم من معنى انه موضع مهابة . اذ يقال «مكان مهاب» و «مكان مهال» بفتح الميم فيهما من الهيبة والهول .

وقولهم « أوشك الصبي على الغرق » يريدون انه اشرف على الغرق وصوابه ان يقال « اوشك ان يغرق » أو « اشفى على الغرق » .

وقولهم « فذهبوا مرفوقين بقوة من قبل الحكومة » صوابه مرافقين بقوة او مصحوبين بها .

وقولهم « أهاج هذا القول خواطر الوطنيين » صوابه هاج خواطرهم من دون همزة او هيجها بالتشديد .

وقولهم في جمع سائح « سوّاح » بالواو وصوابه « سياح » بالياء لان فعله ساح يسيح لا ساح يسوح .

وقولهم : « آمن له مستقبله أو أمر معيشته » الظاهر ان يقال « آمنه من مستقبله أو من أمر معيشته » . بمعنى انه جعله في أمن من سوء مستقبله أو في أمن من ضياع أمر معيشته . أو يقال « أمنه على معيشته أو مستقبله » مع حرف الجر « على » فيكون مثل أمنه على دمه وماله كذا يفهم من التاج .

وقولهم (ولا زالت السفينة تنقل كذا) صوابه (ما زالت) اما (لا) مع (زال) فلا تستعمل الا في مقام الدعاء : يقال (لا زلت ملحوظاً بعين العناية) .

وقولهم (غضب حينما رأى حقوق الاهلين مداسة) ويقولون في ضد ذلك احياناً (وقد سر حين رأى حقوق الاهلين مصانة)والصواب فيهما (مدوسة ومصونة) من (داس وصان)الثلاثين ولا يقال (أداس) ولا (أصان) بالهمز .

وقولهم (بادرنا لنشر الخبر لتطمين الافكار) صوابه لطمأنة الافكار أو لطأمنة الافكار اي تسكينها اذ يقال طمأنه طمأنة وطأمنه طأمنة . اما قولهم من هذه المادة طمّنه تطميناً بقلب الهمزة ميماً وادغامها في الميم الاصلية فلم يرد في الفصيح وهو مع هذا غلط فاش جداً .

وقوله (ناهيك عما نستعمله من الاساليب) يريدون فضلا عما نستعمله . وهو خطأ لان معنى ناهيك حسبك وكافيك . قال اللسان (ناهيك بفلان رجلا ومن رجل اي كافيك وحسبك هو) .

وقولهم (لا يهمهم سوى محافظة مراكزهم) صوابه سوى المحافظة على مراكزهم اذ يقال حافظ على الشيء لا حافظه .

وقولهم (رساميل) في جمع (رأس المال) خطأ وصوابه ان يقال رؤوس الاموال.

وقولهم (جاءه قوميسيونجي وعرض عليه البضاعة الفلانية) ويريدون بالقوميسيونجي ذاك الذي يتوسط بين المحال التجارية في اوروبا وبين تجار بلادنا في عرض نموذجات البضائع وبيعها لهم . ونرى ان تستعمل مكان (القوميسيونجي) كلمة (الوسيط) والافصح ما قاله ابن سيده في كتابه (المخصص) فلح فلان اذا اطمأن اليه الناس فقالوا له بع لنا كذا او اشتر لنا كذا فيأتي التجار فيبيعهم او يشتري منهم قال ويسمى المتوسط بين التجار على هذه الصورة (الفلاّح) اه وهذه الكلمة اعني (الفلاح) تشتبه بالفلاح بمعنى الحراث غير ان القرائن وسياقات الكلام كفيلة بتعيين المعنى المراد شأن جميع الكلمات الاخرى المشتركة المعنى الشائعة في كلام الكتاب . اما كلمة (الدلال) فتبقى على استعمالها في الوسيط ببيع الامتعة وما كان تفاريق و (السمسار) ببيع البضائع الاغلى قيمة وما يباع بالجملة . كلمة (سفسير) بمعنى سمسار ايضاً ويمكن استعمالها في طائفة خاصة من السماسرة وتبقى كلمة (الفلاّح) للسماسرة الذين يعرضون بضائع المعامل بمقادير كبيرة

مطبوعات جديدة

ظهر في عالم العلم كتاب الادلة الاصلية الاصولية شرح مجلة الاحكام العدلية في قسم الحقوق المدنية للاستاذ الشيخ محمد سعيد مراد الغزي (نسبة لغزة هاشم) معلم اصول الشريعة والحقوق المدنية في جامعة بيروت سابقا وفي جامعة دمشق حالا

اما المتن وهو مجلة الاحكام العدلية فهو اشهر من ان ينوه به لانه كان ولم يزل دستور العمل في المحاكم وهو نتيجة اجتهاد طائفة من علماء الحقوق في تخير ما يوافق العصر الحاضر من اقوال علماء الحنفية وقد ذكروا في مقدمته السبب الذي دعاهم لتأليفه وقد اتى عليه حين من الدهر وهو بدون شرح واف بحل غامضه خصوصا القسم الاول المشتمل على قواعد اصولية وضوابط فقهية تحتها من الفروع مالا يحصر نعم انه شرحه في اللغتين التركية والعربية عدة افاضل لكنهم لم يجاروا الاصل مجاراة ينطبق عليها اسم الشرح فاتاح الله هذا الفاضل فبرز على من تقدمه في البيان وطابق بين اقوال علماء الشريعة واحوال هذا الزمان ومن قرأ مقدمة الشرح المذكور في تاريخ علم الحقوق ثم ماذكره في شرح المادة الاولى من المقالة الاولى في تعريف علم الفقه علم طول باعه وسعة اطلاعه اذ اعترض على تعريفها للفقه بانه علم بالمسائل الشرعية العملية فقال: ان المجلة اغفلت من تعريف الفقه ماذكره عامة الاصوليين واكثر الفقهاء اتماماً للتعريف وذلك (من ادلتها التفصيلية) وهو قيد لابد منه لان الفقيه في اصطلاح الاصوليين والفقهاء من يعلم مسائل الفقه بالاستناد الى ادلتها مقتنعا بصحة الدلالة اما مجرد من يحفظها ويقدر على الوقوف عليها من مظان وجودها في كتبها المدونة فلا يسمى في اصطلاحهم فقيها وانما يسمى ناقلا وايد ذلك بالنقول الصحيحة عن العلماء الثقات .

ومن دقائقه ما فرق به بين القواعد والضوابط بان ما كان منها قولاً من اقوال الشارع صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه مثل لاضرر ولاضرار والخراج بالضمان او ثابتا بقوله او بالكتاب او الاجماع مثل الحاجة تنزل منزلة الضرورة والضرورات تبيح المحظورات والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة والبينة للمدعي واليمين على من انكر

فهذا يصلح لان يكون دليلاً على ما يدخل تحته من الفروع مثل دلالة العام على افراده ومثل هذه القواعد يجب ان تكون حجة عند جماع اصحاب المذاهب على ما يدخل تحتها من الاحكام. واما غيرها الذي هو عبارة عن قضية كلية قد يمكن اثبات بعض جزئياتها بطريق من طرق ادلة الشرع والبعض الآخر لا يمكن اثباته على هذا الوجه مثل قاعدة (التبرع لا يتم الا مع القبض) التي خالف فيها مالك و (السكوت في معرض الحاجة بيان) الذي خالف فيها الشافعي فانها من الضوابط التي تارة يقصد منها جمع اكثر الفروع المختلفة فيما اتحدت فيه في بعض الاحكام وآونة تكون نتيجة اجتهاد امام من ائمة الفقه وهذه الضوابط لا يثبت الحكم بها في جزئياتها من الفروع ولكل فروع او بعض فروع دليل خاص به من النص او الاجتهاد او احاديث الآحاد التي لا تكون حجة على غير من وقف عليها فمثل هذه قد بين المؤلف انها ليست من الادلة العامة التي يجب ان تكون حجة عند اصحاب المذاهب كافة وان القواعد الاساسية لنظريات الحقوق انما هي النوع الاول من تلك القواعد وهو جامع بوجه عام لاكثر الفروع وقد اوضح قاعدة بقاء ما كان (اي الاستصحاب) بما لم يسبق اليه وقسمه لاقسام ثلاثة (١) استصحاب البراءة الاصلية (٢) استصحاب حكم الاجماع من حادثة متفق عليها الى حادثة مختلف فيها بسبب وجود وصف في الحادثة لم يكن فيها وقت انعقاد الاجماع عليها وابان ان هذين النوعين هما موضع الخلاف في حجية الاستصحاب في الاثبات التي يقول بها الشافعي وفريق آخر معه خلافاً لجمهور الحنفية وفريق آخر القائلين بعدم حجيته في الاثبات بل في النهي فقط (٣) استصحاب الوصف المؤثر في الحكم مثل ما وقع النص عليه من علة الحكم او أجمع عليه من ذلك وابان ان هذا النوع من الاستصحاب حجة عند الجميع في الاثبات متبعاً في ذلك المحققين من نوابغ الحقوق كالعلامة ابن القيم وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية.

وقد افاض في ابحاثه في النوع الاول من القواعد بما انفرد به بين علماء الحقوق داعياً الى الاستفادة من هذه القواعد وفصل الكلام على قاعدة (الحاجة تنزل منزلة الضرورة) مبيناً انها ثابتة من اصول الادلة وانه يمكن الاحتجاج بها على ما يدخل تحتها من جزئيات الاحكام وان الشارع يبيح بعلة الحاجة الخاصة او العامة من

الاعمال او العقود ما لا يعرف له دليل خاص من ادلة الشرع وان كلا من الحاجة والمصلحة يصلح مخصصاً للنص كما عرف في بيع الوفا .

وتكلم على قاعدة (الاحكام تتغير بتغير الزمان) مبيناً ان الزمان ليس هو السبب في تغير الاحكام وانما بمروره تتبدل اعراف وتحدث عادات من اجلها يجب تغير الاحكام في الحوادث التي ترك الشارع الحكم فيها للاعراف والعادات واوضح العرف العام والخاص وفرق بينه وبين العادة بفروق حقوقية وابان مواضع العادة ومواضع العرف من الحوادث بوجه جلي يتناوله الكافة .

وبالجملة يتضح لمن احاط اطلاعه بجميع ما كتبه على قواعد المجلة خاصة وعلى جميع كتبها عامة ان علم الحقوق قد اصبح سهل القياد على طالبيه بعد كشف غوامض تلك القواعد وبعد الارشاد الى الطريق في ارجاع الفروع لاصولها متحرياً في جميع ابحاثه روح الشريعة الاسلامية ونصوصها ورأي النابغين من علماء الحقوق من جميع المذاهب موضحاً ان بحرها الزاخر قد اودع فيه احكام حوادث هذا العصر بكل ما يتطلبه سير الحياة من رقي وعمران وتجدد كما قال تعالى (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) وفي الحقيقة ان هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الجد والدرس ومطارحة الابحاث بين الطلاب وحسنة من حسنات هذا العصر الرابع عشر وانما يتيسر القيام بما فيه من العمل لمن احاط بدقائق علم الاصول ووقف على علم الحقوق من منابعه الاسلامية الغزيرة التي لا تنضب على مدى الدهر ونرجو ان تكون فاتحة لامثاله من الآثار الحقوقية وغيرها من شعب العلم الذي لا رقي لامة بدونه .

وبعد فان لي انتقاداً عليه انتقاد محب وهو انه في مواضع كثيرة بينما هو يشرح قاعدة او مادة يحيل في اثنائه على ما يأتي بعد فيبقى فهم تمام المسألة متوقفاً على الوصول الى محل الاحالة وفي هذا تأخير للبيان عن وقت الحاجة فلو وفى كل موضوع حقه في وقت الكلام عليه ثم متى جاءت متمماته او مناسباته احال على ما تقدم لكان اتم واكمل في الافادة لانه احالة على معلوم . سعيد الكرمي

مجلة نسائية

(الحياة الجديدة) ـ اسم لمجلة عربية اصدرتها في باريس حضرة الفاضلة (حبوبة حداد) احدى الفتيات السوريات المغرمات بقومهن العرب. العاملات على رفع شأنهم ونشر ما انطوى من آثار مجدهم . وقد قالت في مقدمة مجلتها انها ستفتح فيها ابواباً للآداب والاجتماع والصحة والتدبير المنزلي والزراعة والتجارة ، ويساعدها في تحرير المجلة الفاضل (انطون فرح) وقد تضمن العدد الاول نبذاً مفيدة في موضوعات مختلفة يتخللها من الصور والرسوم ما له علاقة بتلك الموضوعات .

وقد سرنا من هذه المجلة ان معظم ابحاثها سيكون في امر المرأة العربية وبيان الوسائل المؤدية الى نهوضها . وقد اشارت صاحبة المجلة في مقدمتها الى مكانة النساء العربيات السابقات وما لهن من الفضل والتأثير في خدمة المجتمع فعددت منهن (هاجر) التي كانت سبباً في نشر اللغة العربية . وازواج النبي ﷺ اللواتي كن يثرن الحمية في النفوس بخطبهن وجليل وعظهن . وخاصة (مارية القبطية) التي اصبحت رمزاً لمبدأ التسامح الديني والقومي بحيث احدثت رابطة بين اهل افريقيا وآسيا لم يزل لها شأن الى اليوم .

فنشكر لصاحبة المجلة حبها لقومها هذا الحب النزيه . كما نشكر لها ان كانت من جملة العوامل في نشر اللغة العربية وآداب العرب في الاقطار الغربية .

والمجلة تصدر مرة في الشهر وهي تطلب من ادارة المجلة في باريس بهذا العنوان:

A Farah, 11 bis, rue Bandin, Paris (9ᵉ arr) .

« المغربي »



الجزء ٨ آب سنة ١٩٢١ م الموافق ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

بماذا يكون انتظام المجتمع الانساني

القيت من قبل حضرة الاستاذ صاحب الامضاء في بهو المجمع العلمي في ٨ تموز سنة ١٩٢١ .

ايها السادة الكرام والاخوة الاعزاء والابناء البررة !

قيض لي حسن الحظ ان اقف هذا الموقف بينكم مذكراً لا مرشداً اذ فيكم من رئيس المجمع الفاضل وزملائي الافاضل من لا استغني عن الاقتباس من انوار علمه فاضرع الى آدابكم ومكارمكم ان تسبلوا ذيل الصفح عما سترونه من هفوات دعا اليها تشعب مسائل الموضوع الذي توخيته (وما تشعب تصعب) واستدعاؤه بحثاً اكثر ووقتاً أوسع والله اسأل وبنبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم اتوسل ان يأخذ بيدنا جميعاً لانهاض هذا الوطن من كبوته وما ذلك على الله بعزيز ان صدقت النيات واتحدت القلوب وعرفنا الحق لاهله ووضعنا كل شيء في محله .

ان الله تعالى خلق الخلق محتاجين وفطرهم عاجزين ليكون متفرداً بالغنى مختصاً بالقدرة وجعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه واستعانته به صفة قائمة في جوهره قال تعالى (وخُلق الانسان ضعيفاً) يعني عن الصبر عما هو مفتقر اليه واحتمال ما هو عنه عاجز .

ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لاحتياجه الى اشياء استغنى عنها غيره وهي الملبس والمسكن اللذان استغنى عنهما اكثر الحيونات ان لم نقل كلها والمطعم الذي لا يتناوله الانسان الا بعد اجهاد عدة صناع فيه انفسهم ومزاولة عدة صناعات، قيل الانسان مدني بالطبع اي انه لا يقوم بحاجياته بنفسه بل يحتاج الى مدينة اي مجتمع تتوفر فيه حاجياته وقد جعله الله تعالى بهذه الصفة نعمة منه عليه ولطفاً به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز ما نعيّن لهمن طغيان الغنى وبغي القدرة لان الطغيان مركوز في طبعه اذا استغنى والبغي مستول عليه اذا قدر قال تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وقال عنه (انه كان ظلوماً جهولا) (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) .

ثم جل وعلا جعل لنيل الانسان حاجته اسباباً ولدفع عجزه حيلة دله عليها بما وهبه من نعمة العقل وارشده اليها بالفطنة وانعم الله على الناس بما اودعه في الارض من الخيرات حيث قال خلق لكم ما في الارض جميعاً فوجب ان يكون سكانها على حالة رضية من الانصاف وحسن العشرة والمودة والمعاونة واسداء المعروف واحتمال الاذى فانهم ان لم يكونوا كذلك ضاع ما أودعوه من تلك الخيرات او اختص به بعضهم دون الآخر فضاع العدل والانصاف وفقدت الالفة والانتظام وهما زينة المجتمع الانساني .

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

ثم اودع فيهم غرائز التزموا بطبعهم المحافظة عليها مثل الغيرة والاباء وحب الاثرة وهي مراكب جامحة ان لم تلجم وتروض فشرع عز وجل الشرائع على لسان رسله الكرام لمحافظة هذا المجتمع من الفساد والاختلال فكانت زبدة ما امرت به من اساسيات الانتظام المحافظة على خمسة اشياء واصلاحها وهي (١) الدين (٢) النفوس (٣) العقول (٤) الانساب (٥) الاموال. فافساد الدين بالكفر والبدع والاهواء المضلة. وافساد النفوس بالقتل او قطع او تعطيل بعض الاعضاء او منافعها. وافساد العقول بشرب المسكرات او تضليل الغير على ارتكاب ما يمس دينه او شرفه . وافساد الانساب بالاقدام على الزنا فانه يضيعها. او بعقوق الوالدين وقطع الارحام فانهما يضيعان ثمرتها من التناصر والتوادّ . وافساد الاموال بالغصب والسرقة

والرشوة وكذا اخذها بالغش واصناف الحيل وكل وجه غير مشروع . ويدخل في ذلك اغتصاب المنفعة كأنواع السخرة وعدم تأدية الاجير اجره فان المنفعة متقومة.

ومن قارن بين قول التوراة (انا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء مما تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً اكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الارض لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد شهادة زور لا تشته بيت قريبك الخ). وبين قوله تعالى في القرآن (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن واوفوا الكيل والميزان بالقسط واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

علم ان أساس الاديان في تنظيم الهيئة الاجتماعية واحد بدليل قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فكما علم ان للهيئة الاجتماعية حقوقاً ونظاماً ينبغي أن يعلم ان لكل فرد منها كذلك حقوقاً ونظاماً ولنبين ذلك اجمالاً لأن تفصيله يحتاج الى مجلدات اذ هو زبدة الشرائع والمقصود بالذات منها اما صلاح المجتمع وانتظامه بأسره فلدى الاستقراء وجد في ستة أشياء (١) دين متبع (٢) سلطان قاهر (٣) عدل شامل (٤) أمن عام (٥) خصب دائم (٦) أمل فسيح.

أولها الدين الحقيقي لانه يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب عن اراداتها حتى يصير زاجراً للضمائر رقيباً على النفوس . وهذه الصفات لا يتوصل اليها بغير الدين ولا تعيش أمة عزيزة كريمة بغير آداب ولا فضائل ولا يمكن أن تبنى الفضائل على غير قواعد الدين فالدين هو مقلل الشرور وأقوى روابط الاجتماع التي قيل انها الدين واللغة والوطن والنسب وأنا أزيد عليها المشاكلة في الطباع فلا يصحب الانسان إلا شبيهه وان لم يكونا من قبيل ولا بلد لكن تلك الروابط لا تنتظم

بدونه وهو أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وأجدى الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعي واعتقاد ديني ينقادون لحكمه حتى لا تختلف بهم الآراء وتتصرف بهم الأهواء ومن هنا قيل وهو الصحيح ان الحسن ما حسنته الشرائع والقبيح ما قبحته خلافاً لمن حكم العقل في التحسين والتقبيح .

نعم ان العقول قد تقضي بأشياء حسنة غير أنها لا تهتدي لمعرفة الحسن حقيقة بدون شريعة الا مصادفة والغالب ان ما يأتي به من عندها لا يجمع عليه نظراً لتفاوت العقول واعجاب كل امرىء برأيه فقد روى التاريخ أن شون أحد ملوك الصين الذي كان في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وضع لأمته خمس قواعد تتضمن الواجبات المتعينة على كل من الآباء والابناء والملك والرعايا والشيوخ والشبان والزوج والزوجة والصديق وصديقه ولم يبين لنـــا التاريخ تفصيل ذلك وكيفما كان الحال فلا بد أن يكون في بعضها مخالفة للشرائع فان من المعمول به عندهم للآن انه اذا مات أحد الزوجين ألحق به الآخر حرقاً حتى لا يفترقا . ثم وجد في تلك الامة كونفوشيوس الحكيم سنة ١٧٦٦ قبل الميلاد فجعل النواميس الاساسية ثلاثة وقال انها التي تقوم عليها الصلات بين الحاكم والرعية والاب والابن والرجل والمرأة وقال ان الفضائل الاصلية خمس وهي محبة الانسان لأبناء جنسه بدون تمييز بينهم والعدل أي اعطاء كل ذي حق حقه بلا تفضيل لأحد على آخر والمحافظة على العادات التي رسخت والاديان التي أمرنا بها حتى لا تكون للأمة إلا حالة معاشية واحدة يستوي الناس في التمتع بحسناتها ويتشاطرون سيئاتها ونكدها والاستقامة وفسرها بطلب الحقيقة بلا تضليل ولا خداع والصدق وفسره بالاستقامة في السلوك والخطاب اهـ .

فأنت ترى ان حكمه بأن تكون للامة حالة معايشية واحدة مع خروجه عن دائرة الامكان مخالف لكل الشرائع فان اختلاف المعيشة أمر لا بد منـــه يقتضي نظام الكون إذ هو من أدل الدلائل على قدرة الخالق الحكيم وقد ورد في القرآن (نحن قسمنا بينهم معيشتهم وفضل بعضكم على بعض في الرزق) ولم تزل تعاليم هذا الحكيم الى الآن حية بين قومه وعليها مدار نظامات الصين ولا بد لكل طالب علم عندهم ان يستظهرها لينال في الامتحان الشهادة التي تخوله حق

الدخول في الوظائف فيا حبذا لو نقتدي بهم الآن في جعل الاخلاق علماً وعملاً من شروط نيل الوظائف . ثم انظروا حفظكم الله الى شرائع مانو الهندي الذي يعتقد فيه الهنود انه الاب العام للبشر وهي منظومة في ٥٣٧٠ بيتاً من الشعر تنقسم الى ١٢ باباً تحتوي على عدة أشياء منها المبادىء التي يجب أن يجري عليها الفرد والاسرة والمدينة وواجبات الامراء وأهل كل من الطبقات المختلفة والنظام المدني والعسكري ولخص ذلك كله بقاعدتين احداهما تقضي على الامة بخضوع طبقاتها بعضها لبعض وثانيتهما تقضي على الفرد بالطهارة الحسية والمعنوية ، وجعل الامة أربع طبقات الكهان والعسكر والفلاحون مع التجار والمحترفون مع الاسرى والمغلوبين وجعل السيادة للطبقات الثلاث الاولى فيحظر عليها مصاهرة الطبقة الرابعة ثم وجد في القرن السادس قبل الميلاد رجل يدعى ساكيموني ويلقب بيوذا فنقض هذا الاساس وجاهر بأن الناس أمام الشرائع الادبية متساوون وان الفضيلة ما يفعله الانسان من خير لا ما يقوم به من الشعائر الدينية وان كل امرىء من أي طبقة كانت يحصل بتقواه وفضله على النجاة وان للانسان مكملات ستاً وهي الدلم وقوة العزيمة على مقاومة الشهوات والطهارة وحب الناس والصبر والبر اهـ . فانظروا كيف خالف هذا من قبله لتفاوت عقل الرجلين أما الشرع فلكونه وضعاً إلهياً يكون نظامه مطرداً مقبولاً والدليل أيضاً على ما قدمناه ما كان عليه الفلاسفة الاقدمون الذين زعموا ان الرياضة توصل الى درجة النبوة وان النبوة مكتسبة من الاخلاق السافلة التي ينفر منها الطبع السليم فان منهم طائفة تسمى الكلبية رئيسها انتشيونس ثم تلميذه ديوجانس كانت ترى حب أقاربها واخوانها وبغض غيرهم من سائر الناس وترى التغوط في الطرقات بلا ستار فلقبهم الناس بالكلبيين لان خلقهم خلق الكلاب . ومن آراء ديوجانس انه إذا احتاج الانسان الى شيء وأخذه فلا تثريب عليه وكان يرى ان الحياء من ضعف النفس ولذا كان لا يستحي من فعل قبيح الاشياء أمام الناس .

هذه الامم الثلاث الصين والهند واليونان العريقة في الوجود وهذه قوانينها التي لم تستند الى شرع سماوي ولو أردنا تعداد آراء الفلاسفة الذين لم يأخذوا العلم والمدنية من طريق الدين لضاق بنا المجال ويكفي ان منهم الدهريين الذين لم تهدهم عقولهم

الى معرفة الصانع ووجوده فجحدوه والطبيعيين الذين بحثوا عن أفعال الطبائع وانفعالاتها وما صدر عن تفاعلها من المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والجماد فحصل من هذا ان العقل وحده غير كاف في الوصول الى معرفة الحسن والقبيح بل لابد له من دين يعدل سيره . اما كيفية تعليم الدين الصحيح الذي لبابه الاخلاق الفاضلة فهي عقدة العقد وبها صلح ماصلح وفسد مافسد اذ هي الاساس لما نحن بصدده فان كثيراً ممن تصدى لذلك افسد اكثر مما اصلح وذلك لسببين اولهما انه ادخل في الدين ماليس منه مما لايثبت على محك الانتقاد من خرافات لايقبلها العقل ولا يؤيدها صحيح النقل فكانت في دماغ مبتدعها ذرة صغيرة ولما انتقلت الى فضاء أرض المتعلم الساذج باضت وفرخت وهكذا يزداد نتاجها كلما زرعت في محل فيه قابلية لنمو الترهات ثم انه موه على العامة بتخشع كاذب وورع مصنوع حتى اعتقدت حجية قوله وهيهات من أوتي سحر هاروت وماروت ان يزيل ماعلق باذهانهم من خزعبلاته وهنا يجب أن نبين بقليل من الايضاح فساد حال من هذه حاله ، ان من ظن الزهد التمنع عن اكل المشتهى اللذيذ الحلال فقد تنطع لان الله تعالى خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) والطيبات هي الحلال . واصرح من ذلك قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فمن فعل ذلك معتقداً انه من الدين فقد ضل واضل وبعضهم يلبس لباساً زرياً تقشفاً ويتخشع في مشيته تصنعاً مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي كمن ينحط من صبب (اي علو) ورأت عائشة رجلا متصفاً بهذه الصفة فقالت : ماهذا؟ استهجاناً لحالته فقيل لها هذا زاهد فقالت سبحان الله أهو أزهد من عمر وكان اذا مشي اسرع واذا ضرب اوجع .

والسبب الثاني عدم تمكنه في العلم فيتصدى للتعليم الذي يحتاجه هو ويتزيا بزي من تزويق لباسه واتقان هندامه ظناً منه ان العلم عبارة عن ذلك ولم يعلم ان العلم الناقص شر من الجهل التام لانه يدعو صاحبه الى ان يفتي بغير علم حذراً من ان يقال عنه انه جاهل وربما حابى الامراء او الاغنياء فافتاهم بما يشتهون مما لا يعرفه الدين اذ لم يكن عالماً حقاً حتى يردعه علمه عن زخرف القول ومنكره وهناك

وهناك سبب آخر وهو عدم العمل بمقتضيات الدين فالعمل في المعلم من موجبات تأثير العلم في المتعلم وقد قيل الواعظ من يعظ بفعله لا بقوله فمتى انتفت هذه الاسباب حصلت ثمرة التعليم وهي الاخلاق الفاضلة وتتأصل في النفس فتكون زاجراً قوياً لها عن ارتكاب ما لايليق وهذا الزاجر هو المراد بقول من قال :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وانما كان التلقين بهذه المثابة من الاهمية لانه الاكسير الذي تتقلب به الاعيان وتتحول به الاحوال لان الافعال دائماً آثار الافكار والافكار دائماً آثار الكلام فالكلام الواصل الى النفوس ان كان خيراً كانت الافكار خيراً فكانت الافعال خيراً وبالعكس ، فالكلام هو الاصل في الاشياء ومبدؤها وهو الذي يأخذ القلوب يمناً وشمالا . واني لاعجب ممن قال ان الاخلاق لاتتغير والواقع يدل على خلافه لاننا نشاهد الحيوان الوحشي يخرج عن طبعه بالتهذيب فهذا البازي يصير طوع الانسان يأمره فيأتمر وينهاه فينتهي وهكذا الفرس الجموح او الحرون تتبدل صفاتها بالمعالجة ولولا ان ذلك حاصل لما ارسل الله الرسل بالشرائع فيها الامر بالحسن والنهي عن القبيح وترتيب الثواب والعقاب على الاخلاق حسناً وقبحاً .

وياحبذا لو اعتنى اولو الامر بمنع دجالي هذه الصنعة اشد من اهتمامهم بمنع الطرقية من دجالي الطب فالضرر هنا اشد لان طبيب الاجسام الجاهل ربما ساعدته المصادفة على شفاء من يطببه اما طبيب العقول فلا شبهة في انه يودي بحياة مريضه الادبية ويوصله الى شقاء دائم في الآخرة .

والثاني من الستة التي بها صلاح المجتمع الانساني سلطان اي ذو سلطة قاهر تتألف من خوفه الاهواء المختلفة وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الايدي المتغالبة وتمتنع من خوفه النفوس العادية لان في طباع الناس من حب المغالبة على ما احبوه والقهر لمن عاندوه مالاينفكون عنه الا بمانع قوي ورادع ذي سطوة وهو الذي يحمي الدين والعلم ويدعو بسطوته الى اتباعهما ولذلك قيل ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن وقال تعالى (لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله) فهو القائم على صون الاخلاق ان تفسد والمحافظ على صلاحها .

والثالث من الستة عدل شامل يدعو الى الالفة ويبعث على الطاعة وتنمو به الاموال ويكثر به النسل ويعم به الامن الممالك وللملوك فقد قال الهرمزان لعمر ابن الخطاب لما رآه نائماً في المسجد بلا غطاء ولا وطاء فضلا عن الحرس والحجاب: عدلت فأمنت فنمت . وامهات العدل ثلاث عدل الرئيس مع من في حوزته ويكون بعدم اعنانهم وترك التسلط عليهم بالقوة وعدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع حاكمها والمرؤوس مع رئيسه وهو يكون باخلاص الطاعة وبذل النصرة وصدق الولاء وعدل الانسان مع اكفائه ويكون بترك الاستطالة عليهم ومجانبة الادلال وكف الاذى فهذه الامور ان لم تكن في الاكفاء تقاطعوا تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا والعدل لازم للانسان ايضاً في نفسه بان يحافظ على صحته بعدم تعاطي ما يضعفها ويعمل صالحاً حتى لا يكون معذبا في الآخرة ومن حملها شيئاً من الجرائم فقد ظلمها اذ سبب لها العذاب في الآخرة وفي عائلته بان يقوم لها بما كلفته به الشرائع من سد حاجاتها وان يسوي بين افرادها في المعاملة ، الا ترون قول النبي ﷺ (ان الله يأمركم ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القبل) بل العدل لازم في كل اسباب المعيشة التي هي الصناعة والزراعة والتجارة والامارة الذي منه الرفق بالحيوان الاعجم ولو اردنا بيان كيفية العدل فيها لما اتسع له الوقت واجمع شيء في تعريف العدل هو ان ينصف الناس من نفسه فلا يفعل معهم الا ما يحب ان يفعلوا معه ومن العدل ايضاً معرفة الحق لاهله فان دعوى كل انسان ما ليس فيه يفسد نظام المجتمع اعظم فساد ومن تعاطى صنعة لا يتقنها او تقلد وظيفة لا يحسن القيام بها او لم يعرف لذي الفضل فضله ولم يحله في المنزلة التي يستحقها واخذ في انتقاصه او ادعى انه احق بشيء من صاحبه كان جاهلا او حاسداً او غاشا وكلها من دواعي الفساد . وفي الحديث (اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة) قيل وكيف اضاعتها قال بتوسيد الامر الى غير اهله وسأل رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم انتقضت الامة عليك ولم تنتقض على ابي بكر وعمر فقال له لما كنت انا من رعيتهم انتظم الامر ولما صرت انت وامثالك من رعيتي صار الامر الى ما تقول اي ان علياً ومن كان معه زمن امارة الخليفتين كانوا يعرفون حق العمرين اما رعية علي فكان فيهم من لم يعترف له بالحق فلهذا انتقض امر الامة ووقع ذلك البلاء العظيم . ويتعلق بالعدل ايضاً امور

خاصة يكون العدل فيها بالتوسط في حالتي التقصير والسرف لان العدل مأخوذ من الاعتدال فما جاوزه فهو خروج عن العدل وذلك كما في الفضائل فانها هيئات بين خلتين ناقصتين وافعال الخير توسط بين رذيلتين كالشجاعة فانها بين التهور والجبن والحلم بين افراط الغضب وعدمه كما اوضح ذلك علماء تربية النفس بما ليس هذا موضعه

والرابع من الستة أمن عام تطمئن اليه النفوس وتنتشر فيه الهمم ويسكن اليه البريء ويأنس به الضعيف

والخامس خصب تتسع به النفوس ويشترك فيه الغني والفقير فيقل فيهم الحسد وينتفي عنهم التباغض وتكثر المواساة والتواصل لان الخصب يؤول الى الغنى والغنى يورث الامانة والسخاء ان اقترن بعلم يهذب صاحبه ويعرف به مضار المال الذي لم يكتسب من حله ولم يؤد منه حق الله. هكذا عد هذين الاثنين اعني الامن والخصب بانفرادهما من اسباب صلاح المجتمع من تكلم في نظام المجتمع وأنا أرى انهما ثمرة العدل ونتيجته فلا لزوم لعدهما سببين .

والسادس امل فسيح يدعو الانسان الى اقتناء مايقصر العمر عن استيعابه فلولا ان الاخير ينتفع بما أنشأه الاول حتى يستغني به لافتقر أهل كل عصر الى انشاء مايحتاجون اليه من منازل السكنى وغيرها من اراضي الحرث واشجار الثمر وذلك لاتتسع له اعمارهم فلذلك منّ الله تعالى على خلقه باتساع الآمال فعمرت به الدنيا وعم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتمم الثاني ماابقاه الاول من عمارتها ويرمم الثالث ما احدثه الثاني من شعثها لتكون أحوالها مدى الاعصار ملتئمة وامورها منتظمة ولو كانت الآمال قصيرة ماتجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى الضروري لوقته ولكانت تنتقل الى من بعده باسوأ حال حتى لاينمو فيها نبت ولا يمكن فيها لبث فعلى الناس جميعاً ان يتساندوا في نفع بعضهم بعضاً والسعي في استجلاب الخيرات ودفع المضرات كل على مقدار طاقته فالخلق عيال الله واحب خلقه اليه انفعهم لعباده وخير الناس انفعهم للناس . وقد ظن بعض من ران على قلبه الجهل ان الانزواء عن الخلق اسلم لدينه مع كونه قادراً على الاختلاط بهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وحسب ذلك يعود عليه بالثواب الجزيل ومن كان كذلك فهو كلٌّ على الهيئة الاجتماعية وعضو أشل فيها

ايظن هذا وامثاله ان عمل الصالحات المأمور به في الكتب السماوية هو عبارة عن الصوم والصلاة فقط كلا بل العمل الصالح اعم من ذلك يبتدىء باماطة الاذى عن الطريق وسقي الماء ولو على الماء ونظارة البساتين ورعي المواشي ويترقى الى فك الاسير واغاثة الملهوف والاعانة بالنفس والمال وكل عمل تعدى نفعه فهو افضل من عمل المرء لنفسه ودليل هذا ماروى عن انس بن مالك رضي الله عنه انه ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقالوا يارسول الله خرج معنا حاجاً فكنا اذا نزلنا منزلاً لم يزل يصلي حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله حتى ننزل فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا يارسول الله قال كلكم خير منه .

والخلاصة ان كل من عرف شيئاً فيه نفع للهيئة الاجتماعية مادياً او ادبياً وجب عليه استعماله في ذلك بنصح واخلاص ومن لم يفعل فقد خان النوع الانساني بل الدنيا بأمرها لانه انتفع منها بالمأكل والملبس والمسكن ولم يؤد عن ذلك عوضاً .

على ان التوغل في العبادة وترك التعرض للتجارب يورثان البله كما قال الجاحظ فقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير من المتوغلين فيها فاتاه يوماً عطاؤه وهو في المسجد فقام الى منزله ونسيه فلما صار الى منزله وذكره بعث رسولاً ليأتيه به فقال له واين تجد المال بعد ان تركته فقال سبحان الله او يأخذ احد ما ليس له . وسرقت مرة نعله فلم يتخذ نعلاً حتى مات وقال اكره ان اتخذ نعلاً فلعل رجلاً يسرقها فيأثم وقال الجاحظ ان الخلفاء والائمة افضل من الرعية وعامة الحكام افضل من المحكوم عليهم ولهم لانهم اقوم بالحقوق وارد على الناس وعلمهم بهذا افضل من عبادة العباد لان نفع هؤلاء لا يعدو تمم رؤسهم ونفع اولئك يخص ويعم والعبادة لاتورث البله الا لمن اكثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة اهل المعرفة فمن هناك صاروا بلهاء حتى صار لا يجيء من اعبدهم حاكم ولا امام .

واما مايصلح به حال الانسان وحده فثلاثة اشياء (١) نفس مطيعة تأمر بالرشد وتنتهي عن الغي (٢) والفة جامعة تنعطف عليها القلوب ويندفع بها المكروه (٣) كفاية من العيش تسكن نفس الانسان اليها ويستقيم اوده بها . فاما الاولى وهي النفس المطيعة فانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته فاهلكته لانها كما قال تعالى (امارة

بالسوء) ولسنا الآن بصدد بيان وصول النفس الى تلك الرتبة العلية فانه علم تكفلت ببيانه الشرائع وافرد بالتأليف .

واما الثانية وهي الالفة الجامعة فلان الانسان مقصود بالاذية محسود بالنعمة فاذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطفته ايدي الحاسدين وتحكمت فيه اهواء الاعداء . واذا كان آلفاً مألوفاً انتصر بالالفة على اعاديه وامتنع من حاسديه ولذلك قيل المرء كثير باخيه وقال قيس بن عاصم :

ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش ايّد
عزت فلم تكسر وان هي بُددت فالوهن والتكسير للمتبدد

ولهذا قيل ان الله مع الجماعة او يد الله اي قدرته مع الجماعة ومن كان الله معه فلا يعجزه شيء الم تروا ان جماعة تضامت بالمعاونة فقاومت الجبال الشم بهممها وجعلت البحر براً مع بعد غوره وطوت السنين في ايام معدودة وافهمت من في المشرق كلام من في المغرب فكم بالجماعة من نفق فتح وجدول اسيل وسدّ نصب وطريق جديد مدّ وخط برقي سحب كل ذلك بفضل الجماعة التي دربها العلم فعلمها الجد في خدمة المجتمع الانساني ولو كان علم الشرقيين تاماً لما تركوا غيرهم يسبقهم الى تلك الخدمة الجليلة التي غزرت منافعها الادبية والمادية والاسف كل الاسف على هذه الحال فان مثلنا كرجل خزائنه مملوءة بالنقود ولا ينتفع بها ويرى غيره يفتحها ويصرف منها وهو ساكن ساكت واذا كانت الالفة تجمع الشمل وتمنع الذل اقتضى الحال ذكر اسبابها وهي خمسة (١) الدين (٢) النسب اي القرابة (٣) المصاهرة (٤) المودة (٥) البر . اما الدين وهو الاول من اسباب الالفة فلانه يبعث على التناصر ويمنع من التقاطع والتدابر . واما النسب ثانيها فلان تعاطف الارحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والالفة ويمنعان من التخاذل والفرقة انفة من استعلاء الاباعد على الاقارب وتوقياً من تسلطهم عليهم وللنسب درجات تتفاوت الحمية فيها فدرجة الابوة اشد عظماً من درجة البنوة والعصبات اعظم انفة وغيرة من ذوي الارحام والتوسع في بيان ذلك يخرجنا عن الايجاز المطلوب . واما المصاهرة ثالثها فلانها مواصلة صدرت عن رغبة واختيار وانعقدت على خير وايثار فاجتمع فيها اسباب الالفة ومواد المناصرة . واما المؤاخاة بالمودة رابعها فلانها تكسب بصادق

الميل اخلاصاً ومصافاة فيحدث بذلك وفاء ومحاماة وهذا اعلى مراتب الالفة ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه لتزيد الفتهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم وهنا كان يجب ان ننبه على شروط الاخاء وحقوقه لو كان في وقت متسع . واما البر خامسها فلانه يوصل الى القلوب محبة وينتج انعطافاً فكم من عدو صار بالاحسان اليه صديقاً ولذلك ندب الله تعالى الى التعاون عليه وقرنه بتقواه فقال تعـــالى (وتعاونوا على البر والتقوى) لان في التقوى رضاء الله تعالى وفي البر رضاء الناس ومن جمع بينهما فقد تمت سعادته وعمت نعمته . ثم ان البر نوعان جود ومعروف فالجود بذل المال في الجهات المحمودة لغير غرض مطلوب والباعث عليه سماحة النفس وسخاؤها ويمنع منه شحها واباؤها وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقه بقدر الطاقة . واما قول من قال: الجود بذل الموجود فجهل بحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان للسرف وجود ولا للتبذير موضع وقد ورد الكتاب بذمها واذا كان السخاء محدوداً كما ذكرنا فمن وقف على حده سمي كريماً ومن قصر عنه كان بخيلاً .

واما المعروف فنوعان ايضاً قول وعمل اما القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول قال عمر بن الخطاب يخاطب احد بنيه : بني ان البر شيء هين ،وجه طليق وكلام لين . ويجب ايضاً ان يكون محدوداً كالسخاء فانه ان اسرف فيه كان ملقاً مذموماً وان توسط فيه كان معروفاً وبراً محموداً واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمال بالمعونة في النائبة وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وايثار الصلاح لهم وليس في هذه الامور سرف ولا لغايتها حد .

واما الكفاية وهي آخر القواعد فلأن حاجة الانسان لا يعرى منها بشر واذا عدم المادة التي هي قوام نفسه لم تدم حياة ولم تستقم له دنيا واذا تعذر عليه شيء منها لحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر عليه منها لان كل قائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله . ثم لما كانت مادة الكفاية مطلوبة لاحتياج الكل اليها فقدت من غير طلب وعدمت من غير سبب واسباب المحبة مختلفة وجهات المكاسب متشعبة ليكون اختلاف اسبابها علة للائتلاف في تحصيلها وتشعب جهاتها توسعة لطلابها حتى لا يجتمعوا على سبب واحد فلا يأتلفون ويشتركوا في جهة

واحدة فلا يكتفون . ثم هداهم اليها بعقولهم واميالهم حتى لا يتكافئوا الائتلاف في المعايش المختلفة فيعجزوا. ثم ان الله تعالى جلت قدرته جعل سد حاجتهم وتوصلهم الى منافعهم من وجهين : بمادة وكسب . اما المادة فهي حادثة عن انتقاء اصول نامية بذواتها وهي شيئان: نبت نام وحيوان متناسل واما الكسب فيكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف المؤدي الى الحاجة وذلك من وجهين تقلب في تجارة وتصرف في صناعة فصارت اسباب المواد المألوفة وجهات المكاسب المعروفة من اربعة اوجه نماء زارعة ونتاج حيوان وربح تجارة وكسب صناعة فمن خروج عنها كان كلا على اربابها

اما الزراعة فهي مادة اهل الحضر وسكان الامصار والاستمداد فيها اعم نفعاً ولذلك ضرب الله تعالى به المثل فقال (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وقال صلى الله عليه وسلم : (التمسوا الرزق في خبايا الارض) وقال كسرى للموبذ ماقيمة تاجي هذا فاطرق ساعة ثم قال ماأعرف له قيمة الا ان تكون مطرة في نيسان. واختلف الناس في تفضيل الزرع او الشجر بما لا يتسع الوقت لذكره . والثاني من اسباب الكفاية نتاج الحيوان وهومادة اهل الفلوات وسكان الخيام لأنهم لما لم تستقر بهم دار افتقروا الى الاموال المنتقلة معهم ومالا ينقطع نماؤه بالظعن والرحلة فاقتنوا ما يستقل في النقلة بنفسه ويستغني عن المؤونة برعيه فهو الحيوان ثم هو مركوب ومحلوب فكان اقتناؤه على اهل الخيام ايسر لقلة مؤنته وتسهيل الكلفة به وجدواه عليهم اكثر بنسله ورسله الهاماً من الله تعالى لخلقه في تعديل المصالح فيهم وارشاداً لعباده في تسمة المنافع بينهم. واما التجارة فهي فرع لمادتي الزرع والنتاج وهي نوعان تقلب في الحضر من غير نقلة ولاسفر والثاني تقلب بالمال في الاسفار والاول قناعة واختصار والثاني اعم جدوى غير انه اعظم خطراً واما الصناعة فقد تتعلق بما مضى من الاسباب الثلاثة وتنقسم الى ثلاثة اقسام : صناعة فكر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين الفكر والعمل. اما صناعة الفكر فتنقسم الى قسمين احدهما ماوقف على التدبيرات الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدبير البلاد وهي الامارة والثاني ما ادت الى المعلومات الحادثة عن الافكار النظرية وهذه هي الوظائف التي يقوم بها اولو العلم كالقضاة والاطباء وغيرهم .

واما صناعة العمل فتنقسم قسمين ايضاً عمل صناعي وعمل بهيمي والعمل الصناعي اعلاها رتبة لانه يحتاج الى معاناة في تعلمه وتصوره فصار بهذه النسبة من المعلومات الفكرية . والآخر انما هو صناعة كد وآلة ومهنة كذوي صنعة الحمالة واستخراج الحجارة . واما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فتنقسم قسمين ايضاً احدهما ما تكون صناعة الفكر فيه اغلب والعمل تبعاً كالكتابة . والثاني ان تكون صناعة العمل اغلب والفكر تبعاً كالبناء فهذه احوال الخلق التي ركبهم الله تعالى عليها في ارتياد مواردهم ووكلهم الى نظرهم في طلب مكاسبهم وفرق بين هممهم في التماسهم ليكون ذلك سبباً لائتلافهم فسبحان من تفرد بلطيف حكمته واظهر فطنتنا بعزائم قدرته هذا واني وان اطلت فقد بقي من متممات هذا البحث شيء كثير ربما اعود اليه اذا عادت لي النوبة في هذا الموقف والسلام عليكم .

سعيد الكرمي

الاعتصار او التشنيح

١ تمهيد

(شانتاج) chantage كلمة فرنسية أعيت العلماء وأصحاب الجرائد في ايجاد مقابل لها . وقد سأل بعضهم أحد أكابر اللغة أن يرشده الى لفظ يؤدي هذا المعنى أو ما يقرب منه ، وهل عرف السلف الصالح هذا العيب الفاضح ، في مجتمعهم في إبان زهوهم العمراني ، او قبله او بعده ، فلم يحر جواباً ، لا سلباً ولا ايجاباً .

وقدطلب إلينا أحد الافاضل انتبدي رأينافي هذا الصددفكتبنا هذهالسطور:

أولاً : على كل عربي متفرنج ان لا يقطع بقول عجز اللغة او ضعفها ان لم يكن اه وقوف على أسرارها او ألفاظها ودقائق معانيها ومبانيها . فهذا من الظلم والاجحاف بالحقوق مما لا حاجة الى الاشارة إليه .

ثانياً : يحسن به ان يستفتي أحد الأدباء أو يستشيره او يبحث هو بنفسه عما ينشده من أمر ضالته .

ثالثاً : ان لم يفز بطائل فلينسب العجز إليه او الى من أراد أن يغترف من بحار أفكارهم ولا ينسب شيئاً الى اللغة ، فاللغة كنز مدفون او كالمدفون فاذا كان لا يوجد من يدلك عليه فهذا لا ينفي وجوده .

وبعد هذا التمهيد الذي لا بد منه نتقدم الى تعيين معنى الكلمة الافرنجية لنجد لها مقابلاً في لغتنا الشابة التي لا يمكن ان تنالها الشيخوخة ولا يعتورها الفساد .

(الشانتاج) كلمة يراد منها : استحصال دراهم أو نحوها من رجل بتهديده بافشاء سر يفضحه ، أو نشر سيئة صدرت منه في الخفية تضره ضرراً بليغاً اذا عُرفت او شهرت ، او ان تعتصر منه مالاً بتهديده بالتشهير او بأن تشنع عليه حتى تفزعه او تقارب قتله أدباً او عملاً . وهذا الفعل كان معروفاً عند العرب في جاهليتهم وباديتهم وحاضرتهم . وله ألفاظ كثيرة نذكر منها ما يحضرنا .

٢ً التشنيح عند العرب

ان (الشانتاج) كان معروفاً عند العرب بأسماءٍ مختلفة منها : التشنيح . قال ابن سيده في المخصص (١٢ : ٢٦) قال الفارسي : التشنيح هو ان تشنع عليه حتى تفزعه او تقارب قتله . فهذا نص قديم على وجود التشنيح عند العرب ، اذ ذكره الفارسي بعبارة جلية حتى كأن الغربيين نقلوها عنه ، والفارسي من القرن الرابع للهجرة وأوائل القرن الخامس .

والظاهر ان أصل لفظة شنح بالحاء شنع بالعين كما أشار اليه المجد الفيروزابادي والسيد مرتضى ، والعرب تفعل ذلك طلباً لاحداث معنى جديد . فقد قال ابن قتيبة في كتابه مشكلات القرآن : قد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين كقولهم الماء الملح الذي لا يشرب الا عند الضرورة «شروب» ولما كان دونه مما قد يتجوز به «شريب» الى آخر ما ذكر من الشواهد العديدة (راجع العرفان ٦ : ٢٩) .

ومما جاء عندهم بهذا المعنى الاعتصار ، قال في التاج الاعتصار ان تخرج من انسان مالاً بغرم او بغيره من الوجوه . قال « فمنّ واستبقى ولم يعتصر » .

واشتقاق اللفظة مأخوذ من عصر ما كان ذا مائية كعصر الليمون او الزيت او نحوهما ، كأن الرجل المهدد يعصر المهدد وما يملكه . وهذه الكلمة أسلس من الاولى وأقرب الى الفهم منها إليه . وعندنا ان الاحتفاظ بهما يغني عن التمسك بغيرها ، وان كان اتخاذ المرادفات مما يستحسن ويحمد .

ومما جاء عند العرب بهذا المعنى التزمير . قال السيد مرتضى : زمر بالحديث : أذاعه وأفشاه . وفي الاساس : بثه وأفشاه . ومن المجاز : زمّر فلان بفلان ، ونص الاساس : زمّر فلان فلاناً ، وما ذكره المصنف أثبت : أغراه به (التاج في ز م ر) وهذا الاشتقاق غريب ، إذ هو نفس اشتقاق الافرنجية (شانتاج) المشتقة من شانته أي غنّى وزمّر ، بمعنى بث وأفشى . وهذه اللفظة أيضاً رقيقة أرق من المتقدم ذكرهما ، إلا أنها قريبة من معنى آخر مشهور قد عرف به . ولا مانع من اتخاذها أيضاً من باب المرادفات .

وبما جرى في وادي هذا المعنى وسال مسيله قول الاقدمين من باب المجاز قطع اللسان وهو قديم من عهد الجاهلية ، قال في تاج العروس من المجاز : قطع لسانه قطعاً : اسكته باحسانه إليه . ومنه الحديث : اقطعوا عني لسانه . قاله لسائل ، أي أرضوه حتى يسكت . وقال أيضاً لبلال : اقطع لسانه ، أي العباس ابن مرداس ، فكساه حلته . وقيل أعطاه أربعين درهماً ، وأمر علياً رضي الله عنه في الكذاب الحرمازي بمثل ذلك [1] . وقال الخطابي : يشبه أن يكون هذا ممن له حق في بيت المال ، كابن السبيل وغيره ، فتعرض له بالشعر فأعطاه بحقه أو لحاجته لا لشعره اه .

ومن طالع تاريخ الخلفاء والوزراء وأكابر الدولة الاموية والعباسية وغيرهما من دول الاسلام يرى أن الشعراء كثيراً مايمدحون سيد القوم ، فيقول : اقطعوا لسانه بكذا من الدراهم ، فيجيزه أمين المال بما يأمر به الممدوح .

وكان الشعراء في الجاهلية كما في العهد الاسلامي كثيراً ما يوهبون الاموال الطائلة خوفاً من لسانهم (وكان الناس يومئذ يخافون هجاء الشعراء ، كما يخاف اليوم معاصرونا أرباب الجرائد والصحف السيارة) ، وكان الشعراء يعرفون ذلك حق المعرفة ولهذا كان أكثرهم يتعيشون من هذه المهنة المنحطة أي بتهديد الرجل بهجاء ان لم يجد على مادحه بالمال ، وبالمال الجم . والويل ثم الويل للبخيل أو للمقل ، فان الشاعر يحول مدحه هجاء اذا كان لم يترضه مادحه بنفحة تذكر . واشعار المستجدين بشعرهم اكثر من أن تحصى ، ولعل أكثرهم كانوا على هذا المسلك .

ومن المعتصرين أيضاً المغنون فانهم كثيراً ما كانوا يهددون الامراء والاغنياء بتشنيعهم ، إن لم يدفعوا إليهم كذا من الدراهم وكانوا يخافونهم كما كانوا يخافون الهجائين من الشعراء . وكان لهم في عهد العباسيين منزلة سامية وكذلك في الدول الاسلامية التي نشأت في العصور الوسطى . فكانت « تقطع ألسنتهم » كما كانت « تقطع ألسنة » الشعراء .

وقد ذكر ابن رشيق في كتابه العمدة فصولا عديدة بين فيها ماناله قالة الشعر

---

(١) نظن أن في هذا الكلام عبارة مقحمة وهي قوله : وامر علياً ... الى قوله بمثل ذلك . فانها لاترى في نهاية ابن الاثير التي نقل عنها . وهي لامعنى لها هنا ولهذا وجب التنبيه عليها ليستقيم الكلام في معناه الجاري .

من علو الكعب والهدايا والثروة الطائلة الى ماضاهى هذه الامور ، بحيث تحكم ان الاعتصار كان قد شاع بين الحضر ، كما ذاع بين أهل المدر ، فراجع العمدة ترَ فيه مالا تراه في غيره ، فهو من أجل ماصنف في هذا المعنى فنكتفي بايراد هذه الاشارة عن ذكر الشواهد الجمة التي نحن في غنى عنها في هذا المجال الضيق .

٣ً الاعتصار في عهدنا هذا عند العرب

منذ أن اخذت الصحافة نصيباً من الانتشار عند الناطقين بالضاد ، بدأ نجم طالع الشعراء ينحط عن كبده ، حتى لم يبق له شأن في البلاد المتمتعة بالحضارة العصرية .

لا أقول لم يبق له شأن من جهة تعشق الناس له وولعهم به ، كلا ، بل من جهة اتخاذه آلة للتسول والاستجداء ، ولا سيما لاعتصار الناس ، فالذي قام مقام الشعر : الصحف السيارة ومقالاتها ومندرجاتها ، فقد غدت سماء المجتمع البشري فيها الغيم والصحو ، ومنها البرق والرعد ، بها تستمطر الاكف ، وعليها يعتمد في القطع والوصل ، فهي الناطقة وبدونها يكون الناس صماً بكماً ، عمياً بهماً .

انتشرت الصحافة في العراق كما انتشرت في الشام أو بلاد سورية وفي ديار مصر ، وقد كثرت الصحف في وادي الفراتين بعد اعلان الدستور ، فقد تنوعت هيئة ومادة وموضوعاً ولغة وصبغة ومناحي حتى اصبحت الفوضى من مميزات صحف هذا القطر المبارك . وما كادت الاعداد الاولى تصدر ، الا وعرف اصحابها « الاعتصار » فأخذوا يحلبون أشطر الشعب بما ينشرونه من تهديد الموظفين وسراة القوم وتجار الحاضرة بما يقلق راحتهم فكانوا يضطرون الى مصانعتهم أو وصلهم أو ملاطفتهم صوناً لشرفهم ودفعاً لخدعة اولئك الزعانف الذين قد نزعت الرحمة والشفقة من صدورهم .

ولم تتخلص قائبة من قوب الا بهبوب عاصفة الحرب ، فحينئذ لعبت بتلك الوريقات وبنشئها حتى غدت هباء منثوراً .

وأملنا في الحكومة الحاضرة أن تسن قانوناً تعاقب به والمعتصرين ، اذاما عادوا الى نغمتهم بأي ذريعة تذرعوا بها . فان مثل هؤلاء الاوغاد يضرون الالفة أشد الضرر ، بل يعيثون في طول البلاد وعرضها عبث الذئاب في الغنم .

ومن العجب ان نرى بين ظهرانينا وفي عهدنا اناساً ينتحلون قصائد الغير في مديح بعضهم فيغير فيها بعض الفاظه ويأتي في المجالس ليتلوها امام سيد تلاوة مغلوطة حتى ينفحه المدرح بشيء من الدراهم ، وقد رأينا من ينشر تلك القصائد الممسوخة ليستوكف من يتوسم فيه الندى فيسرع الكريم الخصال الى « قطع لسانه » لكي لا يتخذه آلة حية للهجاء او الافساد . فبئس العمل وبئس العملة !

٤ الاعتصار عند الافرنج

الاعتصار شائع عند الافرنج شيوعه عند العرب ، لان « النصاب[١] » و« البوكة[٢] » و« الطرار[٣] » و« النشال[٤] » هم قوم داغلة[٥] معروفون في البلاد المتجرة في الحضارة

---

(١) النصاب الذي ينصب نفسه لعمل لم ينصب له مثل ان يترسل وليس برسول واستعمله العامة بمعنى الخداع المحتال .

(٢) البوكة وزان بومة هو على ما جاء في تاج العروس : الظريف المحتال ذو الهيئة اه . وعندنا ان الكلمة معربة من اللاتينية بوكة buca ومعناه الحامي الذي يملأ فمه ريحاً ليخرج منه الفاظاً ضخمة لا فائدة فيها ، او بعبارة اخرى هو المتبجح المتنطع المتشدق المتمطق . ولم نجد البوكة بهذا المعنى الا في تاج العروس ، وقد اخذها عنه صاحب اقرب الموارد ، واما في سائر المعاجم كالقاموس ولسان العرب والعين والصحاح والمصباح واساس البلاغة ومعيار اللغة والمقاييس والمغرب ومحيط المحيط ومد القاموس والباموس فلم نجدها . ونطلب الى قرائنا اذا وجدوها في غير الكتابين الذين اشرنا اليهما ، ان يتفضلوا علينا بالاشارة الى محل ايرادها ولهم منا الشكر الجزيل .

(٣) الطرار هذه اللفظة معروفة في العراق وهي فصيحة يراد بها الذي يقطع الهمايين (واليوم تقول : الذي يقطع الجيوب) او يشق كم الرجل ويسيل ما فيه وهو من الطر اي الشق والقطع وربما الاحسن ان يقال من الطر بمعنييه اي القطع او الشق والخلس . وهو المعروف عند الانكليز باسم (بيك بوكت) وكانت العرب تضع سابقاً دراهمها في الهمايين او الاكمام ولم يكونوا يعرفون الجيوب بالصورة المتعارفة عندنا في هذا العهد .

كما هم معروفون في الاصقاع الآخذة في التمدن ، لان الرذيلة من ميزات البشر ، اللهم الا اذا تجردوا من انفسهم وهذا من خواص الاخلاق الرضية الكريمة ومن معالمها البينة الواضحة .

ولما شاع الاعتصار في ديار الافرنج وعمّ الضرر الناس وضع اولو الامر قانوناً يردعون فيه هؤلاء الناس المنحطين ويكبحون من جماحهم. واول من سبق الغير في سن ما يرد كيدهم في نحرهم الفرنسيون. وقد انتقل اعتصار الصحافة للناس من الانكليز الى الفرنسيين على مايزعمه بلزاك فانه قال: الاعتصار من ابتداع الصحافة الانكليزية وقد نقل حديثاً الى فرنسة ، الا ان بومارشه يقول في الفيغارو: ان الاعتصار داء قديم فهو اعتق من برّ واقدم من قطع الطرق فان عيسو (او العيص) اعتصر بصحفة من عدس اعتصره بها اخوه ليسلبه حق بكوريته .

وعلى كل حال ان ذوي الحل والربط في فرنسة لم يسنوا قانوناً الا في ١٣ ايار سنة ١٨٦٣ وقبل ذلك كان الناس يعتصرون كما تعتصر النارنجة او الليمونة بدون ان يتمكنوا من الدفاع عن انفسهم حق الدفاع. اللهم اذا كان المشنّع يتخذ ذرائع كاذبة ليحمل المشنَّع (الذي يصوب اليه رشق التشنيع) على ان يتوهم ان هناك اموراً ثقيلة تضره او ان يتوهم ان النصاب متمكن من ان يأتي اعمالا تسلبه شرفه وعرضه.

اما بعد ذلك التاريخ فان المادة ٤٠٠ من قانون الجراء في قطعته الثانية تعاقب بسجن سنة الى خمس سنوات وبغرامة ٥٠ فرنكا الى ٣٠٠٠ فرنك «كل من يتخذ التهديد كتابة او مشافهة وسيلة يزعم بها انه يفشي خفايا او اموراً مكتومة فيختلس بذلك او يحاول ان يختلس مالا حجراً او مالا كاغداً او توقيعاً او تسلم مستندات ذكرت في القسم الاول من المادة المذكورة اي انه يستحصل مكتوباً او سنداً او حجة او ورقة مهما كانت تحتوي ان وجيبة او تقوم مقام وجيبة ان تنصيباً او قلعاً».

---

(٤) النشال : من يأخذ حرف الجردقة فيغمسه في رأس القدر ويأكله دون اصحابه. هذا هو الأصل ثم أطلق على المختلس من اللصوص (التاج) قلنا : وهو المعروف ايضاً باسم النشاف بفاء في الآخر ، والظاهر ان ذلك من قبيل الابدال عندهم كالازف والازل للضيق ، والله اعلم .

(٥) الداخلة القوم الذين يريدون خيانة الانسان او عيبه (المخصص ٣ : ٧٦).

فتم اسم الاعتصار اذاً في ثلاثة امور وهي :

١ً – تهديـــد خطي او شفاهي لافشاء امور تشنع الرجل او لنسبة امور فاضحة تتعلق بالمهدد .

٢ً – نية المهدّد الفاعل لهذه المقابح في تحقيق ما ينويه من الحصول على مبلغ يقطع به لسانه عما يريد ان يتفوه به من الشر .

٣ً – تأكد المشنع بان ما يعمله هو مخالف للحق

ويجب ان يلاحظ هنا ان المادة ٤٠٠ (القطعة ٢) تبطل من ان يعمل بها ، لما لا يجد العامل الا لينال تعويضاً عن اهانة اهين بها او ليسترجع بها ضرراً أصيب به .

هذا جل ما يقال في هـذا المعنى ومن اراد التوسع فعليه بكتب الحقوق او بالمعاجم المطولة المرصودة لهذه الغاية ، وبهذا القدر كفاية .

ملاحظتان في الختام

ان اصحاب المعاجم العربية الاعجمية لم يصرحوا بلفظ يقابل الاعتصار كما ان اصحاب المعاجم الافرنجية العربية او الافرنجية التركية او الافرنجية الفارسية لم يذكروا لفظة (شانتاج) مقابلاً فشرحوها بعدة الفاظ فهـذا يدلك على ما في تلك المعاجم والدواوين من النقص البين .

الثانية ان لفظة (شانتاج) المشتقة من فعل (شنته) مرتاب في اصل معناها ع واكبر لغوييهم لم يتمكنوا من ذكر معنى يبل الريق او يشفي من علة، فلا يمكننا ان نقول ان فعلهم (شنته) مأخوذ من (شنح) ، سقطت منه الحاء لعدم وجودها عندهم واقحموا التاء توصلاً للفظ كما يقحمونها في مثل (يايل) بمعنى هل يوجـــد ، فيقولون فيها (ياتيل) هذا خاطر نبديه هنا مرّ بخلدنا ونحن لا نقطع به قطعاً باتاً .

الاب انستاس

ماري الكرملي

عثرات الاقلام

— ٣ —

ومن عثرات الاقلام قولهم (قاطعه عدة امرار) وصوابه (عدة مرار)من دون همزة جمع مرة ويقال في جمعها ايضاً مرات .

وقولهم (رجوته ان يتوسط في مسألة الاصلاحات) صوابه رجوت منه لان فعل (رجا)اذا تعدى بنفسه كان معناه الخوف تارة والامل تارة اخرى فيقال (ماله لا يرجو الله) اي لا يخافه و (انا لنرجو شفاءه) اي نأمله ونتوقعه واما اذا كان معناه الطلب من الشخص فالواجب تعديته اليه بحرف الجر (من)فيقال (رجوت منه ان يتوسط في الاصلاحات) لا (رجوته) وارجو منك ان تزورني لا (ارجوك) ومنه قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) واستعماله من دون (من) غلط فاش جداً فليتفطن له .

وقولهم (الا اذا اقتضت الحال للذهاب لبيروت) وصوابه (اقتضت الحال الذهاب) من دون حرف الجر وكذلك فعل (الذهاب) يتعدى الى مفعوله بحرف الجر (الى) لا (اللام) فيقال الذهاب الى بيروت لا لبيروت .

وقولهم(واذا كانت المحكمة كائنة في بلدة كذا)صوابه (واذا كانت المحكمة في بلدة كذا) بحذف كلمة (كائنة) لعدم الحاجة اليها والتصريح بكلمتي (كائن) و (كائنة)اللتين تتعلق بها(في)الظرفية غلط فاش جداً لاسيما في الصكوك والاعلانات.

وقولهم (دع الارتكان الى فلان) او (على فلان) يريدون دع الاعتماد عليه او الامل فيه وهو خطأ وصوابه (دع الركون اليه) .

وقولهم (جماد الاول) و (جماد الثاني) غلط وصوابه (جمادى الاولى) و (جمادى الثانية) بتأنيث الموصوف والصفة .

وقولهم (كلفه دولة الحاكم بكذا) صوابه (كلفه كذا) من دون الباء لان فعل كلف يتعدى الى مفعول بنفسه .

وقولهم (حكمت عليه المحكمة بجزاء نقدي يتراوح بين خمسة الى خمسين ليرة) يقال (راوح بين العملين) اذا فعل هذا مرة وهذا مرة (وتراوح زيد وعمرو الامر الفلاني) فعلا هذا مرة وهذا مرة ففي العبارة المذكورة واشباهها (لامعنى للتراوح) فينبغي ان يقال (حكمت عليه المحكمة بجزاء نقدي من خمسة الى خمسين ليرة) او (اقله خمس ليرات واكثره خمسون) او (يختلف بين خمس ليرات وخمسين ليرة).

وقولهم (ذهب الى المطبعة لاجل تصحيح البروفا) والأولى ان نستغني عنها بمثل كلمة (المثال) او (النموذج) أو (الطبق) من المطابقة .

وقولهم (اظهر دولة الحاكم لهم حساته الخفية او حاساته الخفية) اما (حاسات) فاصلها (حاسات) وهي الحواس الخمس الظاهرة وهي لا توصف بكونها خفية واما (حسات) فالاولى الاستعاضة عنها باحساس بفتح الهمزة جمع حس الذي معناه رقة النفس وعطفها والاحسن من ذلك كله ان يقال (عواطف) او (اميال)

وقولهم (قد بلغت كل دائرة ما يختصها) صوابه ما يخصها او يختص بها اهـ .

مطبوعات حديثة

قيس بن الخطيم

(١) ديوانه

لقيس بن الخطيم ديوان، منه نسخة مخطوطة في مكتبة مصر، ومنه نسخة في مكتبة فروق ، وقد طمحت الهمة بالدكتور تداوس كوفلسكي Dr. thaddäus Kowalski استاذ اللغات الشرقيات في جامعة قراقو « بولونيا » الى طبع هذا الديوان ، فصوّر نسخة فروق واخذ صورتها ، واستنسخ الديوان الذي اشتملت عليه مكتبة مصر ثم دفع اليه استاذه غاير دفاتر جمع فيها شعر قيس بن الخطيم مع متباين الروايات لهذا الشعر ، واعد له مكتبته الخاصة للاستعداد بهـا على ضبط الديوان ثم قرأ له الاستاذ ليتبان بعض ما استبهم عليه من الشعر الوارد في دفاتر الاستاذ غاير ، فطبع الدكتور كوفلسكي في خاتمة الامر ديوان قيس بن الخطيم في ليبسيك سنة ١٩١٤ فطابق الديوان نسخة مصر . وقدّمه الدكتور لاستاذه غاير اقراراً له بفضله وفسر شعر قيس بن الخطيم بالالمانية واشار الى بعض امور تاريخية نبه عليها هذا الشعر وذكر في منتهى الديوان ما نُحل الى قيس بن الخطيم من القول ، وشرح بعض الملتبس من الكلام ولخص الوقائع التي قيل فيها شعر قيس فاحتوى الديوان خمساً واربعين صفحة ، ما خلا القسم الالماني الذي جمع سبعاً وتسعين صفحة .

(٢) صفته واخباره

قيس بن الخطيم هو شاعر الأوس، وصنديد من صناديدها ، كنيته ابو يزيد ، نشأ ايّداً شديد الساعدين، وكان مقرون الحاجبين ،أدعج العينين ، احمر الشفتين ، برّاق الثنايا ، من احسن الناس وجهاً ، ما رأته حليلة رجل قطّ الا ذهب عقلها.

قتل ابو الخطيم وهو يومئذ صبي صغير قتله رجل من الخزرج ، فنشبت لذلك حروب بين الاوس والخزرج يدور عليها اكثر الكلام في ديوان قيس .

وكان عديّ ابو الخطيم ايضاً قُتل ، قتله رجل من عبد قيس فلما عرف قيس بن

الحطيم أخبار قومه وموضع ثأره جعل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم، حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي المجاز فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ولم يكن معه الا رهط من الاوس، فأتى خداش بن زهير صديق أبيه اليثربي واستنجده فنهض معه ببني عامر، حتى أتوا قاتل عدي جد قيس فاذا هو واقف على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، ثم استمر قيس فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه. وفي ذلك يقول قيس بن الحطيم:

ثأرت عدياً والحطيم فلم أضع وصية أشياخ جعلت ازاءها

(٣) مقتله

لما هدأت حرب الاوس والخزرج تذكرت الخزرج قيس بن الحطيم ونكايته فيهم فتآلوا على قتله فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالاً له حتى مرّ باطم بني حارثة فرمي من الاطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤا فحملوه الى منزله فمات.

وقد ذكر أهل المغازي أن قيس بن الحطيم قدم مكة فدعاه النبي ﷺ الى الاسلام وتلا عليه القرآن فقال قيس: اني لأسمع كلاماً عجيباً فدعني انظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فقتل قبل الحول.

(٤) منزلته في الشعر

قدم المدينة نابغة بني ذبيان، فدخل السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه ثم اعتمد على عصاه ثم قال: ألا رجل ينشد، فتقدم قيس بن الحطيم فجلس بين يديه وأنشده:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب

فلم يزده على نصف البيت حتى قال له النابغة: أنت أشعر الناس يا ابن أخي وهذه القصيدة من جيد شعر قيس.

وكان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الحطيم:

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويداً تكاد تنقصف
تغترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها نزف

ثم يقول : قائل هذا الشعر أنسب الناس .

ومن الناس من يفضل قيس بن الحطيم على حسان بن ثابت ولكن الجمحي صاحب طبقات الشعراء لا يقول بذلك .

وقد جرت لقيس منافسات مع حسان بن ثابت وذلك ان حساناً كان يذكر ليلى بنت الحطيم أخت قيس في شعره وكان قيس يذكر في شعره امرأته عمرة كما ذكرها في مطلع هذه القصيدة :

أجدّ بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

(٥) شعره

يتبين للناظر في ديوان قيس أن صاحبه قد اجتمع له أدب النفس وكرم الخلق واستوعب قسطه من الشجاعة وقد صوّر لنا قيس في شعره الحروب التي نشبت بين قومه وبين الخزرج تصويراً لا كلفة فيه ولا تملح .

شبّه قومه في استعار الحرب بالنار التي تأكل الحطب ، يزجون الى الموت جحفلاً أرعن مثل الأتي وهم أصحاب عفاف لا يأخذون لعدوهم سلباً .

أما قيس فالذي يستخرج من صفته أنه كريم المحتد لا يسب بشيء إلا كشف غطاء السبّة وانه شجاع لا يريد بقاء نفسه في الحروب الضروس ، يجالد عدوّه وهو حاسر كأن يده بالسيف مخراق اللاعب ويدعو لحقن الدماء فاذا لم يجد مندوحة عن الحرب لبس لها ثيابها وتفرغ لها برجال يرقلون الى الموت أرقال الجمال المصاعب

لم يصرف مدحته لغير خداش بن زهير الذي أغاثه وانجده وهو كما وصفه لنا قيس فتى رحب المباءة والجناب وقومه بنو عامر لا يتعتقون أعراف الخيل في الغارات .

يرى قيس بن الحطيم ان اقامة المرء بدار يهان بها ضرب من العناء وهو يعجب من الذين يسامون خسفاً ولهم في الارض سير وانتواء .

ومن أدبه أن للسر مقراً بسوداء فؤاده وان عينه لا تلمع لغرة جارته وان جاره لا يحذر فجيعته وهو جلد على الخطوب يغلظ جانبه للباغي ويحلو لي لذي القصد .

هذا بعض ما اشتمل عليه ديوان قيس دعْ ما جاء فيه من حكمة بالغة ونسيب رقيق .

(٦) لمنتخب من شعره

ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع وصية أشياخ جعلت أزاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
وكنت امرءاً لا أسمع الدهر سبة أسب بها الا كشفت غطاءها
واني في الحرب الضروس موكل باقدام نفس ما أريد بقاءها
إذا سقمت نفسي الى ذي عداوة فاني بنصل السيف باغ دواءها
متى يأت هذا الموت لا تبق حاجة لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

* * *

فيهم لعوب العشاء آنسة الدل عروب يسوءها الخلف
بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف
تغترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها ترف
قضى لها الله حين صورها الخالق الا يكنها سدف
حوراء جيداء يستضاء بها كأنها خوط بانة قصف
خود يغث الحديث ما صمتت وهو بفيها ذو لذة طرف
تخزنه وهو مشتهى حسن وهو اذا ما تكلمت أنف
كأنها درة أحاط بها الغواص يجلو عن وجهها الصدف

* * *

فما المال والاخلاق إلا معارة فما شئت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه وان قدت بالحق الرواسي تنقد
متى ما أتيت الامر من غير بابه ضللت وان تدخل من الباب تهتد

(شفيق جبري)

حقوق الادارة

تأليف عربي فيها

في حكومة سورية اليوم حركة مباركة ترمي الى أحياء اللغة العربية وتجديد عهد شبابها . ومظاهر هذا التجديد كثيرة : أبينها أثراً . وأطيبها ثمراً . تدريس الفنون العصرية في المكاتب العالية باللغة العربية ومباراة أساتذة هذه المكاتب في وضع كتب في تلك الفنون باللغة العربية واهتمام حضراتهم في اختيار تعابير عربية جديدة في الاصطلاحات الفنية والادارية كي تقوم مقام التعابير القديمة الاعجمية .

ومن هؤلاء الاساتذة العاملين حضرة الفاضل شاكر بك الحنبلي متصرف لواء الشام وأستاذ درس (الحقوق الادارية) في مدرسة الحقوق العربية : فقد أهدى إلينا بالأمس الجزء الاول من كتابه الذي أملاه على طلاب الحقوق وسماه (الحقوق الادارية) قال : « وهو أول كتاب دوّن في هذا الفن باللغة العربية » .

والاستاذ المؤلف ضليع في هذا الفن علماً ونظراً كما هو ابن بجدته عملاً وممارسةً : فقد قضى معظم حياته في تولي الوظائف الادارية في العهد العثماني ثم في زمن الحكم الفيصلي وما زال في هذه الممارسة الى اليوم ، فهو اذن حجة في ما كتب وقرر في هذا الموضوع .

والكتاب يبلغ نحو (٣٧٠) صفحة بالقطع الوسط وهو مطبوع في مطبعة الحكومة طبعاً حسناً بتصحيح مؤلفه وعنايته . ويشتمل على مقدمة وأربعة فصول .

(فالمقدمة) تتضمن مباحث في ما هو علم الحقوق وأقسامه وتاريخ (الحقوق الادارية) والعلاقة بينها وبين الحقوق الاساسية .

و (الفصل الاول) يتضمن كيفية نشوء الدول وأقسامها ووظائفها وبيان نظرية (توزيع الاعمال) .

و (الفصل الثاني) يتضمن الاوضاع الادارية في الدول المختلفة ملكية او جمهورية . وحقوق الرؤساء والمرؤسين والعلاقة بينهم ووظائف مجلس النظار والمستشارين ومسؤولية كل منهم . وقد قابل أوضاع ذلك جميعــه لدى الدول العظمى

اليوم . وافاض في ترتيبات الدولة العثمانية ونظاراتها المختلفة وما طرأ عليها في ادوارها التاريخية حتى عهدها الاخير .

و (الفصل الثالث) يشتمل على بيان الادارات بأنواعها : الادارات المحلية او المركزية فالولايات فالالوية فالنواحي .

أما (الفصل الرابع) فقد أودعه تفصيل احوال الادارات الاستعمارية عند الدول الاوربية وادارة الايالات الممتازة في الدولة العثمانية .

وهاك نموذجاً من ذلك الكتاب يدل على حسن تنسيقه وغزارة مادته قال المؤلف تحت عنوان (المشيخة الاسلامية) :

أحدثت (المشيخة الاسلامية) في زمان السلطان (محمد الفاتح) وهي أعلى مقام ديني في الدولة العثمانية . وكانت قضاة العساكر في العهد السابق المرجع الأعلى لجميع الامور الدينية والشرعية . وكانوا يسافرون مع الجيش ابان الحرب للفصل في الامور التي تحدث بين العساكر . ولكن لما توسعت رقعة السلطنة العثمانية على اثر الفتوحات ولم يعد بامكان قاضٍ واحد أن يقوم برؤية جميع شؤون الجيش الشرعية قسم القضاء العسكري المذكور في زمن السلطان محمد الفاتح الى قسمين : أحدهما الروملي والآخر للاناضول . ثم عين مفت في العاصمة ليكون مرجعاً للفتاوى.

وفي زمن السلطان سليمان القانوني أبدل عنوان المفتي بشيخ الاسلام وذلك وقت أن تولى (ابن كمال باشا) و (ابو السعود افندي) هذا المنصب . وكان شيخ الاسلام رئيساً للطرق العلمية . وناظراً للمحاكم الشرعية . وكانت التوجيهات العلمية كلها تجري بأمره وتقع حسب رأيه . وكان معادلا للصدر الاعظم من حيث الرتبة . اما أصل منشأ الطريق العلمي في الحكومة العثمانية فهو التدريس : فالذين يحرزون رتبة التدريس كانوا يرقون منها الى (مولوية اللواء) بعد مزاولة التدريس خمس عشرة او عشرين سنة . ثم يرقون منها الى (قضاء أستانبول) ومنـــه الى (قضاء الاناضول) ثم الى (قضاء الروملي) العسكري . وأخيراً يرتقون الى منصب (المشيخة الاسلامية) وكان للمشيخة الاسلامية وظيفتان (الاولى) تتعلق بالامور العدلية . و (الثانية) بأمور المعارف .

وبعد أن أتى المؤلف على بيان كلا الوظيفتين ذكر اوضاع (المشيخة الاسلامية) في الوقت الحاضر وما يتعلق بها من الوظائف والاعمال . وقال ان من اعظم هذه الوظائف (الفتوى) ثم أتى على ذكر الدوائر التابعة للمشيخة دائرة فدائرة ، بما يطول شرحه لو أردناه فنقتصر على ما مر شاكرين لحضرة المؤلف اهتمامه وتتبعه متمنين لتأليفه الرواج فانه بذلك جدير . المغربي



أنشودة الصوفيين وقصائد أخرى

بقلم السيد أمين الريحاني اللبناني

هذا آخر كتاب نشره الفيلسوف السوري في أميركا باللغة الانكليزية وكتبه ورسائله بالعربية والانكليزية كثيرة منها بالعربية :

الريحانيات ، زنبقة الغور ، خارج الحريم ، المكاري والكاهن ، الثورة الافرنسية ، المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية ، التساهل الديني .

وبالانكليزية :

اللزوميات	Allouzoumiat
الرباعيات	The quarteries of Abu el ula
كتاب خالد	The book of Kaled
انشودة الصوفين	A chont of mystics
طريق المشاهدة	The puth of vision
رواية علي بن أبي طالب	Ali Ibn abi Taleb
نشأة البولشفيك	Thc descent of Bolchevism

اما كتابه الاخير الذي سماه « انشودة الصوفين » فقد كتبه بفكر الشرق وبفكر التصوف الذي هو فلسفة شرقية نتجت من أفكار أناس كالعطار والعربي والغزالي والحلاج وجلال الدين الرومي . والشاعر السوري الملم بمسائل التصوف وافكار المتصوفة وقد ابرز ذلك في قالب شعر انكليزي من الدرجة الاولى وكان القارىء اذا قرأ بعض قصائده يقرأ شعراً عربياً لطيفاً ومن ذلك النمط :

الاندلس	Andalousia
الصلاة في الصحراء	Prom in the desert
من العربي	From the arabic

وله قصائد تدل كل الدلالة على انه شرقي مولع بالشرق وبلاده كقصائد: المتجول the vanderer لبنان lebanns ، ومن شعره ايضاً قصائد فلسفية مختصرة جميلة الشعر والوصف تشبه قصيدة من قصائد فيكتور هوغو في كتابه :

Dieu la fin de Satan

كقصائد : النهاية والابتداء	The end end the beguining
الاسوار والليل	The towers and the night
الاعصار	The cataclysm

وغيرها من الشعر الغريب (exotique) كاغنية سيوه The chant of Siva في غابات نخيل منفيس In the palm growth of.memphis

شعر رقيق فيه شعور كأن القارىء بقراءته يسمع غناء ويتصور ان الشاعر لما نظمه كان بين الاشجار والخضرة والمياه فان قصيدة «ماء وزهور» water and flowers تحتوي كل هذه الاوصـــاف حتى اذا سمعها احد لا يفهم الانكليزية فان القوافي وحدها توحي اليه ان مقصد الشاعر دقيق وله معنى جميل .

وقد نظم الشاعر في آخر كتابه غناء الصوفيين قصيدة بهذا الاسم لا اظن انه يوجد شعر عربي على نسق التصوف كهذه القصيدة وهي اطول قصيدة في الكتاب اوزانها كثيرة جداً ولكل مقطع وزنه منها ما يسحر القارىء سحراً غريباً صوفياً فحق للسوريين ان يفخروا بمن احرز المجد الادبي في بلاد اجنبية بتمكنه من لغة غير لغته . ولا اغالي اذا قلت ان قليلا من كتب الشعر الانكليزي تحتوي على قصائد على مثال هذا التنوع والتموج مختصرة تغني اللغة . محمد سعيد اليوسف

مجلة نسائية

(المرأة الجديدة) — السيدة جوليا دمشقية من فضليات نساء بيروت اللواتي

يهتمون بامر التربية عامة وتربية الفتيات خاصة ، فلم تكن ترى الاًمعلمة او كاتبة او باحثة منقبة عن كل ما قيل او كتب في هذا الموضوع الشريف : موضوع التربية. وقد كان العارفون بفضل هذه السيدة ومبلغ عنايتها وولوعها بتربية النشيء على الاصول والاساليب التي اهتدى اليها اخيراً جهابذة علم النفس (بيسكولوجي) — كانوا يقترحون عليها ان تنشيء للسوريين مجلة نسائية ينصرف فيها البحث الى شؤون المرأة وتمهد طريق النهوض بين يديها فتنهض بنهوضها الامة. وتتعزز بفضيلتها الفضيلة تحقيقاً لقول جول سيمون (اذا اردتم ان تكونوا فضلاء فعلموا المرأة ماهي الفضيلة) وكانوا يتمنون لو تهتم السيدة في مجلتها فضل اهتمام بتربية الاطفال وكتابة فصول خاصة بهم منذ يولدون او من قبل ان يولدوا الى ان يشبوا ويستقلوا يافعين في ساحات المدارس او حلقات المجالس. لانهم يعلمون انها اذا كتبت او استكتبت في هذه الموضوعات عرفت كيف الورد وكيف الصدر. وكيف تميز الدرر عن المدر. سيما وليس في بلادنا السورية اليوم مجلة نسائية تفي بهذا الغرض او تنتهج هذا النهج في اصلاح شأن المرأة.

كل ذلك مما كان ينتظره فضلاء ابناء الوطن من السيدة جوليا حتى انبرت منذ بضعة اشهر الى تلبية ندائهم. وتحقيق رجائهم في مجلة انشأتها وسمتها (المرأة الجديدة) وقد جاءنا العدد الاول منها فأرجأنا كتابة تقريظ لها في مجلتنا زيادة في التثبت من خطتها . وتبين استقامة طريقتها حتى تجمع لدينا منها بضعة اعداد فرأينا فيها من غزارة المادة. والتفنن في ايراد المباحث وتقريب الوسائل في تدريب المرأة على النهوض والعمل — ما حقق الرجا وملأ القلب ثقة من الرجا الى الرجا . والمجلة فوق كل ذلك كله حسنة الورق والطبع. جيدة الترتيب والتبويب. مزينة بالرسوم والصور المختلفة التي ترشد الى طرائق التربية والاعمال المنزلية. ويظهر من هذه الاعداد التي صدرت من المجلة حتى اليوم ان اشهر الكاتبات العربيات اخذن على انفسهن مواصلة هذه المجلة آناً فآناً بنفثات اقلامهن. وبليغ مقالاتهن في التربية والتدبير المنزلي والواجبات العائلية وغير ذلك من شؤون المرأة. فنحن نرحب بهذه المجلة ونشكر لصاحبتها وصواحباتها الفاضلات اللواتي يساعدنها في مشروعها الجليل هذا .

والمجلة تصدر مرة واحدة في الشهر وتطلب من منشئها في بيروت . المغربي



الجزء ٨ آب سنة ١٩٢١ م الموافق ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

الحسبة في الاسلام (١)

لم يقصر العرب في شأن من شؤون المدنية بالنسبة لاعصارهم وكلما ارتقت حضارة الغرب وتوفر العاملون من أبنائه اليوم على استخراج دقائق هذه المدنية العربية الاسلامية تتجلى لنا امور منها ما كنا نحن أصحاب تلك المدنية نعلمه من قبل.

من المعلوم ان المدنية انتقلت الى العرب من الفرس واليونان والهند. ولكن جاء الاسلام بما فيه من العوامل القوية والنظام المدني البديع الذي استخرجه اهل الصدر الاول من روح الكتاب والسنة بأجمل مدنية عرفها البشر وما نظنه مهما ارتقى في الازمان التالية يخرج عن حدها الا قليلا

لم يترك العرب باباً من ابواب المدنية الا وطرقوه ولا علماً من العلوم والصناعات الا وعانوه ويرزوا فيه وقد تجلت مدنيتهم بأجلى مظاهرها في فارس والعراق ومصر والشام والاندلس اكثر من غيرها من الاقطار التي هذبها الاسلام وكانت العرب اساتذة أبنائها . والغالب ان قيام دول عظمى اسلامية في تلك الاقطار كان من اول الدواعي الى تجويد مدنيتها ورفع شأنها بين الامصار على اختلاف القرون والاعصار وللاقليم وطبيعته دخل كبير في تثقيف العقول وتعويد القرائح الابداع والاختراع

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ العلامة السيد محمد كرد علي مدير المعارف العام ورئيس المجمع العلمي في بهو المجمع العلمي .

ضاعت وأسفاه اوضاع مدنيتنا القديمة ومشخصاتها لان العرب تمزقوا وتفرقوا بعد استيلاء اناس من الفاتحين على بلادهم كانوا دونهم في سلامة الذوق وجودة الفطرة فافسدوا اخلاقهم بما حملوه اليهم من عاداتهم وتقاليدهم المختلة حتى اوصلوهم الى درجة من الجهالة لو لم يتداركها في القرن الماضي محمد علي باشا في مصر وخير الدين باشا في تونس ومدحت باشا في سورية والعراق لاضمحل عمرانهم وباد سلطانهم .

كلامنا الليلة في فرع صغير جـــداً من فروع المـدنية العربية بل الاوضاع الاسلامية ، نريد ان نشرح اصول الحسبة في الحكومات الاسلامية السالفة ومنه يعلم من لم يكن يعلم ان اجدادنا هيأوا لمدنهم وسكانها جميع ضروب الراحة والهناء وحاولوا ان يبعدوا عنها ما امكن الجور والشقاء . والحسبة بالكسر الاجر وهو اسم من الاحتساب اي احتساب الاجر على الله تقول فعلته حسبة واحتسب فيه احتساباً والاحتســاب طلب الاجر وكانت الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة مايتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في الكتاتيب وغيرها من الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ـ قاله ابن خلدون وقال ابن تيمية وبنو آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم مع بعض واذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد ان يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن امر واولو الامر اصحاب الامر وذوو القدرة واهل العلم والكلام فلهذا كان اولو الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس كما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه للاحمسية لما سألته ما بقاؤنا على هذا الامر قال : ما استقامت لكم ائمتكم . ويدخل فيهم الملوك والمشايخ واهل الديوان وكل من كان متبوعاً فانه من اولي الامر .

وقال ابن الاخوة : الحسبة من قواعد الامور الدينية وقد كان ائمة الصدر الاول يباشرونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي امر بالمعروف اذا

ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس والمحتسب من نصبه الامام او نائبه للنظر في احوال الرعية والكشف عن امورهم ومصالحهم وبياعاتهم ومأكولهم ومشروبهم وملبوسهم ومساكنهم وطرقاتهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ..

وكانت الحسبة (المقتبس م ٣ ص ٥٣٧ و ٦٠٩) في الحكومات العربية وحكومات الطوائف ضرباً من ضروب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد قسمت الى ثلاثة اقسام احدها مايتعلق بحقوق الله تعالى والثاني ما يتعلق بحقوق الآدميين والثالث ما يكون مشتركاً بينهما ويمكن ان تقسم الحسبة الى دينية ومدنية فالديني منها بطل من بلاد الاسلام منذ اصبحت حكوماتها لا تحافظ على جوهر الدين بالذات والمدنية استعيض عنها في القرن الماضي في البلاد العثمانية بالمجالس البلدية وبقيت الحسبة معروفة في مصر الى اواسط القرن الثالث عشر ولا عجب فمصر آخر ما اضمحل من اقطار العرب واول من نهض .

فالحسبة والحالة هذه اشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لعهدنا وكان المحتسب او صاحب الحسبة يشرف على المعاملات المنكرة في الدين ويجازي عليها في الحال فينكر ما يجده مثلاً من المنكرات في الاسواق ويشدد على السوقة والباعة في صحة القناطير والارطال والمثاقيل والدراهم والموازين والمكاييل والاذرع ويجري قواعد الحسبة على الطحانين والعلافين والفرانين والخبازين والشوائين والنقانقيين والكبوديين والبواريين والجزارين والرواسين والطباخين والشراحيين والهراسين وقلائي السمك والزلابية والحلاويين والشرابيين والعطارين والشماعين والبانين والبزازين والدلالين والحاكة والخياطين والرفائين والقصارين والحريريين والصباغين والقطانين والكتانيين والصيارف والصاغة والنحاسين والحدادين والاساكفة والبياطرة وسماسرة العبيد والجواري والدواب والدور والحمامات والسدارين[1] والفصادين والحجامين والاطباء

---

(١) السدارون الذين يطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون اذا غش يضر ولاينفع والفاخرانيون والقضاريون وهم الذين يصنعون الصحاف (الزبادي او السلطانيات) والمردانيون الذين يعملون المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامر او من السنط الاحمر والسلاتيون صناع السلات .

والكحالين والجبرين ومؤدبي الصبيان والقومة والمؤذنين والوعاظ والمنجمين وعلى اصحاب السفن والمراكب وباعة قدور الخزف والكيزان والفاخرانيين والغضارين والابارين والمسلاتيين والمردانيين والخساويين والامشاطيين وعلى معاصر السيرج والزيت الحار والغرابليين والدباغين والبططيين والبوديين والحصريين والتبانين والخشابين والقشاشين والنجارين والنشارين والبنائين الى غير ذلك مما يقصد منه منع غش المبيعات وتدليس ارباب الصناعات .

وكانوا يختصون المحتسب بالنظر في امور احداها اراقة الخمور كلها وكسر المعازف واصلاح الشوارع وذلك باب كبير فيه مسائل احداها امر الميزاب والاوحال والارداغ والدكاكة على الباب ومنع جلوس الباعة عليها ومنع سوق الحمر والبقر للخشابين والآجريين ونحوهم ومنع ربط الناس دوابهم فيها ومنع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع ومنع شغل هواء الشارع بالجناح ويسمى برون داشت ومنع المبرز في الجوار بحيث تكون ازالة النجاسة منه بالوقوف في الشارع ومنع الظلة الى غير ذلك من المصالح مثل النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء الافيا يرجع الى الملك كغصب قطعة من الارض ومنع اسبال الازار ونحوه على الكعبين وزجر الرجال عن الشبه بالنساء ومنع النساء عن التشبه بالرجال وامر التنبوليين بطهارة مائهم وتنقية تورتهم عن الحصاة ومنع الناس عن تطيير الحمام ومنع البغايا وتعزيرهن ومنع اوليائهن ومواليهن وازواجهن وامر غير المسلمين بتطهير الاواني التي يبيعون فيها المائعات من الدهن واللبن وامر الغسالين باقامة السنة واجتناب البدعة في غسل الموتى وحفر القبور والحمل وزجرهم عن الغلاء في اخذ الاجرة ونصب الصلحاء وذوي الخبرة بهذه الامور وتفحص الجامع يوم الجمعة والمصلى يوم العيدين واخلاؤهما عن البيع والشراء ومنع الفقراء عن التخطي ومنع القصاص عن القصص المفتراة ومنع النساء السائلات عن الدخول في المصلى ومنع الصبيان والمجانين منه ودفع الحيوانات المؤذية عن العمرانات كالكلاب العقور والنهي عن النجس والامر بالتنظيف ومنع الناس عن الوقوف في مواضع التهم كتحدث الرجال مع النساء في الشوارع ومنع النقاشين والصباغين والصواغين عن اتخاذ تماثيل ذوات الروح[1] وكبر الصور ومنع المسلمين عن الاكتسابات الفاجرة كاتخاذ الاصنام

(١) المنهي عنه الصور المجسمة للتعظيم اما الصور النصفية فلا مانع منها .

والمعازف والصنج وبيع النبيذ والبختج[1] ومنع الناس عن اتخاذ القبور الكاذبة وخروج الناس الى زيارة بعض المتبركين او بعض المساجد على مشابهة الخروج الى الحج ومنع النساء عن التبرج والتفوج بالخروج الى النظارات وزيارة القبور ومنع الناس عن التصرفات في المقابر بلا ملك ومنع المطلسمة والسحار والكهان عن منكراتهم ونهي اصحاب الحمامات عن منكراتهم بتطهير المياه واخلاء الحمام عن المرد ودخول المرأة فيه وامرهم باتخاذ الحجب بين الرجال والنساء ومنع الناس عن تعلم علم التنجيم بما لا يحتاج اليه في الدين وتصديق الناس الكهان والمنجمين ومنع الناس عن بدعة ليلة البراءة ومنع الناس اللعابين بالنرد والشطرنج وتفريق جمعهم واخذ بساطهم وتماثيلهم ومنع القوابل عن اسقاط جنين الحوامل ومنع الجراحين عن الجب والخصاء في الناس ومنع الناس من الاقامة في المساجد ووضع الامتعة فيها ومنع الذي اصابه اللمم عن التكلم بالغيب واجتماع الناس عنده زاعمين انه صادق في اخباره بالغيب ومنع الخطاط ومعلم القرآن ومعلم النحو بأجر عن الجلوس في المساجد ومنع المعلم ونحوه عن اخذ شيء باسم النيروز والمهرجان .

وكانت وظائف المحتسب تزيد وتنقص بحسب البلد ولا تعدو وظائف المحتسب الامور المشتركة بين اهل كل مجتمع فالمحتسب في بيروت يقضي عليه ان ينظر في امور لا ينظر فيها محتسب دمشق مثلاً ففي بيروت يعنى المحتسب بالاحتساب على السماكين والملح والصير والبوري وقلائي السمك والطيور وصياديها ومجاري المراكب وتقديرات المراكب وجميع المدن مشتركة مثلاً في الحسبة على الصيادلة والعقاقير والاشربة والمعاجين والقلانسين والخرازين وصناع الشراك والاساكفة وصناع الخفاف وصنعة السرابات والزفاتين والنحاسين والدهانين وغشهم والمكارية وكساحي السماد وحماله والغرابيل ومناخل الشعر والوراقين والمبهرجين وفيمن يكتب الرسائل على الطرق والرقاع والدروج وكتاب الشروط والوكلاء والقضاة وتدليسهم والميازيب ومضرتها والمراصد والمراقب وطباخي الولائم والمحامل وصناعها والروايا والقرب الى غير ذلك مما كان يستدعيه مجتمعهم ودينهم وعاداتهم ومدنيتهم .

---

(١) البختج كقنفذ عصير مطبوخ واصله بالفارسية ميبخته .

ولقد حدثنا التاريخ ان الناس كانوا يتولون الحسبة بانفسهم عندما تضعف الحكومات لان مصلحة اهل كل بلد لا تتم الا بدفع الاذى بعضهم عن بعض والتواصي بالحق والجاهل في ذمة العالم والضعيف من حصة القوي. واهل البلد الواحد متضامنون معنى وضمناً اذا لم يتضامنوا هلكوا وهيهات ان تتم للفرد فيه سعادة لا تتناول المجموع .

هذا ما لقفناه من بضعة تآليف واكثرها مخطوط ألفت في هذا الباب والتآليف فيها لا تقل عن عشرين مصنفاً. وليت شعري الا ترون ان ما كان يقوم به اجدادنا للاحتفاظ بنظام مجتمعهم ليس هو دون ما تقوم به المدن في البلاد الراقية بما لديها من مجالس بلدية ودوائر شرطة وصحة .

نعم ان تلك الاوضاع قد بلغت عند غيرنا في هذا العصر مبلغاً عالياً من الرقي بفضل قاعـــدة توزيع الاعمال وكثرة الاختصاصيين في كل فرع من الفروع التي تشتد حاجة المدنية اليها ولكن ديوان الحسبة وحده كان يقوم باكثر هذه المقومات في المدن الفاضلة فكانت الحسبة آخـــذة برقاب المنافع دافقة اعناق المضار. ومن الغريب ان عصرنا على رقيه لم يصل في بلادنا الى بعض ما كان يتمتع به اهلها في القرون الوسطى وهذا سر الفرق بيننا وبينهم فسبحان الملهم العظيم .

الحنين الى الاوطان

خرجت امرأة من أهل الحجاز في جماعة من النساء ، فرآها رجل من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فنسبت له ، فخطبها الى أهلها فزوجوه على كره منها ، فهبط بها أرض الشام وخرجت مخرجاً فسمعت متمثلا يقول :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جنوب المصلى أم كعهدي القرائن
وهل ادؤر حول البــلاط عوامر من الحي أم هل بالمدينة ساكن
اذا برقت نحو الحجــاز سحابة دعا الشوق مني برقهـا المتيامن
فلم اتركنها رغبة عن بلادهــا ولكنه ما قدر الله كائن

فتنفست بين النساء فوقعت ميتة :

لو أمسك مصور من حذاق المصورين بريشته ، وأحب أن يصور لنا رجلا حتى الضلوع على الكلف بوطنه ، والعلق بتربته ، لما وجد سبيلا الى انشاء صورة تبلغ من النفوس ما بلغه تنفس هذه الحجازية التي اشتملت جوانحها على قلب أرق من نسم الريح .

ان من حرية الرجل وكرم غريزته نزاعه الى أوطانه ، وتشوقه الى تربته ، والكريم يحن الى جنابه ، كما يحن الأسد الى غابه ، واللبيب يشتاق الى وطنه ، كما يشتاق النجيب الى عطافه ، فالوطن هو عش المرء الذي فيه درج ومنه خرج ، حضنته احشاؤه ، وأظلته افياؤه ، وغذاه هواؤه وماؤه وتربة الصبا كما قيل تغرس في القلب حرمة وحلاوة ، كما تغرس الولادة فيه رقة وحفاوة ..

وما برح الناس في كل قطر ودهر ، وعلى الخصوص أصحاب الخيالات منهم يولعون بأوطانهم فلا يزدادون كبراً الا ازدادوا لبلدانهم حباً لأن الانسان منذ وعى على نفسه وقعت عيناه على منبسط آفاقه ، ومنفسح جوائه ، فألف نظره أرضه وسماءه وماءه وهواءه ، ووهاده وأنجاده ، فاستقر حبها في حواشي صدره وامتزج بأجزاء نفسه ، فلا تنفك صورة تربته ماثلة في ذهنه مدى الليالي ، وسواء على الناس أخصبت بقاعهم أم لم تخصب ، وسواء عليهم أعذب ماؤهم أم لم يعذب انهم لا يؤثرون على وطنهم وطناً ، ولا يفضلون على جنابهم جناباً ، ولو سألت

سكان البلاد الحارة الذين أحرقتهم حمارّة القيظ ، أو أهل الاقاليم الباردة الذين قتلتهم صبارّة القر ، ولو سألت الحضري الذي ألف نضارة العيش أو البدويّ الذي لم يعهد بهجة الدنيا عن أجمل تربة في عينه لقال كل واحد منهم :

بلدي ! بلدي !

قال الجاحظ في الحنين الى الاوطان : وترى الحضريّ يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب فاذا وقع ببلاد أريف من بلاده وجناب أخصب من جنابه واستفاد غنىً حنّ الى وطنه ومستقره .

وترى الأعراب تحن الى البلد الجدْب والمحل القفر ، والحجر الصلد ، وتستوخم الريف ..

فحب الوطن هو الذي جعل الأعراب يأنسون ببقاعهم مع فاقتهم وشدة فقرهم فهم كما قالوا لا يريدون بأرضهم بدلاً ، ولا يبغون عنها حولاً ، نفحتهم غدواتها ، وحفتهم فلواتها ، فلا علولج ماؤها ، ولا يحمى ترابها ، ليس بها أذىً ولا قذىً ، ولا أنين ولا حمى ، وطاؤهم الارض ، وغطاؤهم السماء ، وطعامهم الشمس ، وشرابهم الريح ، يمشي أحدهم ميلاً فيرفض عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس في فيئه فكأنه في ايوان كسرى ولا يعلم أحداً أخصب منه عيشاً .

فلولا الوطن ، لولا الوطن لم يحفل اعرابي بعرار نجد ونفحاته ، ولا طلب سبيلاً الى ريح الخزامى ونسيم النعامى ولا هاجه هبوب الجنوب ولا كلف قلبه بأثلات القاع .

وكثيراً ما شفي العليل في البلد النازح بشربة من مائه ، أو شمة من هوائه، وكانت العرب كما أعلمنا به الجاحظ اذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزلة او زكام او صداع لأن العليل يتروّح بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببلل المطر .

ومن ينظر في شعر العرب يتبين له حنينها الى غوطة دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرف الخورنق وجوسق سر من رأى في بعدها عنها وطول مقامها بغيرها وللأعراب كلام في الحنين الى الاوطان تحسدهم على رقته أعرق الامم في الحضارة .

ومما يؤكد مواقع الديار من قلوب الناس ما جاء في الذكر الحكيم : ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ، فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم .

وسواء في حب الوطن ملوك الناس وسوقتهم ، قال الجاحظ :

كان الاسكندر الرومي جال البلدان ، وأخرب اقليم بابل ، وكنز الكنوز ، وأباد الخلق ، فمرض بحضرة بابل ، فلما أشفى أوصى الى حكمائه ووزرائه ان تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلده حباً للوطن .

فهذا الملك وأمثاله الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة ، ولا غادروا في أسفارهم شهوة ، لم يؤثروا على ترابهم ومساقط رؤوسهم شيئاً من الاقاليم المستفادة بالتغازي ، والمدن المغتصبة من ملوك الامم .

وكان الناس يتشوقون الى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك حتى أوضحها علي بن العباس الرومي في قصيدة لسليمان بن عبد الملك بن طاهر يستعديه على رجل من التجار أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها بقوله :

ولي وطن آليت ان لا ابيعه وان لا ارى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم اصبحوا في ظلالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ومن شغفهم بديارهم ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كان يقول لمعلم ولده: لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

وللامم الغربية مذاهب بعيدة في الحنين الى الاوطان، وقد انتخب البرت سيم طوائف من الكلم استنبطها من آثار كتاب الغرب وشعرائه وأثبتها في مقال عنوانه : المولد. وقع عليه نظري في « المجلة العالمية La revue mondiale » وقد استخرجت من هذا المقال شيئاً من الكلام اذكره على سبيل الايجاز :

لما نفي اوفيد الشاعر اللاتيني الى شواطيء البحر الاسود خرج من دياره وهو يلتفت الى رومة وبوادي وطنه سولمون ويقول: لا ادري اي رونق لهذا الوطن حتى ملك علينا حواسنا فلا نجد سبيلاً الى نسيانه على وجه الدهر .

وكذلك ڤرجيل شاعر اللاتينيين ، فانه لم ينس مولده البائس مدينة مانطو كل حياته ، ولا ذهل هوراس عن بقعة ارضه الباسمة .

قال فلرن في قصيدة له : مهما ضربت في مناكب الارض ، فان البقعة التي رزقت فيها الحياة تلذ لي الاقامة بها وتضحك لي جواؤها اكثر من كل بقعة .

وذكر روسو ايامه التي قضاها في قرية بواسي على مقربة من جنيف فقال : وما فتئت منذ طويت شرخ الشباب ووخطني الشيب اشعر بان ذكرى بواسي تتوقد في خاطري على حين انسى صور غيرها من الذكر وتستقر في محافظتي استقراراً يشتد على تراخي الحقب ، فكنت كمن أحس بدنو اجله فطلب السبيل الى الحياة بتذكر اوائلها وأصغر حوادث تلك الايام يحلو في عيني لانه من تلك الايام.

وانك لتجد العواطف نفسها في كلام لبرناردن دي سان بيير قال : اني افضل باديتي على سائر البوادي ، ولا اوثرها لجمالها ولكنني ربيت ونشأت في آفاقها . . ما أسعد الذي يعود الى الديار التي جعل كل شيء فيها محبوباً .

ولما عاد الجنرال دي يرسول من وقعة روسيا وهو مثخن بالجراح رأى مولده فصرخ اذا من اوڤيلار ! قريتي قبل كل شيء . .

قال لامارتين وقد ذكر وادي ماكونه وهو يحبه حباً جماً : هذا مسكني منذ الصبا ! سلام على ربيعه وصيفه وخريفه وشتائه ، واهاً لي ! تستحثني تصاريف الدهر في كل خطوة اخطوها فلم اعد الى هذه الديار الا لاتنزه فيها ساعات قلائل فاقيس الشجرات التي غرستها لادفن في ظلالها واصلي في جوار قبرين يسيراً من الزمن . .

وكتابات اسكندر دوما تنم عن نزعة الى تربته وتشتمل على وصف جميل لكل ما يحس به في عودته الى ڤيلار كرتره قال في جملة كلام له : دع هذا المولد الذي انشأ في اعماق قلبي ذكراً ثابتة يجتذبني اليه فكلما دنوت من الموت يشتد هذا الاجتذاب فكأن الطبيعة قد جعلت الانسان يفرح بالبحث عن لحده في ظلال مهده.

وقال في مقام آخر : صرفت ثلاثين سنة من عمري في العمل والنزاع حتى سلبني الدهر رونق ايامي وشرخ شبابي ومع هذا فاني انبسط الى هذه القرية الصغيرة التي لا يعرفها احد في العالم وقبل وصولي اليها انزل من العربة فاحصي الشجر واجلس الى بعضه فاغمض عيني واتذكر اموراً مضى عليها عشرون سنة وفي جملة هذا الشجر شجيرات نزلت مني بمنزلة الاصدقاء القدماء وفي جملتها شجيرات غرسها غيري فأمر بها ولا ابالي كما امر برجال لا اعرفهم ولا تهمني معرفتهم .

وقال كراسزوسكي البولوني مخاطباً مولده :

ايتها الارض الجميلة التي تحتفظين بذكرانا بعد انقضاء الاجل !

ايتها الارض العذبة التي حنوت علينا في قديم الدهر !

اننا نودع خلطاءنا ونحن نأمل لقاءهم في السماء، ولكننا اذا ودعناك فاننا لا نرى ابداً بعدك ضياعك المحبوبة ، وديارك وجداولك ، وربيعك وصيفك ، وخريفك وشتاءك وسائر ما رسخت صوره في اذهاننا في عنفوان الشباب !

كيف تكون عنادلك ، وازاهرك وغدواتك وروحاتك ؟

أترحب بنا السماء حتى ننسى من اجلها كل شيء قديم ؟

ومثل هذا الكلام كثير في آثار الافرنجة اجتزىء بالقدر اليسير منه تفاديا من التطويل .

وقد احتفظت منذ ست سنين بمقال أنشأه الاستاذ محمد افندي كردعلي في وداع غوطة دمشق لم أجد في كل ماقرأته من كلام الافرنجة في الحنين الى الاوطان كلاماً يعلو مقال الاستاذ برقة العواطف، وبلاغة المعنى وحسن التصوير وهذا هو المقال:

وداعاً غوطة الفيحاء، مجلى الطبيعة ومغنى الانس، وروضة الطيبات ومهبط التجليات سلام زكي كتربتك المسكية ، جميل جمال بسطك السندسية، عطر كانوار ادواحك الجنية ، وتحية طيبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطل على جناتك الغيباء ، وحواجك الغلباء ، واشجارك الميلاء ، وغلاتك الكثيرة الالاء ..

سلام عليك يامستقر النعماء ، وقرارة الهناء والرخاء ، وخير خلوة يفزع الى ارجائها الناسكون والعالمون ، ويتقلب في اجوائها عشاق الطرب وارباب المجون، فيك تتجسم عظمة خالق السموات اذا بالغ في الافضال على الارضين، وتبدو همة

الخلق اذا صحت عزائمهم ان يكونوا عاملين لا خاملين ، فليس في الاقاليم مايفوقك باعتدال المواسم ، واقتران المباسم ، وتلون المظاهر ، وتنوع الثمرات والازاهير ، وتلوي الجداول والانهار ، وتجلي الطبيعة في العشايا والاسحار ..

سلام على وادي دمشق انه آية الحسن والاحسان ، فيه تتجدد الحياة كل حين لانه بمنزلة الربيع من الزمن ومجالو العيش في ظل أفيائه على سذاجته مهما كان مرآ ، وتطمئن النفس الى التنقل في رباعه برداً كان او حراً ، ايه غوطة جلق ! لم يؤثر عنك ان امسكت من خيراتك عاماً عن ابنائك ، فلا تفتأين على الدهر تخرجين لساكنيك افلاذ اكبادك على تعاقب الامم والدول ، وتصدقين الود لكل من يطلب قربك فيعيش معك في رخاء وصفاء .

سلام على سكونك في الليالي الظلماء والقمراء ، ربيعاً كان او صيفاً ، خريفاً او شتاء ، وهنيئاً مريئاً لمن يستمتعون بالنظر اليك من الصباح الى المساء ، ويتعهدونك بالحوث والكرث والتقليم والتنقية والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارة القيظ وصبارة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم انهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يضنون على ارضهم بأوقاتهم واتعابهم وهي تجودهم ضروب الخير والمير كلما جودوا ازراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كلما وعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم مهما صهرت جسومهم حرارتها ، وصفرت سحناتهم رطوبتها ، بيض الوجوه ، شم الانوف ، لان رزقهم مناط ايديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكلمون الا على من ينزل الغيث ويمرع الزرع ويدر الضرع ، ولو حسن فيها نزع الفضول من العقول ، وانيرت بانوار علوم المدنية على الاصول ، فتعهد ابناؤها بالتربية كما تربى عندهم الرياض والحقول ، وتوقى مما يؤذي الزروع والثمار والبقول ، لكانت خير بقعة يسكنها ساكن في الحياة ولصح عليها قول من قال : طوبى لمن كان له في ارضها مربض شاة .

سلام غوطة دمشق كلما غردت اطيارك ، فلك على المشاعر سجع الحمام واليمام ، وهديل العندليب والهزار ، وتغريد العصفور والشحرور ، وكيف لا تستهوين النفس ، ونعيق الغربان ونقيق الضفادع اذا ورددها الصدى في لياليك يفسرهما القلب بمعان لا تفهم منهما في الكور الاخرى ، كما يفسر في النهار ثغاء الماعز وجؤار البقر وخوار الثيران .

فسلام والف سلام يا كريمة الطبع ، وبديعة الصنع ،وعريقة المجد، ونبيلة الجد والجد ، وزكية العرق ، وهنية الرزق ، وطيبة النجار والمحسنة للأهل والجار ، ففي مغانيك تصفو النفس وتنجو من سماع فظائع الانسانية المعذبة ، وبقليلك — وان كان قليلك لا يقال له قليل — يغتبط الانسان ، ولا يتكالب على حطام الدنيا تكالب الضاري من الحيوان ، ويتطلع الزهرة ربة الجمال من منافذ افقك توحي الى الخيال روحاً من عندها تفيض به القرائح وترق العواطف ، وفي منبسط صعيدك الطيب يسلو الخاطر همومه وتطرب الحواس ، من دون ما كاس ولا نغمة اوتار واجراس . .

في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الالهي في تقسيم الارزاق ، فلا فقر مدقع ولا غنى مفرط ، ويعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً الا قليلا ، يغتني افراد منهم بذكائهم واقتصادهم فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم . فسبحان من وفر للقوطة قسطها من الغنى والغناء ، وضاعف لها حظها من الجمال والاعتدال ، واجزل لها عناصرها الحيوية فزادها كر الجديدين غناء الى غناء .

الى الملتقى ياجميلة الود ، والرجاء ان لا يطول بك العهد ، والسلام ا ه .

وتحصيل المقال ان حب الوطن امر طبيعي في البشر وقد اصبح هذا الحب في عصرنا بمنزلة شريعة تتبعها الجماعات والامم ، وفي كل يوم تقع الينا اخبار تدل على مبالغ الاوطان من قلوب الناس حتى ان شعوب الارض اصبحت تستعذب منایاها في الذود عن حياضها وتجود بعقائل الاموال وذخائر الاعلاق في سبيل ربوعها وديارها واذا لم يستقر حب الوطن في طبقات الرجال وعرت عليهم مذاهب الحرية والاستقلال ، فلا يجدون اليها مخلصاً . (شفيق جبري)

كتاب تهذيب اللغة

« للازهري »

ان جمع كلمات اللغة العربية وتدوين مفرداتها مرّ في ادوار اربعة اصلية :

(الدور الاول) ـ تدوينها كيفما اتفق من دون مراعاة شيء من الترتيب : فكان الاستاذ يملي على الطلاب ابياتاً من شعر العرب . او امثالاً مأثورة عنهم . ويشرح لهم ما فيها من الغريب . وقد تذهب به المناسبة احياناً الى ذكر آية او حديث او مسألة نحوية او اشياء من اخبار العرب وحروبهم وانسابهم وخرافاتهم. فاذا اراد الطالب معرفة معنى كلمة مما علّمه استاذه رجع الى هذه الأمالي المحفوظة لديه . وكان الطلاب يقاسون في البحث عنها عناء وصعوبة شعر بها الخليل بن احمد الفراهيدي (المتوفى ١٨٠هـ) فرحمهم . وانتقل بهم الى الدور الثاني . والف لهم كتاب العين.

(الدور الثاني)ـ تدوين مفردات اللغة بحسب الحروف الهجائية لكن لاباعتبار ترتيبها المعهود الذي يبتدىء بالهمزة وينتهي بالياء بل باعتبار مخارج النطق بها في الفم وهي بهذا الاعتبار اربعة اقسام: حروف مخرجها الحلق وحروف مخرجها اللسان. وحروف مخرجها الاسنان. وحروف مخرجها الشفة . فبدأ الخليل في معجمه المسمى بكتاب العين بالقسم الاول وقدم حرف العين . ثم بالقسم الثاني ثم بالقسم الثالث ثم بالقسم الرابع . ومع هــــذا بقي في مراجعة مفردات اللغة صعوبة لان كل انسان لايقدر ان يميز بين مخارج الحروف فمست الحاجة الى طريقة أيسر وأسهل.

(الدور الثالث) ـ تدوين مفردات اللغة على حروف الهجاء باعتبار ترتيبها المعهود في (الف باء) والمحفوظ على ألسنة الاطفال لكن لاباعتبار أوائلها بل باعتبار أواخرها: فتقدّم الكلمات التي اواخرها همزات ثم باآت الى الياآت: فتذكر (جاء) مثلاً في باب الهمزة فصل الجيم . و (شاء) باب الهمزة فصل الشين و (ضرب) باب الباء فصل الضاد وهكذا . وبقي في الامر بعض الصعوبة زالت في الدور الرابع.

(الدور الرابع) ـ تدوين الكلمات على حروف الهجاء باعتبار اوائلها فتذكر

المفردات التي أولها همزة ثم باء ثم تاء وهكذا الى الياء. وهذه الطريقة هي اسهل الطرائق وسيكون عليها المعول في كل ما يؤلف بعد اليوم من معاجم اللغة كما هو الحال عند الافرنج.

على ان اللغة العربية مازالت محتاجة الى (دور خامس) في تأليف المعاجم وهو

اولاً : إن تذكر فيها مفردات اللغة مرتبة في ابوابها بحسب اوائل صيغتها الصرفية لا بحسب اوائل مادتها اللغوية كما هو ترتيب معاجمنا اليوم : فتذكر (نبر) في باب النون اما (منبر) ففي باب الميم و (أنبار) في باب الهمزة. وتذكر (لعب) في باب اللام اما (ألعوبة) ففي باب الهمزة و (ملعب) في باب الميم. وتذكر (عض) في باب العين اما (تعضوض) وهو ضرب من التمر ففي باب التاء وبهذه الصورة تسهل المراجعة ، ويختصر الوقت ، وليس كل احد من الناس الذين يراجعون في المعاجم يعرفون علم الصرف والاشتقاق .

ثانياً : ان يضاف الى المعاجم صور الاشياء ورسومها . ومصورات البلدان واطالسها : فيرى المراجع معاني كلمات اللغة ماثلة تحت نظره كما يتبين ابعاد البلدان . ومواقع بعضها من بعض .

ثالثاً : ان لا يكتفى فيها بذكر اسم الشيء وانه نبات او حيوان بل يوصف بما يميزه عن مشاركه في الجنس والنوع بعض التمييز .

رابعاً : ان يذكر فيها ايضاً الكلمات المعرّبة والمولّدة والاساليب الانشائية الدخيلة . وغير ذلك مما نرى امثلته في المعجم الفرنسوي المسمى (لاروس) .

وما زالت كتب اللغة التي ألفت في الدورين الاولين محجوبة عنا لا اثر لها في المكاتب . او هي مخبوءة في مكاتب اوربا والاستانة ومصر ، واشهر هذه الكتب (كتاب العين) للخليل . و (الجمهرة) لابن دريد و (البارع) للمفضل . و (تهذيب اللغة) للازهري . و (المجمل) لابن فارس . و (المحكم) لابن سيده. وطالما تشوّقت نفوس عشاق اللغة والادب الى هذه الكتب. وتمنوا لو نشرت بين المتكلمين بالضاد. ولاسيما في هذا الزمن الذي اشتدت فيه الحاجة الى انعاش لغتنا العربية واحياء مادرس من آثارها. فيساعد ذلك على تنمية كلماتها وأساليبها. وتوسيع دائرة التخاطب بها فتثبت قدمها في هذا المعترك الهائل الذي تتزاحم فيه لغات العالم على الحياة والبقاء .

وكم كانت دهشتنا عظيمة مذ ألقى بريد اوربا الى مجمعنا العلمي العدد الاخير من مجلة (العالم الشرقي Le monde oriental) للمستشرق الاسوجي زترستين (K. V. Zetterstéen) . وهي تطبع في (أبسالا) احدى امهات مدن اسوج . فرأينا فيه قسماً من كتاب (تهذيب اللغة) للامام الازهري بنصه العربي، وقد افتتحه ناشره المشار اليه بمقدمة باللغة الالمانية قال فيها ماخلاصته : « انه منذ سنة ١٩٠٤م اخذ يفكر فيما اذا كان من الممكن نشر كتاب التهذيب للازهري ؟ وفيما اذا كان يرجى من وراء نشره فائدة ؟ وبعد بضع سنين تمكن بواسطة الدكتور ريشر (Dr. Rescher) المقيم في الاستانة من ان يحصل على فوتوغرافية الاوراق الاولى من ذلك الكتاب الموجود في مكتبة اياصوفيا برقم (٤٦٧١) . وقد كتب اليه الدكتور يقول : ان ذلك الجزء الذي اخذ عنه الاوراق المذكورة مجلد ضخم رقيق القراطيس ، نسخي الحروف ، واضح الخط ، بعض اشعاره ذات شكل وبعضها غير مشكل . وقال ان الكتاب لا يخلو من اغلاط . وقد كتب بتاريخ ٣ جمادى الاولى سنة ١١٣٩ ﻫ الموافق ٢٧ كانون اول سنة ١٧٢٦ م . قال وان هذا المجلد مفتتح بفهرست مسهب لأجل مراجعة كلماته اللغوية رتبه (محمد عصمت ابن ابراهيم) بأرشاد والعالم الامير الكبير ، الفاضل ابن الوزير ، الدفتري الشهير ، بعزت عليمير ، وذلك سنة (١١٤٢ ﻫ) انتهى .

ثم ان ما نشر في تلك المجلة الاسوجية من كتاب (تهذيب الازهري) يبلغ نحو مئة صفحة . وفي ذيول الصفحات هوامش وتعاليق باللغة الالمانية تصحح بعض اغلاط الكتاب الثابتة في الاصل . او تكمل بعض القطع الشعرية التي اقتصر منها على بعضها . او تنبه على اختلاف النسخ . في نظير ذلك من الفوائد .

والازهري مؤلف الكتاب هو ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر الهروي توفي سنة ٣٧١ ﻫ عن نحو تسعين سنة . وهو احد ائمة اللغة المشهورين المتفق على فضلهم ودرايتهم والثقة بهم . وقد اخذ عن كثيرين : أشهرهم ابراهيم بن عرفة الملقب بنفطويه . وكان الازهري طاف جزيرة العرب لاخذ اللغة عن اهلها، والسبب في هذا الطواف ان القرامطة اعترضوا ركب الحجاج سنة (٣١١ ﻫ) فقتلوا بعضهم واسترقوا بعضهم . وكان ممن استرقوه الامام الازهري وعمره يومئذ ٢٣ سنة . وقد

حكى ذلك عن نفسه في مقدمة الكتاب فقال: ولما وقعت في اسار القرامطة بالهبير كان النفر الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن . واختلط بهم أصرام من تميم واسد نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث ايام النجع . ويرجعون الى أعداد المياه في محاضرهم زمن القيظ. ويرعون النعم ويعيشون بالبانها. ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها . ولا يكاد يقع في منطقتهم لحن ولا خطأ فاحش. فبقيت في اسارهم دهراً طويلا . وكنا نشتي الدهناء ونتربع الصمان . ونتقيظ الستارين . واستفدت من مخاطبتهم . ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة . ونوادر كثيرة . أوقعتُ اكثرها مواقعها من هذا الكتاب (يعني تهذيب اللغة) وستراها في مواضعها اذا اتت قراءتك عليها ان شاء الله) اه

وكتاب (التهذيب) من الكتب المختارة في اللغة يقع في اكثر من عشر مجلدات قاله ابن خلكان. وقد جرى في ترتيبه على ترتيب (كتاب العين) اي بحسب مخارج الحروف . وصدره بمقدمة أورد فيها اسماء أئمة اللغة ورواتها حسب طبقاتهم . مع خلاصة تراجمهم. والقدح في بعضهم . ومن كتاب التهذيب نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا وهي النسخة التي أخذ عنها القسم المنشور في المجلة الاسوجية . ونسخ اخرى في مكتبة نور عثمانية وكوبرلي في الاستانة ايضاً. ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب. وفي المكتبة السلطانية بمصر جزءان كبيران يتضمنان نحو الفي صفحة ينتهي الثاني بمادة (ذرا) ذكر ذلك جرجي زيدان في كتابه تاريخ الآداب العربية .

اما القسم الذي ارسل الينا فيبتدىء بالعين والحاء وينتهي بمادة (ثع) واوله هكذا بعد التسمية (الحمد لله بكل ماحمد به اقرب عباده اليه الخ) وبعد ان اكمل مقدمته في بيان طبقات أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في كتابه قال: (وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أُدخِلَ في لغات العرب من الالفاظ التي ازالها الاغبياء عن صيغتها . وغيّرها الغُتْم عن سننها (والغتم جمع أغتم وهو من لا يفصح شيئاً) فهذبت ماجمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي. ولم احرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم اعرف اصله . والغريب الذي لم يسنده الثقات الى العرب اه)

فمثال ما هذبه وردّه عليهم من الخطأ قولهم ان العرب ربما سموا الشيء باسم غيره اذا كان معه او من سببه : فالعقيقة أصلها شعر رأس الطفل حين يولد ثم سموا الشاة التي تذبح عنه عقيقة لما ذُكر . فرد المؤلف هذا فقال : أصل معنى (العق) الشق والقطع وسميت الشاة التي تذبح عن الطفل عقيقة لانه يعق أي يشق حلقومها وودجاها .

وقال في حديث واثلة « انه (ص) ثرد ثريدة ثم شعثها ثم لبقها ثم صعبها » (لبّقها ليّنها وصعبها جمّع وسطها وقور رأسها) وأما قوله (شعشعها) فقـال بعضهم معناه خلط بعضها ببعض كما يُشعشَع الشراب بالماء . وقال آخرون معنى شعشها رفع رأسها وطوّله من (الشعشاع) وهو الطويل من الناس . قال المؤلف: ورواه أبو عبيدة وابن الأعرابي (ثم سغسغها) أي روّاها دَسماً .

وقال أيضاً : قال بعضهم (رجل مذعذع) اذا كان دعياً . فقال المؤلف لم يصح لي هذا الحرف من جهة من يوثق به . والمعروف بهذا المعنى (مدغدع) بالدال المهملة والغين المعجمة .

ومن فوائد هذا القسم الذي وقع إلينا من ذلك الكتاب ان من معاني (العقيقة) سهم الاعتذار وقد سأل المبرد ابن الاعرابي عن معناه فقال : قالت الاعراب : ان أصل هذا ان يقتل رجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه فيجتمع جماعة من الرؤساء الى أولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألونهم العفو عن الدم قالت الاعراب فان كان وليه قوياً حمياً ابى أخذ الدية وان كان ضعيفاً شاور أهل قبيلته فيقولون للطالبين ان بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي قال فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون نأخذ سهماً فنركبه على قوس ثم نرمي به نحو السماء فان رجع إلينا ملطخاً بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية وان رجع إلينا كما صعد فقد أمرنا بأخذ الديةقال فما يرجعهذا السهمإلا نقياً من الدمولكن لهم بهذا عذر عندجهالهم.

ومن فوائده ان من علامة الصلح عند الاعراب مسح لحاهم وقد قال شاعرمن أهل قتيل كان غائباً عند الصلح على دمه « يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى » .

ومنها : قال ابو حاتم فيا ألف من الاضداد زعمبعض شيوخنا انه يقالللفرس الحامل عقوق (ومنه المثل اعز من الابلق العقوق) قال ويقال للحائل ايضاًعقوق

قال ابو حاتم وأظن هذا على التفاؤل (يعني لا من التسمية بالضد) .

ومنها : ان الجبل الذي بمكة انما سمي قُعيقعان لأن قبيلتين من قريش اقتتلتا عنده فسمي به لقعقعة السلاح فيه ، لكن روي عن السدي انه قال سمي به لأن جرهماً كانت تجعل فيه قسيها وجعابها ودرقها فكانت تتقعقع وتصوت (يعني ان الجبل كان بمثابة مستودع سلاح في زمن قبيلة جرهم التي كانت تسكن وادي مكة قديماً ثم انقرضت)

ومنها : قال أبو القمقام الاعرابي غبت غيبة عن أهلي فقدمت فقدّمت الى امرأتي عكّتين من سمن فقالت حلّني أكسني فقلت :

تسلأ كل حرة نحيين   وانما سلأت عكتين

ثم تقولي اشتر لي قرطين

وزاد عليها في لسان العرب قوله :

قرطك الله على الاذنين   عقارباً تمشي وأرقمين

و (السلأ) تذويب السمن وتصفيته من الشوائب « ويظهر من قوله (وانما سلأت عكتين) ان سمن العكة يكون أجود من سمن النحي عادةً وانما قلنا هذا ليصح امتنانه عليها بالعكتين » .

ومنها : قال أبو عبيد عن الاحمر (العِضّ) من الرجال الداهي المنكر قال القطامي :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم   يثورها العضان: زيدٌ ودَغفل

(زيد) هو النميري و (دغفل) هو النسابة المشهور . ووصفهما بكونهما عضّين لأنهما كانا عالمي العرب بانسابها وأيامها وحكمها ومعنى (يثورها) يبحث عن معانيها ومنه ما ورد « من أراد العلم فليثوّر القرآن » و « غلق مضٌّ » لا يكاد ينفتح . وان فلاناً لعضاض عيش أي صبور على الشدة . والتعضوض تمر أسود شديد الحلاوة « سمي بذلك لأنه يعض على الحنكين وقت المضغ لشدته » وقال المؤلف : وقد أكلت التعضوض البرنيّ وما علمتي أكلت تمراً أحمت حلاوة منه . ومنبته هجر وقراها . « البرنيّ من أجود أنواع التمر . وأحمت حلاوة أي أشد حلاوة » .

ومن فوائده : « العسوس » من الرجال الذين يقل خيره و « العسوس » من النساء التي لا تبالي ان تدنو من الرجال . و « العسس » التجار الحرّصاء .

ومنها : « تسعسع » الرجل هرم وولّى وفني الا اقله . وأنشد رؤبة :

قالت وما تألو به أن ينفعا ياهند ما أسرعَ ما تسعسعا

«ومانألو به الخ اي ماقصرت في أن تسمعه، والمعنى ان تلك لمرأة قالت لصاحبتها على مسمع من رؤبة: قدشاخ رؤبة وكبر واسرع اليه الهرم والفناء وقريب منه قولهم: «تسعسع عمر» يعنون انه اضطرب من الكبر وتغير الى الفساد وانشد عمرو بن شاس:

وما زال يزجى حب ليلى أمامه وليدين حتى عمره قد تسعسعا

ومن فوائده : انه قرىء «ليخرُجن» الأعزُ منها الأذلّ» على ان الفعل ثلاثي و « الاذل » حال من الاعز ، فيكون أدخل الالف واللام على الحال والمعنى ليخرُجن العزيز منها ذليلا .

ومنها : « العطعطة » صياح المّجان وقال الليث هي حكاية صوت المجّان اذا قالوا : عيط عيط عند الغلبة فيقال هم يعطعطون « والمجان جمع ماجن الشباب يجتمعون للهزل واللهو والضحك فاذا قال احدهم قولاً او فعل شيئاً مضحكاً صرخوا من كل جانب ضاحكين بعضهم على بعض عيط عيط فهذه هي العطعطة » .

ومنها : «الحسب العدُّ» القديم و «العدُّ» في أصل معناه البئر ذات المياه التي لا ينقطع مددها او هي القديمة من الركايا قاله ابو عبيدة وانشد :

فوردت عداً من الاعداد أقدم من عاد وقوم عاد

ومنها : يقال « انقضت عدّةُ الرجل » اذا انقضى اجله « يعني مات ، اما عدة المرأة فهي أيام اقرائها وأيام حدادها على زوجها » .

ومنها : يروى الحديث هكذا : « ما زالت أ كلة خيبر تُعادُّني فهذا أوان انقطاع أبهَري» قال الاصمعي «تعادُّني» من العداد وهو الشيء الذي يأتي لوقت معين مثل الحمى الربع والغب . وكذلك السم الذي يقتل لوقت معين . فمعنى قوله ﷺ تعادُّني تراجعني بألم السم في اوقات معلومة « والرواية المشهورة تعاودني بالواو من العود » . وقال ابن السكيت : اذا كان لاهل الميت يوم او ليلة يجتمع فيه النساء للنياحة عليه فهو عداد لهم وقال ابو عمرو : يقال به عداد من اللمم وهو شبه الجنون يأخذ الانسان في اوقات معلومة .

انتهى ما رأينا تعليقه على هذا القسم من كتاب التهذيب الازهري وربما علقنا شيئاً على الاقسام الاخرى متى وقعت الينا ان شاء الله تعالى . المنوبي

تكريم العلماء العاملين

رأت الحكومة المنتدبة ان تكرم العلم والعمل الممثلين في شخص الاستاذ الشيخ سعيد الكرمي نائب رئيس مجمعنا العلمي فمنحته وسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه . وقد رأت دولة دمشق ان تشارك في هذا الاكرام فعقدت لتعليق الوسام حفلة في بهو دار الحكومة دعت اليها العلماء وكبار الموظفين واركان الانتداب . وكان ذلك قبل ظهر اول شهر ايلول من سنة ١٩٢١ وقد ترأس الحفلة حاكم دولة دمشق دولة حقي بك العظم ولما انتظم عقدها افتتحها حضرة الاستاذ محمد افندي كرد علي مدير المعارف العام ورئيس مجمعنا العلمي بالخطاب التالي :

يعلق الآن وسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه على صدر عالم كبير من علماء الامة خدم مجتمعها الترقيته ونهوضه وسعى لاحياء آدابها لينير بها الافكار الحاملة المظلمة .

الاستاذ الشيخ سعيد الكرمي من الاعضاء العاملين في المجمع العلمي العربي توفر منذ نشأته على خدمة الغرض الذي انشىء لاجله وهو خدمة اللغة العربية في علومها وآدابها وبث الحضارة العربية في نفوس قراء لغتنا ، ودار الآثار التي انشأها المجمع ودار الكتب التي زاد في اسفارها ضعفاً والمحاضرات التي يلقيها كل اسبوع اعضاؤه ورجال العلم من اهل الاخصاء ومجلته التي تنشر كل اعماله كل ذلك من الاعمال التي قام بها مجمعنا على كثرة المقاومين في مبدأ امره ولم يلق معاضدة فعلية الا في السنة الماضية بفضل حكومة دولة دمشق وممثلي رجال الانتداب .

اقول حكومة الانتداب والأولى ان اقول رجال فرنسا فان مجمعنا في الحقيقة اثر من آثار المدنية الفرنساوية التي عمت هذا الشرق القريب منذ قرون بل ان العالم المتمدن بأسره عيال على مجامع فرنسا وعلمائها واليهم يرجع الفضل الاول في انشاء مثل هذه المجامع والمجالس والجمعيات .

كان رجال العلم والمشرقيات من الفرنسيس منذ اول نشأة المجمع يعاضدون عملنا وينشطونه . عاضدوه باقلامهم وكتبهم ومجلاتهم ومن جملة رضاهم عن عملنا هذا

الوسام الذي نحتفل بتعليقه على صدر عظيم من عظمائنا فجاء هذا العمل برهاناً آخر على حب فرنسا للعلم وتقديرها الفضائل وان كانت في هذا الباب غنية عن البراهين فباسم اخواني اعضاء المجمع العلمي نقدم الى سعادة مندوب حكومة فرنسا في هذه الدولة شكرنا الخالص على عطف حكومة الجمهورية المعظمة على العلماء العاملين منا ويسرنا ان يكون الاستاذ الكرمي اول من احرز الفخار في هذه الديار بين ابناء طبقته بتقلد وسام جوقة الشرف واننا كلنا معاشر اخوانه نغتبط بانه نال ما نال جزاء علمه وعمله واخلاصه ووطنيته . وحكومة دمشق تهنيء الاستاذ المحتفل به وتفاخر بان في رجال حكومتها افراداً مثله يصرفون ليلهم ونهارهم في خدمة الآداب والفضائل وان يكون في عاصمتها هذا المجمع الذي لم توفق مصر حتى الآن على ارتقائها الى تأليف مجمع مثله . وفقنا الله الى ما فيه سعادة الوطن وخدمة بنيه .

ولما اتم خطابه نهض حضرة الكرلونيل كاترو مندوب المفوضية العليا في دولة دمشق وارتجل خطاباً بالافرنسية هذا هو :

Messieurs,

Avant de remettre à CHEIKH Said el Kermi les insignes de Chevalier de la Légion d'Honneur, il me plait de faire ressortir ici l'esprit dans lequel le Gouvernement de la République Française a été amené à conférer, à ce savant respecté, ce témoignage de sa sympathie.

Messieurs, la personnalité de Cheikh Said el Kermi mérite notre respect et nos hommages. Nous honorons en lui son patriotisme ardent et éclairè, sa vie de haute droiture, sa science et ses luières. Réputé par ses écrits et par ses connaissances, il s'est acquis de nouveaux titres à votre reconnaissance, par l'aide efficace et précieuse qu'il a apportée à votre Académie Arabe dont Mr. le Directeur Généràl de l'Instruction Publique faisait, il y a un moment, si éloquemment l'éloge.

Le nom du Cheikh Said el Kermi est desormais lié à celui de cette savante compagnie, conservatoire de votre langue et de votre littérature nationale, foyer de science où les novelles générations viennent renouer le lien qui les rattache à vos illustres, devanciers. Que cette noble institution soit l'objet de la sollicitude du Gouvernement Mandataire,

que la Nation Française toujours éprise de lumière intellectuelle, toujours admiratrice de votre culture arabe, souhaite le développement de votre Academie, c'est là un fait que vous mêmes avez reconnu. En decorant aujourd'hui l'un des membres eminents de cette compagnie le, Gouvernement Français honore à la fois l'Institiution et le Maitre.

Au demeurant, Messieurs, notre sympathie pour votre noble langue s'ést affirmee, vous le savez, dans d'autres occasions. Rappellerai-je ici, la visite que Mr. le General GOURAUD a faite il y a deux mois à votr Ecóle de Medecine et les paroles qu'il a prononcees ? L'Ecole de Medccin de Damas doit devenir un centre de science medical de premier ordre et contribuer à restituer à votre ville son rang de metropole intellectuelle de l'orient. Certes, Messieurs, vous avez un grand passe, mais parmi vos titres de gloire, le plus beau, n'est-ilpoint dans cette reputation de science que Damas avait acquise C'est par le developpement de l'enseignement à tous les degres. par celui de l'enseignement superieur surtout, que vous reprendrez ce rang. J'ai confiance que Damas, oū les intelligences sont si vives, saura reconquerir cette place, que le Caire aurait pu occuper ainsi que le disait tout à l'heure S. E. Mohamed KurdAli.

J'ai confiance que, sachant altier l'esprit de la science moderne, à vos antiques formes de langage et de civilisation vous saurez marcher vers le progrès. Dans cette voie l'aide de Puissance Mandataire vous est assurée

وهذه ترجمته :

ايها السادة :

قبل ان اسلم الشيخ سعيد الكرمي وسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه (فارس) يسرني ان اوضح هنا الفكرة التي دعت حكومة الجمهورية الفرنساوية لان تقلد هذا العالم المحترم برهان محبتها هذه .

ايها السادة : ان شخص الشيخ سعيد الكرمي مستحق لاحترامنا واعتبارنا فاننا نكرم به وطنيته الصحيحة والمبنية على التعقل وحياته الممتازة بحسن الاستقامة وعلومه الوضاءة واذ قد اشتهر بكتاباته ومعارفه فقد اكتسب عنواناً جديداً لامتنانكم لما يبذله من المعاضدة الجدية والثمينة الى مجمعكم العلمي العربي الذي ذكره

الآن حضرة مدير المعارف العام بكل ثناء وتمداح .

ان اسم الشيخ سعيد الكرمي سيبقى بعد الآن مرتبطاً بهذا المعهد العلمي الحافظ للغتكم ولبلاغتكم الوطنية والذي هو منبت علوم تجدد به الاعصر الجديدة الارتباط الذي يعلقهم باسلافكم المجيدين وهذا المعهد الشريف ليكن دوماً مظهراً لعناية الحكومة المنتدبة والامة الفرنساوية الكلفة بالضياء العقلي والتي هي معجبة ابداً بآدابكم العربية وتتمنى رقي وتقدم مجمعكم العلمي ان هذا لامر عرفتموه انتم .

واذ تمنح اليوم الحكومة الفرنساوية الوسام الى احد اعضاء هذا المعهد الاجلاء فهي بالوقت ذاته تكرم المعهد والاستاذ معاً .

ومع ذلك فان محبتنا وميولنا ايها السادة للغتكم الشريفة قد تأيدت كما تعلمون في وسائل اخرى واني لاذكر هنا الزيارة التي قام بها قبل شهرين حضرة الجنرال غورو الى مدرستكم الطبية والاقوال التي نطق بها هناك ، ان المدرسة الطبية في دمشق ستصبح مركزاً من الدرجة الاولى للعلوم الطبية وستساعد بان تعيد لمدينتكم مقامها الباذخ كعاصمة الذكاء في الشرق .

نعم ايها السادة ان لكم ماضياً كبيراً وبين القاب الشرف التي حزتم عليها لم يكن اشرف من شهرة العلوم التي اكتسبتها دمشق .

فبتعميم التعليم بين كل الطبقات وخصوصاً بالتعليم العالي تسترجعون هذا المقام. واني اثق بان دمشق التي يتحلى بها الذكاء الوقاد ستستعيد هذا المقام الذي كان على مصر ان تتولاه كما قال الآن صاحب السعادة محمد افندي كرد علي ولي ملء الثقة أيضاً انكم اذ تعلمون ان تضموا روح العلوم الحديثة الى اساليب لغتكم وآدابكم القديمة انكم ستسيرون على طريق النجاح . وفي هذه الطريق ستكون مساعدة الدولة المنتدبة لكم محققة .

عند تعليق الوسام على صدر الشيخ قال :

باسم رئيس جمهورية فرنسا
وبحسب التفويض الممنوح لي
اجعلك فارساً في جوقة الشرف

اني اهنئكم حق التهنئة واكرم بكم الوطنية المتنورة والعلوم العربية ولغتكم الجميلة.

عندما قام الاستاذ المحتفل به والقى خطاباً قال فيه :

يا سليل العظماء واصيل السادة العصماء يا صاحب الدولة حاكم دولة دمشق ويا حضرة القائد الباسل والمقدام الكامل مفوض فخامة المندوب السامي للدولة المنتدبة .

لما اسعدني الحظ بوقوفي بين هؤلاء السادة الاكابر لا تقلد الوسام الذي لا يعطى الا لأهل المآثر :

عطست بانف شامخ وتناولت　　　يدي الثريا قاعداً غير قائم

وكيف لا وانا الآن مطمح نظرين عليين يسعد بها الشقي ويستفيد فكيف بالسعيد نظر الحكومة المنتدبة ام الحضارة والحرية والمدنية ناشرة لواء العلم في العالم حتى نشطت كل الامم لسلوك سبيلها ونظر امير البلاد وابن امرائها حاكم دولة دمشق الاجل خير حفيد لاجداده الامجاد فكما شاد اسلافه معاهد العلم في هذا الوطن وقلدوا الامة عقود المنن اخذ حفظه الله يجدد تلك المآثر الزاهرة بالمظاهر الباهرة وشاهدي ما هو مشاهد من تقدير اعمال الرجال ومكافأتهم بخير النوال الا ان تكريمي بهذا الوسام الجليل ليس من هذا القبيل بل من حسن الظن بهذا العاجز الضعيف اذ لست اهلا لذلك ولكن لما جبل على حسن الشيم مهديه رأى نفسا حين رآني والمرء مرآة اخيه وكيفما كان الحال فقد صرت الآن كاسمي سعيداً وساخطو في خدمة امتي ان شاء الله شوطاً بعيداً فاني حملت منة اثقلت كاهلي وضاق عن شكرها لساني وقلبي وسأواظب على الدعاء للوطن الذي شرفني خدمته وبجلتني بغير استحقاق امته ان يسعد في عهد الحكومة الحاضرة التي لا تألو جهداً في اسعاده وان يوفق اهله للتعاضد بنصح واخلاص في خدمته لينهضوه من كبوته وينالوا الذكر الجميل في الدنيا الحاضرة والاجر الجزيل في الآخرة حين يندم المتهامل في عمله ويبلغ الصادق المجتهد غاية امله وفي الختام اقول :

ان نفسي قد انبتني وقالت　　　لست ياذا الفضل بالمستحق

قلت لو لم اكن سعيداً بحق　　　لم انل حلية المعاني بحقي

ثم ختمت الحفلة بتعليق الوسام على صدر الاستاذ بيد مندوب المفوض السامي الكولونيل كاترو بالمراسم المعتادة وفي خلال ذلك انشد حضرة يوسف بك السبع ترجمان دولة الحاكم بيتين من الشعر في تهنئة الاستاذ وهما :

لا زلت في جوقة العرفان قائدها   اذ انت احييت فينا سيرة السلف
واليوم فيك لنا قول نؤرخه   حقاً نرى فارساً في جوقة الشرف

ثم انصرف القوم مهنئين الاستاذ بما نال . .

انصار العلم

ان صاحب المعالي احمد تيمور باشا احد اعضاء الشرف في مجمعنا العلمي خلد له التاريخ اياديه البيضاء على العلم واهله بما بذله من الهمة الشماء في تعزيزه باقتناء الكتب النفيسة واهداء كثير منها للطالبين تعميماً للفائدة وعملاً بقول الامام الشافعي رحمه الله :

العلم ينهى اهله   ان يمنعوه اهله

فمن اياديه على مجمعنا ما تكرم به مراراً من اهداء عدة كتب مفيدة ومما نسطره له بمداد الشكر والامتنان انه احيا لنا كتابين من الكتب النافعة كانا ناقصين في دار الكتب العربية احدهما كتاب سر الصناعة للامام ابن جني والثاني كتاب قاموس الاطباء لمدين القوصوني فاخذ حفظه الله يستنسخ الاجزاء الناقصة ليكمل الكتابان المذكوران وتعمم فائدتهما فجزاه الله عن العلم خيراً وهو فاعل ان شاء الله .

من نفائس الاثار

لحضرة الاستاذ سعيد الكرمي مقالة افتتاحية في الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي العربي عنوانهـــا نفائس الآثار أتى بها على ذكر مااقتناه المجمع مؤخراً من المخطوطات النفيسة، من ذلك كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد تاليف شهاب الدين احمد بن ماجد النجدي من اعيان القرن التاسع الهجري، ورسائل المؤلف نفسه هي اراجيز ذات ابحاث مختلفة اكثرها في الملاحة ومايتعلق بها .

وختم الاستاذ الكرمي مقالته بقوله : «ولم اجد في كل هذه الرسائل سالماً من التحريف الا الارجوزة الاخيرة وهي المنسوبة لعلي بن ابي طالب (رضه). وبالجملة فان هذا الكتاب من النوادر التي لم نرَ في بابه مثله وحبذا لو نجد منه نسخة صحيحة سالمة لنقابل هذي عليها .»

ومن غرائب الاتفاق ان وردتنا في الشهر الفائت نشرة بالافرنسية من الكتبي پول غطنر (Paul geuthner) في شارع جاكوب رقم ١٣ في باريس. عنوانها مؤلفات ابن ماجد الملقب باسد البحر – ربان واسكودي غاما (الذي طاف حول الارض). استخرجها وترجمها وعلق حواشيها غبريال فران (د) (Gabriel Ferrane)

وسيصدر هذا الكتبي اربعة مجلدات :–

(الاول) فوائد في الملاحة لابن ماجد منقولاً بالتصوير الشمسي عن المخطوطات النادرة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٢٩٢، ٢٥٥٩ وسيقع في ٢٩٨ صفحة عربية .

(الثاني) فوائد في الملاحة لسليمان المهري منقولاً بالتصوير الشمسي عن مخطوطات رقم ٢٥٥٩ وهي مباحث نثرية وستقع في ٢٦٢ صفحة عربية .

(الثالث) ترجمة الاقسام الجغرافية في المخطوطات المذكورة وشرحها مع تفسير الاصطلاحات العربية في فن الملاحة .

(الرابع) تراجم بعض الادلاء (Routiers) القدماء البرتوغال .

وسيظهر المجلد الاول في تسعة كراريس كل منها ٤٨ صفحة وثمن الكراس الواحد عشرون فرنكا على شرط الاشتراك في الكراريس جميعها .

ولقد اطنب الاستاذ فران في مدح ابن ماجد وعزا الفضل في تفوق الملاحة البرتوغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الى المعلومات التي اخذها البرتغال عن العرب .

ووصف كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد فقال انه يتضمن البحث عن اصول الملاحة وحجر المغناطيس ومنازل القمر الثمانية والعشرين والنجوم التي تقابل اقسام الابرة المغناطيسية الاثنين والثلاثين (الحك) . وعرض بعض الثغور على الاوقيانوس الهندي والبحر الصيني وشكل البرود (جمع بَرد) ومراسي ساحل الهند الغربية ، والجزر العشر الكبرى المشهورة — شبه جزيرة العرب ، جزيرة قمر او مدغسكر ،سومطره ،جاوه ،الغوراو فرموزه ،سيلان، زنجبار ، بحرين وابن غوان Gawan في خليج فارس ، سوقطره — والرياح (المواسم) Moussono — الرياح الدورية في المحيط الهندي وختام هذه المباحث وصف البحر الاحمر بالتفصيل — ذكر مراسيه واعماقه وصخوره الظاهرة والخفية . ويقول (سلان) Slane في برنامج ٢٢٩٢ ان لغة هذه المخطوطات تكثر فيها الاصطلاحات التي لم تكن معروفة الا عند ملاحي البحر الهندي .

ويتلو هذا وصف «حاوية الاختصار في اصول علم البحار» وهي ارجوزة تحتوي على احد عشر فصلًا تبحث عن العلامات التي يجب على الربابنة معرفتها استدلالًا على قرب البر،وعن منازل القمر ومهاب الريح ،وعن السنة الهجرية والرومية والقبطية والفارسية ، وعن معرفة الباشي (?) Basi ورياحها (المواسم) وازمنة هبوبها وسكونها (على الحساب الفارسي) وعن طريق سير السفن على ساحل العربية والحجاز وسيام وشبه جزيرة ملقا واطراف بلاد الزنوج الخ . وعلى سواحل الهند الغربية وسواحل القورومندل والناط والبنغال وسيام حتى جزيرة بليطون والمهراجا (جاوه) والصين وفرموزه ، وعن سير السفن على سواحل جزر مهراجا وسومطره والقال (لكيديفنيا) ومدغسكر واليمن والحبش وبلاد الصومال والاطوح (جنوبي العربية)

والقران ، وعن المسافات بين الثغور العربية والثغور الهندية . وعن عرض الثغور على البحر الهندي الخ.

ثم اتى على ذكر الاراجيز والقصائد التالية :

(١) ارجوزة موضوعها الملاحة في خليج بربرا او عدن تاريخها سنة ١٤٨٥

(٢) ارجوزة في معرفة القبلة في جميع الاقطار تاريخها ١٤٨٨

(٣) ارجوزة من مئة بيت على بر العرب في خليج فارس

(٤) ارجوزة من ٢٢٠ بيتاً على فائدة الاستدلال ببعض النجوم في بنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى على السير في البحر .

(٥) ارجوزة (والاستاذ الكرملي ذكر انها قصيدة من بحر البسيط) اولها :

يا ايها الناس مهما شئتم قولوا   الارض معلومة والبحر مجهول

وهو الصحيح واسمها كنز المعالمة (وفي النشرة الافرنسية كنز المعلم) وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج واسمائها واقطابها – وكان يطلق عليها للاختصار (كنز المعالمة) وتاريخها قبل ١٤٨٩

(٦) ارجوزة من ٢٥٥ بيتاً تتضمن ذكر المرامي على ساحل الهند الغربية وعلى ساحل العربية الواقعة بين الدرجة السادسة والدرجة الرابعة والعشرين والدقيقة الخمسين شمالاً .

(٧) ارجوزة من ٦٤ بيتاً اسمها (الميمية) موضوعها فائدة بعض النجوم الشمالية في سير السفن . تاريخها قبل ١٤٨٩

(٨) ارجوزة من ٥١ بيتاً (من الرجز المخمس) تتضمن ذكر الكواكب المفيدة في الملاحة .

(٩) ارجوزة من ١٣ بيتاً على الشهور الرومية – تاريخها قبل ١٤٨٩

(١٠) ارجوزة من ١٩٢ بيتاً اسمها (ضريبة الضرائب) في ذكر الكواكب النافعة في الملاحة – تاريخها قبل ١٤٨٩

(١١) ارجوزة من ١٨ بيتاً منسوبة لعلي بن ابي طالب في معرفة منازل القمر وحقيقتها في السماء واشكالها وعددها واوصافها التامة – تاريخها قبل سنة ١٤٨٩

(١٢) قصيدة من ١٧٢ بيتاً اسمها (المكية) في الطرق البحرية من جدة الى راس قرتك (جنوبي بلاد العرب) فكاليكوث فذابول فالكنكان فالغزارة فالاطوح فهرموز (والارجح ان بعض هذه الاسماء محرف بنقله من العربية الى الافرنسية)

(١٣) ارجوزة من ٥٦ بيتاً اسمها (نادرة الابدال) على النسر الواقع والعيوق.

(١٤) قصيدة من ١٩٤ بيتاً اسمها (الذهبية) تبحث عن الصخور البحرية وعن الاعماق وعلامات البر الخ – تاريخها قبل ١٤٨٩

(١٥) قصيدة من ٥٧ بيتاً في الضفدع والاسماك والحيتان.

(١٦) ارجوزة في مراقبة بعض النجوم والابراج.

(١٧) تسعة فصول نثر مختصرة في المارذا (?) Mariza وسبر الاغوار في المحيط الهندي.

(١٨) ارجوزة من ٣٠٥ ابيات عنوانها (السبعية) في مباحث بحرية وتاريخها سنة ١٤٨٣

(١٩) ارجوزة من ٣٣ بيتاً لا اسم لها ولا تاريخ موضوعها علم الفلك في الملاحة.

(٢٠) قصيدة من ١٥٥ بيتاً اسمها (الهادية) في النجوم التي توافق رسوّ السفن وفي وصف المراسي على الشواطىء من (صني) الى دابول.

وفي هذه المخطوطات ذكر لثماني رسائل أخر في الملاحة لابن ماجد لم يظفر بها بعد.



ان صاحب هذه المصنفات هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر بن فضل بن (دويك ? Duvik) بن يوسف بن حسن بن حسين بن علي معلق السعادي بن علي ركائب النجدي. وهو يلقب نفسه بشاعر القبلتين أي مكة والقدس الذي حج الى الحرمين الشريفين – سليل الاسود (وكني بهم المعلمين الثلاثة أي الربابنة المشهورين في زمانه الذين عاشوا في القرن الثامن للميلاد ووضعوا أصول الملاحة وقد كانت مجهولة من قبلهم) رابع الثلاثة (أي الربابنة الثلاثة) أسد البحر الهائج. كتب هذه رسالة في الملاحة في البحر الاحمر خدمة للسفن التي تقل الحجاج

وزاد عليها والده (أي والد ابن ماجد) نتيجة اختباراته الشخصية ثم قام ابن ماجد نفسه وفاق والده وجده واكمل ما سبقاه اليه .

★ ★ ★

وفي الحقيقة ان رسائل ابن ماجد في الملاحة وتاريخ كتابتها بين ١٤٦٣ و ١٤٨٩ — ٩٠ انما هي مجموعة كاملة لكل ما عرف في أصول هذا الفن علماً وعملاً الى أواخر العصور المتوسطة . ولحسن الحظ قد حفظت مؤلفاته الى أيامنا هذه . ومما يدعو الى الاعجاب والاستغراب وصفه للبحر الاحمر فانه وان كان فيه شيء من الخلل في حساب العرض ناشيء عن قصور الآلات التي كانت تستعمل في زمانه فهو مما لم يسبقه اليه بل لم يدانه فيه أحد من الكتاب الاوربيين الذين كتبوا في الملاحة الشراعية . كذلك ما كتبه عن الرياح (المواسم) الدورية وعن الرياح المحلية وعن طرق السير الى الاساكل في المحيط الهندي فانه كله في غاية من الدقة والكمال بل لا يمكن ان يكتب أفضل منه في القرن الخامس عشر فضلاً عن انه لا يوجد في أية لغة كانت لذلك العهد شيء من مثله .

هذا وناهيك ان ابن ماجد هو شخص تاريخي معروف وسنثبت بالمستندات الراهنة انه هو الربان العربي الذي سير الاسطول البرتوغالي بقيادة فاسقودي غاما من مالندي على ساحل افريقية الشرقية الى كلكتا في الهند .

وقواعد الملاحة التي وضعها ابن ماجد ظل البحارة المسلمون في ملديفيا على اعتمادها الى اواسط القرن التاسع عشر . ولقد ذكر برتن الانكليزي ان بحارة عدن في سنة ١٨٥٤ كانوا قبل السفر يتلون الفاتحة اكراماً للشيخ ماجد (مخترع الابرة المغناطيسية) ولا ريب ان المقصود بالشيخ ماجد هو ابن ماجد نفسه لا سواه .

★ ★ ★

والقسم الاخير من تلك النشرة مخصص بالرسائل الخمس لسليمان بن أحمد المهري (نسبة الى مهرة في جنوبي بلاد العرب) المحمدي الذي عاش في النصف الاول من القرن السادس عشر وعنوان الرسالة الخامسة تحفة الفحول في تمهيد الاصول وهي تحتوي على سبعة أقسام في وصف الكرات والنجوم ومعرفة الدائرة علمياً . وفي الزام

(مسافة ثلاث ساعات سيراً) وفي الطرق البحرية ومراقبة النجوم لتعيين عرض الأمكنة وفي المسافات بين بعضها البعض وفي الرياح .

ويستدل من كتاب المحيط الذي وضعه أمير البحر التركي سيدي علي ان سليمان المهري لم يكن حياً في سنة ١٥٥٣ ومن ثم فرسائله الحالية من التواريخ يجب أن تكون قد كتبت قبل سنة ١٥٥٣ .

***

بقي ان نقول ان أصول علم البحر التي وضعها ابن ماجد وسليمان المهري تشرح بالتفصيل حالة الملاحة والمواصلات البحرية في البحار الشرقية بين سواحل افريقية الشرقية وثغر زيتون (هي تسوانتشو في الصين) الى فوكين . وتتناول البحر الاحمر وخليج فارس وجميع الجزر في المحيط الهندي وبحر الصين الغربية والارخبيل الاسيوي الكبير . وهي فريدة في بابها بل لا تثمن لتاريخ الملاحة والتجارة في البحور الشرقية وفي الشرق الاقصى قبل ظهور فاسقودي غاما وبداءة الفتح البرتوغالي .

بيروت : الجامعة الاميركانية بولس الخولي

اخبار و افكار

مؤتمر المستشرقين في ليبسيك

تحتفل جمعية المستشرقين الالمانية بمرور ٧٥ عاماً على تأسيسها باجتماعات تدوم من ٢٩ ايلول ١٩٢١ الى ٢ تشرين الاول ١٩٢١ وقد قام بتأليف هذه الجمعية « Deutsche morgenländische gèsellschaft » المستشرق السيد فلايشر الشهير باختصاصه في الحضارة العربية . وأخذت الجمعية على نفسها البحث في جميع العلوم الشرقية وقامت حتى الآن بأعمال نافعة في العالم المتمدن وهي تصدر مجلة خاصة « Zeitsc hrift dir deutschen morgen ländischen gesellschaft » تعرب بها عن أفكارها وأعمالها العلمية . والمحاضرات التي ستلقى هناك تبحث في موضوعات عامة ويتيسر لكل طالب الحضور في تلك الاجتماعات . وقد تعهدت مدينة ليبسيك بتدارك المساكن اللازمة لاسكان العلماء الذين يؤمون البلدة للاشتراك في هذا المشروع العلمي العظيم .

ورد الينا من بولونيا من الاستاذ المستشرق الدكتور تداوس كوفلسكي Dr. T.Kowalski أستاذ اللغات الشرقية في جامعة قراقو الكتاب الآتي بنصه العربي مع الكتابين المذكورين في كتابه متكرماً باهدائهما الى المجمع فله جزيل الشكر على تنشيطه وهديته السنية .

حضرة رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق المحروسة

قد وصلنا خبر انشاء مجمعكم الجليل فاني وكلت بان أخبركم باسم أساتيذ دار الفنون والمجمع العلمي البلوني الكائن في مدينة قراقو بسرورنا العظيم من أجل تأسيس مجمعكم وان أهنئكم بسعيكم الكريم . وانا لنرجو أن يكون مجمعكم قطباً للعلم العربي ومنبع المدنية والحرية في بلادكم وانه سيصير أحسن العلائق بين وطنكم ووطننا .

هذا واني أرغب اليكم أن تقبلوا بعض مؤلفاتي وهو ديوان قيس بن الخطيم

الشاعر المشهور من شعراء الجاهلية الذي عاش في يثرب قبل الاسلام وقتل في بدء نبوة محمد عليه السلام وأرسل اليكم أيضاً بعض مقالاتي في الآداب الوطنية التركية..

والآن أجدد لكم تهنئاتي يا حضرة الرئيس وأرغب اليكم أن تقبلوا كلمات احترامي التام.

قراقو (بلونيا) ٢٠ حزيران سنة ١٩٢١ (الامضا)

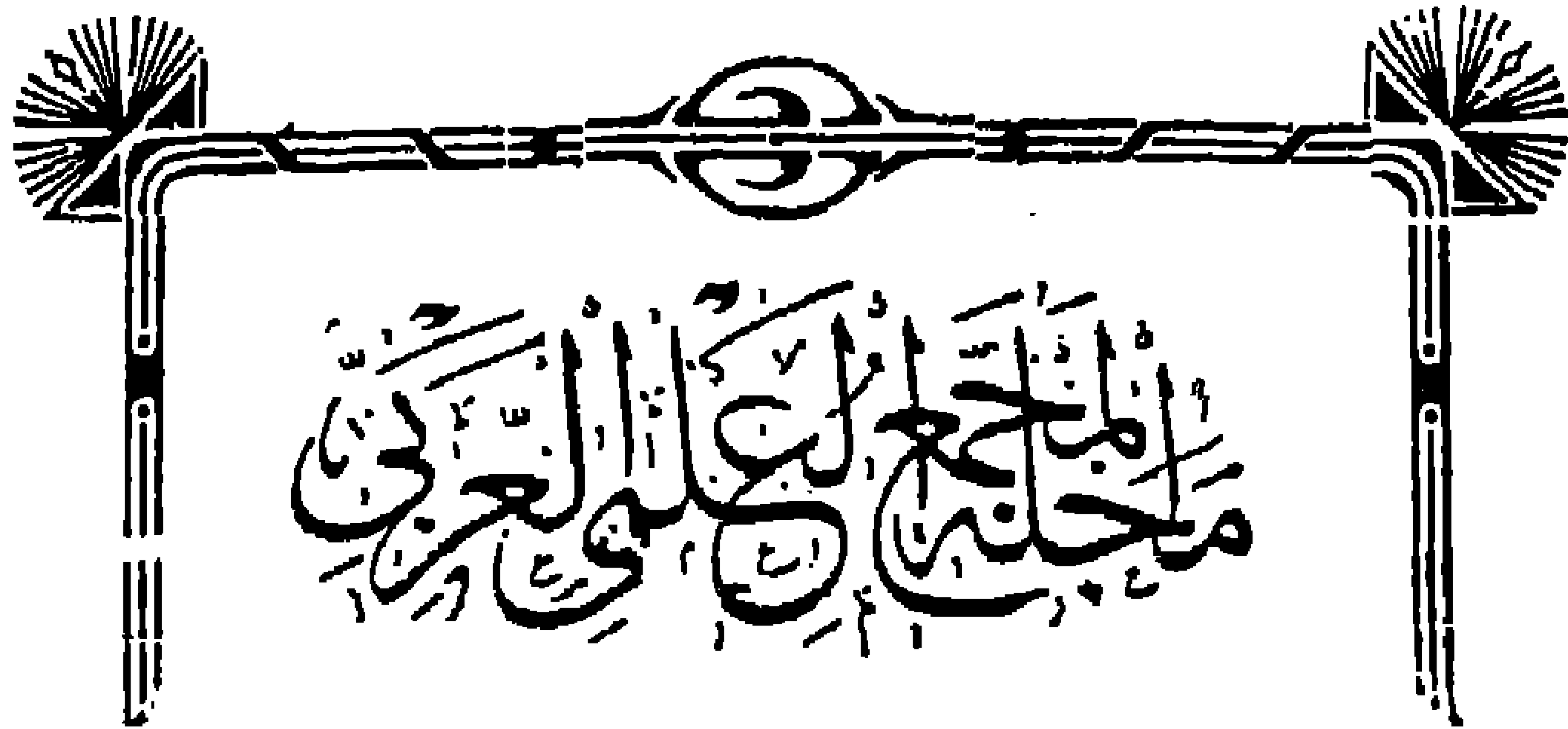
مطبوعات جديدة

مجلة الرابطة الادبية

أهدت الينا جمعية الرابطة الادبية العدد الاول من مجلتها فتصفحناه فوجدناه جامعاً لكثير من الفوائد غير انا انتقدنا فيه ما ذكره عن المدارس الصلاحية في حلب فان فيه مبالغة زائدة عن الحد وكذلك ما جاء في المقالة المعنونة بالقوى الفاشمة فان فيها ما لا يليق بالدين ولا ينطبق على الحقيقة ولا على خطة الجمعية فنرجو لها نجاحاً باهراً وان تواظب على نشر المباحث المفيدة من علمية وأخلاقية ولغوية لتكون من براهين نهضة الوطن وان لا تتعرض لمس كرامة الدين.

أغاني الصبا

وأهدى الينا جناب الشاعر المطبوع محمد أفندي الشريقي نبذة من شعره موسومة بأغاني الصبا فوجدناها جمعت الى وشاقة المبنى لطافة المعنى وهي جديرة بالاقتناء.



الجزء ١٠ ت ١ سنة ١٩٢١ م الموافق ٢٩ محرم سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ١

الاعلام بمعاني الاعلام

العلم هو الاسم الذى يعين المسمى بـه من غير قرينة ليخرج منه بقية انواع المعرفة مثل اسماء الاشارة فانه لا يفهم منها معناها الا بالاشارة الحسية .

وينقسم العلم الى اسم وكنية ولقب فالكنية ما صدر بأب او ام كابي بكر وام خالد او ابن او بنت ونحوها واللقب ما اشعر برفعة مسماه او خسته كزين العابدين وبطة والاسم ما عداهما .

وهو ينقسم الى قسمين بحسب لفظه منقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية مثل اسد وحارث وتأبط شراً ونحوها ومرتجل وهو ما استعمل من اول الامر علماً ومثل له ابن مالك في الفيته بسعادى وأدد هكذا قالوا وعن سيبويه ان الاعلام كلها منقولة اي لان الاصل في الاسماء التنكير ولا يضر جهل المعنى الاصلي للاسم الذي يتوهم انه مرتجل . والدليل على ذلك انك لا تجد اسماً الا له معنى فسعادى اسم طيب معروف كما في القاموس وأدد يجوز ان يكون جمع أدة بمعنى المرة من الود والهمزة بدل من واو كما في أقتت لان اصله وقتت وقد وقفت على ماأملاه ابو الحسين احمد بن فارس صاحب المجمل المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في معاني حروف الهجاء فتيقنت صحة قول سيبويه السابق فانه قال الالف الواحد من كل شيء والباء النكاح ومثلها الباءة والتاء المرأة السليطة والثاء العلبة التي تحلب فيها الناقة والجيم سرادق البيت والحاء الخشى واسم قبيلة من اليمن والخاء الشعر على العانة والدال الرماد والماتح (وهو الذي يستقي الماء وهو على رأس البئر اما المائح فهو

الذي يملأ الدلو وهو في قعرها . وسئل الاصمعي عن المتح بالتاء والميح بالياء فقال الفوقي للفوق والتحت للتحت)والذال التراب اللين كالطحين والراء شجر معروف واحدتها راءة والزاي جلدة يابسة والسين جبل بالشام والشين التفاح والصاد قديرة (تصغير قدر) من صفر (نحاس اصفر) وقد يقال من حديد او حجر والضاد الوعل المسن وقيل صوت المنخل والطاء الكبش العظيم والامكنة السهلة واحدها طاءة والظاء اللفظ الغليظ الجافي والعين اسم لاشياء كثيرة منها الباصرة والجارية والذهب وغير ذلك والغين السحاب ذو الغبار والعطش والفاء لحم الفخذ والقاف الشعر المتدلي من القفا يقال اخذه بقوف رقبته والكاف الوكيل والكل[1] من الرجال واللام جمع لامة وهي الدرع والميم ورق الشجر اول ما يبدو والميم وكذا الموم البرسام والنون السمك والدواة والهاء اللهاة والواو الموت والفحل من الابل ولا الشمع والياء حكاية الصوت وحرف النداء .

وكذلك ما اشتهر في معاني الاشهر العربية فانهم قالوا انما سمي محرماً لانه حرم فيه القتال والفتنة وصفر لاصفار مكة من اهلها لانهم كانوا يسافرون فيه للتجارة وعن رؤبة كما في التاج انه قال سموا الشهر صفر لانهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفراً من المتاع والربيعان لارتباع القوم والمقام فيهما والجماديان لجمود الماء فيهما ورجب اي فزع ويقال له الاصم لان السلاح يغمد فيه وقيل سمي به لان الرجب العفة وهو لكونه شهراً حراماً يليق ان يكونوا فيه على عفة عن القتال وشعبان لتشعب القبائل فيه للغارة واخذ الثأر بعد انقضاء رجب ورمضان لشدة الرمض فيه وهو الحر وشوال لشولان الابل اذنابها عند اللقاح ويقال لها عند ذلك الشول ويقال وقعت هذه التسمية في وقت شال فيه اللبن اي ارتفع فهي شائلة وجمعها شول ويقال شالت بذنبها فهي شائلة ايضاً وذو القعدة لانهم كانوا يقعدون فيه عن الغزو فلا يبرحون لكونه من الاشهر الحرم وذو الحجة لانهم كانوا يحجون فيه وقيل لكونه يتم الحجة اي السنة لانه آخرها .

هذا واني كثيراً ما تطلعت الى فهم معاني اسماء العرب التي سمت بها قبائلها وابناءها ذكوراً واناثاً لكثرة ما نرددها على السنتنا عند رواية حديث او خبر او

(١) الكل الرجل الثقيل لاخير فيه .

شعر وبعضها لايزال مستعملاً عندنا كعثمان وعمر وهند وزينب وخديجة واهم ذلك اسماء الصحابة الكرام الذين اخذ عنهم الدين ورواة الاحاديث النبوية وقد كثرت التآليف في ضبط اسمائهم والبحث عن احوالهم وتاريخ مواليدهم ووفياتهم والمؤتلف المختلف من اسمائهم كسلام وسلاّم بتخفيف اللام وتشديدها والمتفق المفترق وهو ما كان اسماً لعدة اشخاص متفقي الاب او الجد كالخليل بن احمد فانه سمي به جماعة كان الفارق بينهم القبيلة او البلد ولم اجد احداً من ارباب المؤلفات المذكورة بحث عن معنى اسم من تلك الاسماء او اشتقاقه اللهم الا ما كان عرضاً في بعض كتب الادب او مفرقاً في كتب اللغة التي تبحث عن جوهر اللفظ لا عن القواعد مع انه كان بالاحرى بهم مع ما عانوه في هذا السبيل ان يلمحوا الى اصل اشتقاق الاسم ومعناه لتتم الفائدة ولعلهم نظروا الى ان اللفظ حين يكون علماً لا يفيد الا مسماه لكنهم يعترفون بان من الاسماء ماهو منقول فكان عليهم ان يبينوا من أي شيء نقل

وقرأت في كتاب التهذيب للازهري ان الاصمعي المشهور المتوفى سنة ٢١٤هـ الف كتاباً في اشتقاق الاسماء وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ الف كتاباً في ذلك ولكن لم نعثر على مسمياتهما ووجدت في كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ نزراً من ذلك لا يشفي غليلاً ولا يبل غليلاً كما ان ابا زكريا يحيى التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ شارح حماسة ابي تمام المتوفى سنة ٢٣١ وعد في خطبة كتابه ان يبين اشتقاق اسماء شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب لم يف بما وعد فقد ترك كثيراً من الاسماء بدون بيان على انه احسن غاية الاحسان اذ اتى بما لم يأت به غيره فاخذت انقب في بطون الاسفار واجمع ما تفرق فيها الى ان جمعت من ذلك جملة صالحة ثم انه وصل الى مجمعنا العلمي كتاب الاشتقاق لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ مطبوعاً في مدينة غوتنغن من المانيا سنة ١٨٥٤م فوجدت فيه ضالتي المنشودة غير انه اطال في بعض المواضع في تصريف الكلمة ما ساعده الاشتقاق وذكر الفاظاً هجر استعمالها الآن حتى لا يذكر من سمي بها فلخصت منها اكثر ما تهم معرفته من مشهور الاسماء والقبائل التي يكثر ترددها في كتب الدين او الادب او التاريخ مضافاً اليها ما استفدته من غيره وابتدأت بذكر نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول ما دعاني

الى هذا البحث ولانه صلى الله عليه وسلم كما كان سبباً في الانقلاب الاخلاقي والاجتماعي كان سبباً في الانقلاب اللغوي بالقرآن الكريم الذي اعجز البلغاء ان يأتوا بمثل اقصر سورة منه ثم بعد اتمام شرحه أرتب الاسماء على ترتيب حروف الهجاء ومن الله استمد العون .

مقدمة

قال ابن دريد في اول كتابه المذكور ان الذي حداه على انشاء هذا الكتاب ان قوماً طعنوا على اللسان العربي ونسبوا اهله الى التسمية بما لا اصل له في لغتهم وعدوا اسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ علمهم في الفحص عنها فعارضوا بالانكار واحتجوا بما ذكره الخليل بزعمهم انه سأل ابا الدقيش ما الدقيش [1] فقال لا ادري انما هي اسماء نسمعها ولا نعرف معانيها وهذا غلط على الخليل وادعاء على ابي الدقيش وكيف يغبى على الخليل بن احمد نضر الله وجهه مثل هذا وقد سمع العرب سمت دقشاً ودقيشاً ودنقشاً فجاوزوا به مكبراً وعقراً ومعدولاً من بنات الثلاثة الى بنات الاربعة بالنون الزائدة والدقش معروف وسنذكره في جملة الاسماء التي عموا عن معرفتها واخبرنا ابو حاتم السجستاني قال قيل للعتبي ما بال العرب سمت ابناءها بالاسماء المستشنعة وسمت عبيدها بالاسماء المستحسنة فقال لانها سمت ابناءها لاعدائها وسمت عبيدها لانفسها وقد اجاب العتبي بجملة كافية ولكنها محتاجة الى شرح يوضحها بالاشتقاق . ثم قال واعلم ان العرب مذاهب في تسمية ابنائها فمنها ما سموه تفاؤلاً على اعدائهم نحو غالب وغلاب وظالم وعارم ومنازل ومقاتل ومعارك وثابت ونحو ذلك وسموا في هذا الباب مسهراً ومؤرقاً ومصبحاً ومنبهاً وطارقاً ومنها ما تفاءلوا به للابناء نحو نائل ووائل وناج ومدرك ودراك وسالم وسليم ومالك وعامر وسعد وسعيد ومسعدة واسعد وما اشبه ذلك ومنها ما سمي بالسباع ترهيباً لاعدائهم نحو اسد وليث وفراس وذئب وسيد وعملس رضرغام وما اشبه ذلك ومنها ماسمي بما غلظ وخشن من الشجر تفاؤلاً ايضاً نحو طلحة وسمرة وسلمة وقتادة وهراسة كل ذلك شجر له شوك وعضاه ومنها ما سمي بما غلظ من الارض وخشن لمسه وموطئه مثل حجر وحجير وصخر وفهر وجندل وجرول وحزن وحزم ومنها ان الرجل

(١) الدقيش مصغر الدقش محركاً وهو تطأطؤ الرأس ذلاً وخضوعاً .

كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمي ابنه باول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب وثعلبة وضب وضبة وخزر وضبيعة وكلب وكليب وحمار وجحش وكذلك ايضاً يسمى باول ما يسنح (اي يأتي عن اليمين) او يبرح (يأتي عن الشمال) لها من الطير نحو غراب وصرد وما اشبه ذلك. حدثنا السكن بن سعيد الجرموزي عن العباس ابن هشام الكلبي عن خراش قال خرج وائل بن قاسط وامرأته تمخض وهو يريد ان يرى شيئاً يسمي به فاذا هو ببكر قد عرض له فرجع وقد ولدت غلاماً فسماه بكراً ثم خرج خرجة اخرى وهي تمخض فرأى عنزاً من الظباء فرجع وقد ولدت غلاماً فسماه عنزاً ثم خرج خرجة اخرى وهي تمخض فاذا هو بشخص قد ارتفع له ولم يتبينه فسماه الشخيص ثم خرج خرجة اخرى وهي تمخض فغلبه ان يرى شيئاً فسماه تغلب اهـ مختصراً. اقول واما اسماء نسائهم فاكثرها مما يتفاءل منه بالخير او يدل على النعيم او الجمال او التشبيه بما ضرب به المثل في الجمال كما ستراه ان شاء الله.

وهذا أوان الشروع في المقصود.

محمد ﷺ — مشتق من الحمد اسم مفعول من حمّد المبني للمجهول المضاعف العين والتضعيف فيه للتكثير فمحمد مفعل لانه حمد مرة بعد أخرى كما تقول كرّمته فهو مكرّم وعظمته فهو معظم اذا فعلت ذلك به مراراً أما غير المضاعف فاسم المفعول منه محمود.

قال ابن دريد روى بعض نقلة العلم ان النبي ﷺ لما ولد أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجال قريش وكانت سنتهم في المولود اذا ولد في استقبال الليل كفأوا عليه قدراً حتى يصبح ففعلوا ذلك بالنبي ﷺ فأصبحوا وقد انشقت عنه القدر وهو شاخص الى السماء فلما حضرت رجال قريش وطعموا قالوا لعبد المطلب ما سميت ابنك هذا قال سميته محمداً قالوا ما هذا من أسماء آبائك قال أردت أن يحمد في السموات والارض اهـ. وسمت العرب من هذه المادة حامداً وحيداً فحميد يمكن أن يكون تصغير حمد او تصغير احمد من الباب الذي يسميه النحويون ترخيم التصغير كما صغروا أسود سويداً وأخضر خضيراً وسموا حمدان وحيدان وحماداً ويقولون حماداك ان تفعل كذا وكذا في معنى قصاراك (اي غايتك) ولفلان عندي محمدة ومحمَدة لغتان اذا كانت له عندك يد تحمده عليها ويحمد بطن من الازد ويحمد بطن من قضاعة.

ابن عبد الله — العبد الانسان حراً كان او رقيقاً والمملوك قال سيبويه هو في الاصل صفة قالوا رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الاسماء والعبدية والعبودية والعبودة والعبادة الطاعة وقال بعض ائمة الاشتقاق أصل العبودية الذل والخضوع وقال آخرون العبودة والعبودية الرضى بما يفعل الرب والعبادة فعل ما يرضي الرب . وقال ابن القطاع في كتاب الافعال عبد العبد عبودة وعبودية وأما عبد الله فمصدره عبادة وعبودة وعبودية أي اطاعة وقال الازهري اجتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك فقالوا هذا عبد من عباد الله وهؤلاء عبيد مماليك قال ولا يقال عبد يعبد عبادة الا لمن يعبد الله تعالى واما عبد خدم مولاه فلا يقال عبده ا ه من التاج .

وقال ابن دريد اشتقاق العبد من الطريق المعبّد وهو المذلل الموطوء وقولهم بعير معبد يكون في معنى مذلل ويكون في معنى مهنوء بالقطران . قال طرفة ابن العبد وأفردت أفراد البعير المعبد أي الاجرب المهنوء يتحاماه الناس مخافة العدوى وربما كان المعبد في معنى المكرم (اي فهو من الاضداد) قال حاتم الطائي:

أرى المال عند الباخلين معبداً

اي معظماً والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية فأنفوا ان يقال لهم عبيد فسموا أنفسهم عباداً (ومنهم عدي بن زيد العبادي الشاعر المشهور نسبة اليهم ولقا نبهت على هذا لاني سمعت بعض العلماء يقول العبادي بفتح العين وتشديد الباء) ومن معاني العبد نبات طيب الرائحة والنصل القصير العريض وقد سمت العرب عبداً وعبيداً وعبيدة ومعبداً وعبيداً ويمكن ان يكون اشتقاق عبيدة ومعبد من العبَد وهو الانف من قول الله عز وجل فانا أول العابدين أي الآنفين الجاحدين وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كلامه عبدت فانفت اه.

وفي القاموس العبد بالتحريك الغضب والجرب الشديد والندم وملامة النفس والحرص والانكار وفعله كفرح اه . وسمت العرب عبادة وعباداً واعبداً والمعبد موضع العبادة والمعبد المسحاة والجمع معابد والعبدة محركة القوة والسمن والحجر الذي يسحق عليه الطيب والعبدل بزيادة اللام العبد المملوك كما في القاموس وأما اشتقاق لفظ الجلالة فقد قال بعضهم انه من أله يأله اذا تحير لتحير العقول فيه أما ابن دريد فقال لا أحب ان أقول فيه شيئاً .

ابن عبد المطلب — المطلب من طلب الشيء وتطلبه واطّلبه حاول وجوده واخذه و"مطلب اصله مطتلب بوزن مفتعل فقلبوا التاء طاء لقرب المخرجين وادغموا فقالوا مطلب وهو مفتعل من الطلب وقد سمت العرب طالباً وطلباً وطَلَبَة والطلب قوم يطلبون هارباً او فلاً يقال ادركهم الطلب والطلب ايضاً مصدر طلبته اطلبه طلباً ويقال ماء مطلوب ومطلب وكلأ مطلوب ومُطّلب اذا كان صعب الطلب ويقال فلانة طلب فلان اذا كان يهواها ويطلبها وكذلك فلانة طلبة فلان اذا كان يطلبها والمطالب مواضع الطلب ويجوز ان يكون واحده مطلّبة ولي عند فلان طَلبة اي شي اطلبه منه واسم عبد المطلب الاصلي شيبة لانه لما ولد كان في رأسه شعرة بيضاء فسمي بها جرياً على عادة العرب في التسمية كما تقدم واشتقاق شيبة من الشيب واشتقاق الشيب من اختلاط البياض بالسواد من قولهم شبت الشيء بالشيء اشوبه شوباً اذا خلطته والشيء المشيب والمشوب المختلط وسمت العرب شيبان وهو ابو قبيلة عظيمة ينسب اليها عدة من العظماء منهم معن بن زائدة ورهطه والامام احمد بن حنبل وغيرهما وشيبان فعلان من الشيب وقالوا رجل اشيب ولم يقولوا شيباء اكتفوا بالشمطاء في هذا الموضع وانما سمي شيبة بعبد المطلب والمطلب بن عبد مناف عمه لانه اخو هاشم لما ذكره ابن الاثير من ان اباه هاشماً شخص في تجارة الى الشام فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد الخزرجي من بني النجار فرأى ابنته سلمى فاعجبته فتزوجها وشرط ابوها ان لا تلد ولداً الا في اهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها في اهلها ثم حملها الى مكة فحملت فلما اثقلت ردها الى اهلها ومضى الى الشام فمات بغزة من فلسطين فولدت له سلمى عبد المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين ثم ان رجلاً من بني الحارث بن عبد مناف مرّ بالمدينة فاذا غلمان يتناضلون فجعل شيبة اذا اصاب قال انا ابن هاشم انا ابن سيد البطحاء فقال له الحارثي من انت قال انا ابن هاشم بن عبد مناف فلما اتى الحارثي مكة قال للمطلب وهو بالحجر يا ابا الحارث تعلم اني وجدت غلاماً بيثرب وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله فقال المطلب لا ارجع الى اهلي حتى آتي به فاعطاه الحارثي ناقة فركبها وقدم المدينة عشآء فرأى غلاماً يضربون كرة فعرف ابن اخيه فسأل فاخبر به فاخذه واركبه على عجز الناقة وقيل بل اخذه باذن امه وسار الى مكة

فقدمها ضحوة والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون من هذا وراءك فيقول هذا عبدي حتى ادخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فقالت من هذا معك قال عبد لي واشترى له حلة فلبسها ثم خرج به العشية فجلس الى مجلس بني عبد مناف فاعلمهم انه ابن اخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدي.

ابن هاشم - من الهشم وهو كسر الشيء اليابس كما في الصحاح او الشيء الاجوف او كسر العظام و لرأس خاصة او الوجه او الانف او كل شيء كما في القاموس وفعله كضرب فهو هاشم ولقب بذلك لانه اول من ثرد الثريد وهشمه في الجدب والعام الجماد وفيه يقول ابن الزبعري :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون[1] عجاف

وقال آخر :

اوسعهم وفد قصي شحما ولبناً محضاً وخبزاً هشما

وهاشم ايضاً مفرد الهُشُم وهي الجبال الرخوة والحاذقون في حلب اللبن كما في القاموس وسمت العرب هشاماً (ومعناه الجود) وهُشَيْما ومهشما والشيء الهشيم والمهشوم واحد والهشامة الشيء المهشوم خبزاً كان او غيره .

واسم هاشم عمرو قال ابن دريد وعمرو مشتق من شيئين اما من العَمر وهو العُمُر بعينه يقال العمر والعمر بالفتح والضم ومنه قولهم لَعَمرك قسم بالعمر قال ابن احمر:

بان الشباب واخلف العمر وتغير الاخوان والدهر

قال الاصمعي في تفسير هذا البيت العمر والعمر واحد وقال غيره من اهل العلم اراد خلوف فمه للكبر وتغير نكهته والعَمْر واحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف باصولها والعمرة بفتح العين خرزة او لؤلؤة يفصل بها نظم الذهب وبه سميت المرأة عمرة وقد سمت العرب عامراً وهو قبيلة عظيمة من قيس وبنو عامر ابن لؤي في قريش وسمت عميراً وهو تصغير عمرو ومعمراً واشتقاقه من قولهم هذا الموضع معموراً اي الموضع الذي عمرنا به اي اقمنا به وحللناه يقال عمرنا بالمكان نعمر به من باب تعب اذا اقمنا به وسمت ايضاً عميرة ويعمر ومعمّراً وهو مفعل

(١) اي اصابتهم السنة الجدبة .

من العمر وسموا عمارة بضم العين واشتقاقه من احد شيئين اما ان يكون عمارة فعالة من العمر او يكون من قولهم اعطيت الرجل عُمارته اي اجرة ما عمره وعمارة الشيء اصلاحه والعمارة ايضاً القبيلة العظيمة من العرب وسمت ايضاً عمر واشتقاقه من شيئين اما ان يكون جمع عمرة الحج واما ان يكون فعل مبنياً من فاعل كما اشتقوا زفر من زافر وقثم من قاثم اهـ ما قاله ابن دريد وهو مخالف لما عليه النحاة اجمع من ان عمر معدول عن عامر ولذلك منع من الصرف للعلمية والعدل ولو كان جمع عمرة لما كان وجه لمنعه من الصرف ولعل الشيخ محمود الشنقيطي الذي ادعى صرف عمر اطلع على ما قاله ابن دريد فتمسك به .

وعمرة الحج اشتقاقها من المقام بمكة قبل ايجاب الحج والعمارة بالفتح الاكليل ونحوه من الآس وغيره يجعل على الرأس وسموا معتمراً ومعناه المعتم اي الذي على رأسه عمامة وسموا ايضاً عميرة وهو تصغير عمرة وعويمراً وهو تصغير عامر والعومرة اختلاط القوم في شر وخصومة يقال تركتهم في عومرة اي في خصومة وشر وجمع عمارة عمائر .

عبد مناف ـ كانت امه حين ولدته دفعته الى مناف صنم بمكة تديناً بذلك فغلب عليه عبد مناف كقول ابن الاثير واصل مناف مَنْوَف مفعل من النَّوْف نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها فانفتح ماقبل الواو فصارت الفاً ساكنة والنوف السنام وبه سمي الرجل نوفاً والآنف بوزن فاعل والانف بوزن فعل البعير الذي قد اوجعه الخشاش (الحزم) في انفه فهو ينقاد لصاحبه طوعاً وقولهم نيف الرجل على الثمانين اي زاد عليها ونيف على عشرين اي زائد عليها وقصر منيف اي عال مرتفع واسم عبد مناف المغيرة والمغيرة الخيل التي تغير على القوم وفي التنزيل فالمغيرات صبحاً والمغيرة مفعلة من الغارة واصله مُغْيِرة بسكون الغين وكسر الياء فنقلوا كسرة الياء الى الغين كما هي القاعدة يقال اغار الرجل على القوم يغير اغارة والاسم الغارة واسم المكان منه مغار اذا اخذته من اغار يغير قال الشاعر :

اضمر بن ضمرة ماذا تذكر ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ت من صرمة اخذت بالمغار

(الصرمة القطيع من الابل)

البقية للآتي ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ سعيد الكرمي

جباية الشام (1)

في الاسلام

اهم مسألة في قيام الدول وسقوطها ان تفرض الاموال على الرعايا بالعقل وتجبى منهم بالعدل وبحسن التصرف في انفاقها على المصالح العامة. وقد كانت الحكومات الاسلامية تعنى بهذا الشأن كل العناية وكانت اذا غفلت عن هذا الامر المهم ايام ضعفها تكثر الثورات او تنقطع عن العمل الرغبات فتخرب البلاد وتنتشر الفوضى وتعم البلوى.

اعتمدت العرب اول الفتح في تنظيم دواوين اموالها على الروم في الشام والفرس في العراق والقبط في مصر ينظرون لهم في مسائل الدخل والخرج ووضع التوازن بحسب عرف تلك الايام وذلك لان العرب كانوا لاول امرهم نصف اميين او نصف متحضرين واهل مصر والشام والعراق اعرق منهم في الحضارة وما ينبغي لها حتى كان زياد يقول ينبغي ان يكون كتاب الخراج من رؤساء الاعاجم العالمين بامور الخراج.

ولقد كان الاسراف يبدو في الاموال ايام الترف والنعيم ويتجلى الاقتصاد فيها على عهد الجد والاصلاح وذلك يرجع على الاغلب الى من يتولى امر الامة من خليفة او سلطان او ملك او امير فاذا صلح الرأس صلح الجسد كله. واذ كانت دواعي الانفاق محصورة داخل البلاد ولان النقد اقل من هذه الايام بالطبع والتفنن في ضبط الشؤون الاقتصادية لم يبلغ مبلغه في القرون الاخيرة وحركة المعاملات والمقايضات محدودة واضعف من العصور الحديثة كانت المسائل المالية لعهد العرب الى السذاجة لاول الامر شأنهم في عامة امورهم

والجباية اول الدولة كما قال ابن خلدون تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة فان كانت الدولة على سنن الدين فليست الا

---

(1) محاضرة القاها حضرة الاستاذ الكبير السيد محمد كرد علي مدير المعارف العام في دولة دمشق ورئيس المجمع العلمي مساء الجمعة في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٩ - ٢٦ آب ١٩٢١ في بهو المجمع العلمي في المدرسة العادلية الكبرى.

المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لان مقدار الزكاة من المال قليل وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعيـــة وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصبية فلا بد من البداوة في اولها والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن اموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر . قال والدولة تكون في اولها قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلاً ويكون في الجباية حينئذ وفاء بازيد منها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلبث ان تأخذ بدين الحضارة في الترف فيكثر لذلك خراج اهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة بالغة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع ويستحدث انواعاً من الجباية يضرب بها على البياعات ويفرض لها قدراً معلوماً على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في المدينة .

وبعد فلم يتصل بنا سند صحيح عن مقادير الجباية في هذه الديار قبل العرب اما على عهد حكومتهم فكانت الجباية في الصدر الاول تجمع من الخراج والعشور والصدقات والجوالي أي الجزية أي أنها لها أربعة موارد رئيسية ثم صارت أصول جهات الاموال السلطانية عشرة الجزية والخراج والعشور والاجور والزكوات واثمان المبيعات والمقاسمات والغنيمة والفيء والمعادن . وزادت أنواع الجباية على عهد انحطاط هذه البلاد ونسي المتغلبون أو الفاتحون « ان تكثير[1] المالك ماله باموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه » .

قال الظاهري[2]: ان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باجتلابها من جزى مقدرة ومتاجر معشرة وأخرجة محضرة وعشور محررة وقسم مقدرة وغنائم موفرة وفيء من جهات غير منحصرة هذا الى زكوات واجبة وأجور لازمة وديات دماء ذاهبة وحور مباحات راتبة ومستخرج معادن غير ناهية وعداد نعم سائمة لاسالبة ووظائف على أكرة عاملة ناصبة الى غير ذلك من تربيع مزارع وتوزيع قطائع وتوسع مراتع وتفريع مواضع وترجيع طوالع فهذه جهات أموال جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن من استيفائها بسلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقاً تجب رعايتها عند صرفها واخراجها ا ه .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢) زبدة كشف الممالك .

وقال الغزالي[١]: وكل مايحمل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان قسم مأخوذ من الاعداء وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقدة والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لايتعين لها مالك والاوقاف التي لامتولي لها اما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان – أي في القرن الخامس – وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام . وقال ايضاً ان أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق الا الجزية وانما تؤخذ بانواع من الظلم لايحل أخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ماينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره .

اختلف مقدار الجبايات باختلاف العصور وكان لاول الفتح ضرب الخراج على الارض والجزية على الرقاب وراعى الخليفة الثاني حال الشام فعمل في نواحيها غير ما عمل في غيرها من البلاد التي فتحت في عهده راعى في كل ارض ماتحتمله وكانت الجزية في بدء الامر ديناراً في كل حول على كل جمجمة[٢] ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما وجعلهم طبقات لغنى الغني واقلال المقل وتوسط المتوسط وقيل جعل من كل رأس موسر ثمانية واربعين درهماً ومن الوسط اربعة وعشرين درهماً ومن الفقير اثني عشر درهما والجزية تؤخذ

---

(١) احياء علوم الدين . (٢) يقول الاب لامنس في تسريح الابصار ان الرومان ضربوا الجزية على اهالي سورية على الذكور من سن الرابعة عشرة وعلى الاناث من سن الثانية عشرة الى سن ٦٥ من عمرهم جميعاً وفرضوا عليهم خراجاً جبوه من الاملاك يبلغ في المائة واحداً ورسموا ايضاً ضرائب ومكوساً على الواردات والصادرات من السلع الا ان هذه الرسوم مع ثقلها كانت اخف على عاتق السوريين من المغارم والسخر التي حملهم اياها ملوكهم سابقاً وكانوا يتقاضونها دون نظام معلوم وفي اي آن شاؤا ا هـ .

من غير المسلمين والخراج يشترك فيه كل من يملك أرضاً . وصالح أبو عبيدة بن الجراح نصارى الشام حين دخلها على أن تترك لهم كنائسهم وبيعهم وعليهم ارشاد الضال وبناء القناطر على الانهار من أموالهم وان يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام وصالحهم عمر على ضيافة منْ مرّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون ولا يكلفهم ذبح شاة ولا دجاجة وتبيت دوابهم من غير شعير وجعل ذلك على أهل السواد دون المدن .

ولما مسح عمر السواد وضع عن كل جريب[1] عامر أو غامر يناله الماء بدلو أو بغيره زُرع أو عطل درهماً وقفيزاً[2] واحداً وألغى عمر النخل عوناً لأهل السواد وأخذ من جريب الكرم عشرة دراهم ومن جريب السمسم خمسة دراهم ومن الخضر من غلة الصيف من كل جريب ثلاثة دراهم ومن جريب القطن خمسة دراهم ثم حمل الاموال على قدر قربها وبعدها فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل ألف أصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل ألفي أصل مما بعد ديناراً وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم أو اليومين وأكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب وحمّلت الشام على مثل ذلك .

ولما رأى أهل الذمة[3] وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداءعلى عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم فبعث أهلُ كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجلًا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم

(١) الجريب عشر قصبات في عشر قصبات والقفيز عشر قصبات في قصبة والعشير قصبة في قصبة والقصبة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة وأما الذراع فسبعة أصناف وهو يختلف باصطلاح كل بلد وقطر . (٢) القفيز مكيال ثمانية مكاكيك جمع مكوك وفي القاموس المكوك مكيال يسع صاعاً ونصفاً أو نصف رطل الى ثمان أواقي او نصف الويبة والويبة اثنان وعشرون او اربع وعشرون مداً بمد النبي صلى الله عليه وسلم او ثلاث كيلجات والكيلجة مناً وسبعة اثمان مناً والمنا رطلان والرطل اثنتا عشرة اوقية والاوقية استار وثلثا استار والاستار اربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانق والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من درهم . (٣) الخراج لابي يوسف .

فكتب أبو عبيدة الى كل وال بمن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمره أن يرد ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً .

أول من وضع العشور عمر لقوله عليه الصلاة والسلام ليس على المسلمين عشر وانما العشور على اليهود والنصارى وقال يا معشر العرب احمدوا الله الذي وضع عنكم العشور ولا تؤخذ الصدقات الا مرة في السنة الا ان يجد الامام فضلا وفرض عمر سنة خمس عشرة الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة في الاسلام وفرض لأهل الشام ألفين ألفين وكانوا يسمون ما يجمعون من الغنائم الاقباض ويقسمونها بين الفاتحين . وأمر عمر عثمان بن حنيف لما أرسله لمسح السواد ان لا يمسح تلا ولا أجمة ولا مستنقع ماء ولا ما لا يبلغه الماء ولما فرض على الرقاب وجعل على من لا يجد أي الفقير اثني عشر درهماً في السنة قال درهم في الشهر لا يعوز رجلا وكان يأخذ الجزية من أهل كل صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم وكذلك فعل علي . ولما طعن عمر قال أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيراً فانهم جباة المال وغيظ العدو ورده المسلمين وان يقسم بينهم فيئهم بالعدل وان لا يحمّل من عندهم فضل الا بطيب أنفسهم وأوصى الخليفة من بعده بأهل الذمة وان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم وان لا يكلفوا فوق طاقتهم. وكان كثيراً ما يصادر عماله ويجعل أموالهم في بيت المال فمن صادر خالد بن الوليد فاتح الشام لانه أجاز رجالاً انتجعوه منهم الاشعث بن قيس أجازه بعشرة آلاف وسأله عمر من أين هذا الثراء قال : من الانفال والسهمان ما زاد على ستين ألفاً فلك . فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفاً فجعلها في بيت المال وقد تغير الحال على عهد الخليفة الثالث لانه نشأت له ثروة وأعطى بعض ولاته حريتهم ومنهم معاوية ابن أبي سفيان فصاروا يجمعون المال ويبذرونه وقد دفع هو الى ثلاثة أنفس من قريش زوجهم بناته ثلثمائة ألف دينار لكل واحد مائة ألف دينار واقطع بني أمية

قطائع لمصلحة تعود على المسلمين لان تلك الضياع كانت خراباً لا عامر لها فسلمها الى من يعمرها ويؤدي الحق عنها واقتنى هو وجماعته الضياع والدور[١] وكان في نهاية الجود والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل طريقته وتأسوا بفعله وكان عثمان على ما يظهر على شيء من السعة قبل الخلافة وكثرت في أيامه أموال الانفال والغنائم بكثرة الفتوح .

وأراد الخليفة الرابع ان يرجع في معاملة العمال الى طريقة الشيخين ابي بكر وعمر الا انه لم يوفق الى ذلك واستأثر معاوية بولاية الشام عشرين سنة وبالخلافة عشرين سنة وما كان لعلي بل ولا لعثمان حكم على هذه الديار مع معاوية الداهية الذي دعي بكسرى العرب لكثرة ابهته ونفقته وكان يبذل المال لمن وافقه ولمن خالفه فأنشأ للامويين ملكاً بالشام توارثوه وبنوا القصور والمصانع والموافق وهذا لا يكون[٢] بالطبع الا بتوفر الجباية والتطلع ولو بعض الشيء الى ما في ايدي الناس من الاموال والاغضاء عن بعض الحقوق ولا مجال للانكار ان من خلفاء الامويين من كانوا يجورون على الرعية ومنهم من كانوا يقطعون انفسهم او بعض ابناء بيتهم او خاصتهم الاقطاعات الكثيرة والجباية كانت تكثر في عهد العادلين اكثر من زمن الجائرين وما نقص[٣] من مال السلطان زاد في مال الرعية والاقطاع اقطاعان اقطاع تمليك وهو موات وعامر ومعادن واقطاع استغلال وهو عشر وخراج .

اوصى الخليفة الرابع احد عماله باهل عمله فقال : اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفاً ولا رزقاً يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم ولا تبع لاحد منهم عرضاً في شيء من الخراج فانما امرنا ان نأخذ منهم العفو . وكتب للاشتر النخعي : وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في اصلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج

(١) المسعودي (٢) رسائل الخوارزمي (٣) الاحكام السلطانية للماوردي والاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلى .

بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الاقليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب اوبالة اوحالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلاب حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر اه .

هكذا كان قانون آخر الخلفاء الراشدين وصون اهم القوانين في اصول الجباية الا ان الامويين الذين قلبوا الخلافة الى ملك عضوض كانوا يهتمون بتوفير الجباية مع الظلم ليتمكنوا من اعمال العمران التي اقاموها واطعام الجيوش التي فتحوا بها القاصية وكانت الجباية تقل عندما ينكسر الخراج فلا يحمل كثير شيء منه لقحط او زلزال او وباء . ولقد كان عمال معاوية يحملون اليه هدايا النيروز والمهرجان فيحمل اليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف الف . وهدايا النيروز والمهرجان مما رده عمر بن عبد العزيز كما رد السخرة والعطاء على قدر ما استحق الرجل من السنة وورّث العيالات على ما جرت به السنة غير انه اقر القطائع التي أقطعها اهل بيته والعطاء في الشرف لم ينقصه ولم يزد فيه وزاد اهل الشام في اعطياتهم عشرة دنانير ثم رأى ان ينكثها وسماها مظالم وكتب الى عماله عامة واما بعد فان الناس قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان » . وبقي العطاء على حاله حتى نقص يزيد بن الوليد الناس من عطائهم فسمي يزيد الناقص .

وبينما كان عمر بن عبد العزيز يقول لأسامة بن زيد وكان على ديوان الجند بدمشق لما بعثه سليمان بن عبد الملك على مصر يتولى خراجها : ويحك يا أسامة انك تأتي قوماً قد الح عليهم البلاء منذ دهر طويل فان قدرت ان تنعشهم فانعشهم وكان سليمان يقول لعامله : احلب حتى ينقيك الدم فاذا نقاك فاحلب حتى ينقيك القيح

لاتبقها لاحد بعدي . فعمل أسامة في مصر اعمالاً جائرة حتى استخرج من اهلها اثني عشر الف الف دينار .

اما عمر بن عبد العزيز فانه لما ولي الخلافة جعل لا يدع شيئاً مما كان في ايدي اهل بيته من المظالم الاردها مظلمة مظلمة . خطب على المنبر ذات يوم فقال امابعد فان هؤلاء ، يعني خلفاء بني امية ، قد كانوا اعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا ان نأخذها منهم وما كان ينبغي لهم ان يعطونا اياها واني قد رأيت الآن انه ليس علي" في ذلك دون الله حسيب وقد بدأت بنفسي والاقربين من اهل بيتي ، اقرأ يامزاحم فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتاباً فيه الاقطاعات بالضياع والنواحي ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم اي المقراض وفي عهد عمر بن عبد العزيز اصبحت عادة الخلفاء « الا اذا جاءتهم(١) جبايات الامصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو مافيها دينار ولا درهم الا اخذ بحقه وانه فضل اعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية بعد ان اخذ كل ذي حق حقه » اي فضل اعطيات الاجناد وفرائض الناس قال ابن ابي الدين : رد عمر بن عبد العزيز المظالم التي احتقبها بنو مروان فابغضوه وذموه وقيل انهم سموه فمات . اما من جاؤا من بعد ومن قبل من بني امية فكانوا اشكالاً ومشارب منهم الجماعة ومنهم المبدد فقد كان في بيت مال الوليد يوم قتل سنة ١٢٦هـ سبعة وسبعون الف الف دينار . ففرقها يزيد عن آخرها .

« للكلام صلة »

عثرات الاقلام

اخذنا ننشر من عهد قريب تحت هذا العنوان بعض الاغلاط الشائعـة في الكتابات العصرية مما نطلع عليه في الجرائد وغيرها مع الاشارة الى وجوه تصحيحها مقتصرين في ذلك على ذكر ما كان منها صريحاً لا يقبل التخريج او التأويل وما كان جوهرياً لا عرضياً تفادياً من المناقشات التي لا تجدي نفعاً وخوفاً من ان يفوتنا ما نقصده من اقبال الكتاب على تصحيح كتاباتهم بدون ان يتمحّلوا الحجج والاعذار لاصلاح بعض ما نبهنا عليه من تلك العثرات .

غير انه من موجبات الاسف ان كثيرين من اولئك الكتاب لم يزالوا يكررون تلك الاغلاط بعد التنبيه عليها كانه يعز عليهم الاقلاع عما تعودوه من الخطأ والركاكة والعادة طبيعة ثانية : او كأنهم يفضلون الاستمرار على الغلط انفة واستكباراً ومكابرة في الحقائق وهذا الاهمال او التهاون وان كان من المثبطات لا يمنعنا من متابعة عملنا والمثابرة عليه الى ان نرى كتابنا آخذين في تقويم اود كتاباتهم وتنزيهها عن شوائب الاوهام ومما يشجعنا على ذلك ان كثيرين من اهل العلم والفضل نشطونا باستحسانهم صنيعنا وبعض الكتاب قد استفادوا من انتقاداتنا فهذبوا الفاظهم وصححوا عباراتهم وبعض الادباء رغبوا في اتباع مثالنا والنسج على منوالنا فنشروا على صفحات الجرائد بعض الاغلاط واشاروا الى وجوه تصحيحها وهو عمل ممدوح لانه يدل على شغفهم بهذه اللغة الشريفة وغيرتهم عليها فنحن نثني عليهم ونتمنى ان يكثر امثالهم في الوطن العزيز لكننا نستأذنهم في ايراد الانتقادات الآتية :

(١) انهم اتخذوا لانتقاداتهم العنوان الذي اتخذناه نحن وهذا مما يدعو الى الالتباس حتى يعسر على القارىء التمييز بين ما ننشره نحن وما ينشرونه هم ويعرض المجمع العلمي الى ان ينسب اليه ما لم يكن موافقاً عليه وقد كان في امكان اولئك الادباء ان يتخذوا لانتقاداتهم عنواناً آخر دفعاً للالتباس لان الالفاظ الدالة على هذا المعنى كثيرة والعجيب ان احدهم زاد على عنواننا لفظة الالسنة ولم نر سبباً لتلك

الزيادة الا اذا كان يظن ان عثرات الاقلام غير عثرات الالسنة والذي نظنه نحن ان من يصحح عثرات قلمه يصحح عثرات لسانه .

(٢) انهم كرروا تصحيح بعض الاغلاط التي نبهنا عليها وصححناها وماعهدذلك ببعيد فينسى فكأنهم لم يطلعوا على ماتشرناه اواطلعوا عليه وتجاهلوا لسبب لانعلمه .

(٣) انهم انكروا على الكتاب استعمال الفاظ وتراكيب صحيحة كعوائد في جمع عادة وصنائع في جمع صناعة وكتعدية احس بالباء وغير ذلك مما لا ينكر استعماله اما عوائد فقد نص على صحتها في كتب اللغة قال في تاج العروس ومن جموع العادة عوائد ذكره في المصباح وغيره وهو نظير حوائج في جمع حاجة اهـ: فالظاهر من هذا النص ان هذا الجمع منقول من العرب لثبوته عند ائمة اللغة وقدورد استعماله في كتابات البلغاء قال ابن خلدون في مقدمته (العوائدترسخ بكثرةالتكرار).

واما صنائع فهي جمع صناعة على القياس كما يتبين ذلك من مراجعة اقوال العلماء قال ابو علي الفارسي في كتاب الايضاح ان ما كان على وزن فعالة (اي مثلث الفاء يجمع سالماً ومكسراً فيقال في جمع ذؤابة وسحابة ورسالة ذؤابات وذوائب وسحابات وسحائب ورسالات ورسائل وجاء مثل هذا القول في كتاب التسهيل لابن مالك وكتاب شرح الالفية للاشموني والمستفاد من ذلك انه يجوز ان تجمع صناعة على صنائع كما نص على ذلك في بعض المعاجم وقد وردت هذه اللفظة ايضاً في مقدمة ابن خلدون مئات من المرار كقوله ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع لما بينا ان الصنائع انما تستجاد اذا احتيج اليها واما تعدية احس بالباء فقد نص عليها القاموس قال احس الشيء بالشيء علمه وشعر به .

ومما انكره احدهم على الكتاب قولهم (ما كان لي ان اقول لك) وصححه بقوله (مايكون لي ان اقول لك) او مايصح لي واستشهد بقول القرآن: سبحانك مايكون لي أن اقول ماليس لي بحق : ومفاد ذلك ان استعمال الماضي بدلاً من المضارع في مثل هذا التعبير خطأ : ولا نرى وجهاً لهذه التخطئة لانه اذا قال زيد لعمرو لمَ لم تخبرني بالامر حين زرتني بالامس واجابه عمرو ما كان لي ان اخبرك به قبل اليوم اي ماصح لي او ما جاز لي كان التعبير صحيحاً لا غبار عليه على انه يجوز استعمال

الماضي في موضع المضارع في مثل هذا المقام وقد ورد ذلك في القرآن الكريم مراراً عديدة كقوله تعالى في سورة التوبة: ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين . وقوله فيها ايضاً : ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله : وقوله في سورة الانفال : ما كان لنبي ان يكون له اسرى : وقوله في سورة الشورى : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً . والمعنى في هذه الآيات وامثالها ما يصح وما ينبغي وما يجوز وذلك دليل واضح على جواز استعمال كان في موضع يكون في الجملة المعترض عليها: واما قول المعترض : ولك ان تقول ايضاً ومعناه يقرب من معنى ما سبق : لم اكن لاقول لك وما كنت لاقول لك: ففيه نظر : لان المعنى في هذه الجملة نفي القول والمعنى في الجملة السابقة نفي جواز القول والفرق بين المعنيين بعيد فلا يصح ان يعبر عن احدهما بما يعبر به عن الآخر فالمأمول في ادبائنا ان لاينشروا انتقاداً بدون تحقيق ولا يتطرفوا في انتقاداتهم الى حد انهم يمنعون استعمال الجائز في اللغة لان هذا المنع مضر بها كتجويز الممنوع فكما ان استعمال الخطأ يفسدها كذلك ترك الصواب يضيق نطاقها ويثبط عزائم الكتاب ويغل ايديهم .

هذه انتقاداتنا اوردناها بالاخلاص ولم نقصد بها المناظرة او المناقشة وانما قصدنا بيان الحقيقة واثبات الفائدة والله المسئول ان يرشدنا جميعاً الى محجة الصواب .

* * *

— ٤ —

ومن عثراتهم قولهم (وقد اعرب الحاكم عن حسن نواياه نحوهم) صوابه (عن حسن نياته) لان نية تجمع على (نيات) لا نوايا .

ومنها قولهم (وقد دعا الوزير ذوات البلد وكلمهم في الامر) صوابه وجهاء البلد واعيان البلد . وذوات جمع ذات وان كانت بمعنى نفس الشيء لم ترد بمعنى الوجهاء او الاعيان في كلام الفصحاء .

ومنها قولهم (كما وان هذه المسألة نالت استحساناً من الجميع) صوابه (كما ان) بحذف الواو اذ لا معنى لزيادتها في هذا المقام .

ومنها قولهم (لا بد من السعي لأجل نوال هذه الامنية) صوابه (لاجل نيل هذه الامنية) اما النوال فمعناه العطية والعطاء .

ومنها قولهم (ولم تظهر بعد نتيجة هذا التطاحن) لا معنى لتطاحن هنا وصوابه التقاتل او التصاول او التجاول .

ومنها قولهم (اي متى تتفرج الازمة) صوابه (متى تتفرج) او (ايان تتفرج) فهما للاستفهام عن الزمان المستقبل اما (اي) فللاستفهام مطلقاً و (متى) تفيد الاستفهام بنفسها فلا معنى لدخول اداة استفهام على اخرى .

ومنها قولهم (اجال طرفه الى الناس) صوابه (اجال اي ادار طرفه ونظره فيهم لا اليهم) .

ومنها قولهم (باشروا بالاحصاء منذ امس) صوابه (باشروا الاحصاء) من دون باء .

ومنها قولهم (سوف لا يعملون مصلحة البلاد) سوف والسين كالجزء من الفعل فلا يفصل بينها بفاصل فالواجب ان يقال (سوف يعملون) في الاثبات و (لايعملون) في النفي واذا اريد تأكيد الاستقبال مع النفي قيل (لن يعملوا) فهو نفي واستقبال معاً .

ومنها قولهم (وهو من المحكومين بالسجن المؤبد) صوابه (من المحكومين عليهم) لانه يقال حكم عليه القاضي لا حكمه القاضي .

ومنها قولهم (وقد اصبحت القلوب تشعر رحمة وحناناً على البؤساء) صوابه (تشعر برحمة وحنان) لان فعل شعر يتعدى بحرف الجر لا بنفسه !

ومنها قولهم (وقد شجب دولة الحاكم هذا الرأي وصوب الرأي الاول) (شجبه)اهلكه واحزنه ولا تكون بعنى قبحه وعابه كايستعملها بعض الكتاب .

ومنها قولهم (ديسيمتر) يعنون جزءاً من عشرة و (سانتيمتر) جزءاً من مائة و (ميليمتر) جزءاً من الف ، والافضل ان يستعمل مكان الديسيمتر (العشر) لان العشر واحد من عشرة ومكان السانتيمتر (العشير) بوزن امير اذ هو واحد من مائة ومكان الميليمتر (المعشار) لانه الواحد من الف كما في التاج .

ومنها قولهم (عادت الجريدة الى الصدور بعد انحجاب ستة اشهر) صوابه

بعد احتجاب او تحجب لان هذا الفعل لم يرد من باب الانفعال .

ومنهاقولهم(سيا اذا كان الامر كذا)بحذف لا من لاسيما وهي لاتحذف منها.

ومنها قولهم (وقد جبوا اموال عشر قرايا) جمع قرية وصوابه (قرى) وقولهم (حساب السرايا لايجيء على حساب القرايا) ليس موضعاً للاستشهاد به على الصحة .

ومنها قولهم (اوقفته محكمة العدلية ثم عادت فاطلقت سراحه) الافصح ان يقال (وقفته) ثلاثياً من دون همزة كما ان الصواب ان يقال ان المحكمة (اطلقته) او (سرحته) اذ لا معنى لاطلاق السراح فان الذي يطلق هو المحبوس لا المسرح .

ومنها قولهم (حوت تلك الدار الرياش الثمين والاثاث المفتخر) صوابه الفاخر والفاخر الجيد على كل شيء قال في الاساس (ثوب فاخر اي رفيع) ويعني بذلك ارتفاع قيمته .

ومنها قولهم (وفتح حانوتاً يبيع فيه الاوائل الكهربائية) صوابه الآلات او الادوات جمع آلة واداة اما الاوائل فهي جمع أول لا جمع آلة .

ومنها قولهم (دهسه القطار او الاوتوموبيل فقتله) مكان (دعسه)او(داسه) و (دهس) لا تكون بهذا المعنى اصلاً وانما معناه سهولة الارض ولينها فالأولى الرجوع الى استعمال كلمة (داسه) القطار او (دعسه) القطار وان قيل ان الدوس والدعس للوطء بالرجل نقول فلنستعمل مكانها (هرسه) القطار لأن الهرس دق الشيء دقاً عنيفاً بشيء عريض .

ومنها قولهم (مكافأة لا تعادله الجملة) صوابه (مكافأة له على اتعابه) .

ومنها قولهم (وليس المتوجب عليه ان يفعل كذا) صوابه وليس الواجب عليه ان يفعل لانه لم يرد فعل توجب بمعنى وجب وانما معناه اكل الوجبة اي المرة الواحدة في اليوم والليلة .

وقولهم (الدولة الفلانية الفخيمة) صوابه الفخمة ويقولون (فلان ذو مقام فخيم) اي عظيم وصوابه فخم من دون ياء ومثله ضخم وضخمة لا يقال فيها ضخيم ولا ضخيمة ..

* * *

الجامعة الاميركانية

او الجامعة الاميركية

أي النسبتين أصح لفظاً ومعنىً

من قواعد النسبة المشهور ان يجرد الاسم المنسوب اليه من علامة التثنية والجمع (ويعنون جمع المذكر السالم) فلا ينسبون الى رجلين او رجلان ولا الى أهلين او أهلون إلاّ بعد حذف العلامة الزائدة من آخر الاسم .

ولماذا ذلك ؟ والجواب :هذه مسألة عقلية يجيب عنها المشتغلون بعلوم المنطق والكلام ويقولون كما لا يخفى على مفكر ان النسبة الى المثنى لا تفيد وقد تكون أحياناً فاسدة فضلاً عن عدم افادتها والعامة من المتكلمين ادركوا ذلك بالسليقة فلم ترد تلك النسبة في كلامهم فيما مضى ولا ترد في كلامهم الآن .

واما الاعلام الذين وضعوا القاعدة فلا شك انهم أدركوا ذلك بالسليقة اشتراكاً مع العامة وأدركوه عن طريق الروّية والفكرة أيضاً وليس المرقف موقف بيان وتعليل الآن .

بعد هذه المقدمة دعونا نسأل هل الالف والنون في أميركان للتثنية بل هل هي لشيء يقارب التثنية بوجه من الوجوه ؟ كلاّ فلماذا اذن تحذف ؟

اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل

ان العامة لم تدعهم السليقة وذوق الفطرة من النسبة الى اميركان بدون حذف فقالوا كلهم وقال معهم معظم الادباء وان لم يكن كلهم في حديثهم، أميركاني جرياً مع باعث الذوق والفطرة فلما ذا يا بعض الأدباء خالفتموهم وخالفتم ذوقكم وبديهتكم وقلتم أميركيّ بدل أميركاني حينما تكتبون ؟

ايها الأدباء انه يجيء في كتاباتكم هذه العبارات الآتية أو مثلها ــ أميركا بلاد الاميركان وبريطانيا بلاد البريطان وجرمانيا بلاد الجرمان وهذه العبارات تشفّ بل واضح فيها كالصبح ان اميركان اسم جنس كبريطان وجرمان ثم انتم تنسبون الى بريطان وجرمان فتقولون بريطاني وجرماني لا يخطر ببال أحدكم ان يحذف الألف والنون بل لو فكر في حذفها لم يطاوعه لسانه لفظاً ولا قلمه كتابة

فلماذا خالفتم في أميركان وما هو الوجه المصحح لهذه المخالفة عندكم ومثل بريطان وجرمان ويابان واسپان وافغان والنسبة الى جميعها ياباني واسباني وافغاني لا يخطر في بال أحدكم الحذف في كل هذه الألفاظ أصلاً .

انا اعلم ان كثيرين من الأدباء الكتاب بل كثيرين من الأدباء المشتغلين بعلم الصرف يترقفون مفكرين قبل ان يجيبوا عن سؤالي « لماذا خالفتم في أميركان الخ » المار اعلاه .

لعلكم تقولون قسنا أميركان على ايطاليان وقلنا اميركي كما نقول ايطالي . صدقتم ونعمت ما قلتم فان عليه مسحة من الحق الظاهر . وقبل ان نجوّح هذا القول أقول انكم تقولون رجل ايطالياني وجامعة ايطاليانية كما تقولون ايطاليّ وايطاليّة فهل تجوزون في أميركان ما جوزتموه في ايطاليان أي تقولون جامعة اميركانية كما تقولون اميركية ؟

أيها الأدباء ان ايطاليّ انما هو نسبة الى ايطالية اسم البلاد وايطالياني نسبة الى ايطاليان كأميركان اسم الجنس فاشتبه عليكم الامر وظننتم انكم نسبتم بحذف الألف والنون .

وهنا أقول انهم يختصرون ايطاليان الى طليان فيقولون أمة الطليان كما يقولون أمة الايطاليان وينسبون فيقولون طلياني والامة الطليانية والمدرسة الطليانية لا يجسر أحد ولا يدور على لسان أحد ان يقول مدرسة طليوية بحذف الألف والنون

انرجع الى موضوعنا الجامعة الاميركانية والجامعة الاميركية فنقول اما الصورة الاولى فنسبة الى اسم الجنس طبقاً للقاعدة ليس عليها أدنى غبار وقد ذكرنا لها أشباهاً كبريطاني وجرماني واسباني وياباني وافغاني حديثاً ولها أشباه ونظائر وردت في كتابة ثقات كتابنا قديماً ولا تزال ولن تزال على ألسنتا وفي كتاباتنا ما بقيت اللغة العربية المضرية من ذلك قولهم الامة العبرانية والسريانية والكلدانية .

وأما الصورة الثانية فلا وجه لها إلا أن نقول انها نسبة الى اسم البلاد قياساً ظاهراً . على ايطاليا كما المعنا . فما هو اسم البلاد أميركا أم أميرك . الذي على الألسنة أميركا وما أظن من يكابر وينكر المستعمل المحسوس والنسبة الى أميركا يجوز فيها أميركاني قياساً على صنعا صنعاني ويجوز فيها أميركي بحذف الحرف الاخير قياساً على حبارى وحندقوقي لكن قياس أميركا أميركاني على صنعا صنعاني أولى

لان صنعا علم مكان كاميركا بخلاف حبارى وحندقوقى فانها اسما جنس والألف في آخرهما زائدة على التحقيق وفقاً للقاعدة الصرفية العامة المتعارفة بخلاف اميركا فان ألفها الاخيرة لا يحكم لها بالزيادة ولا بالاصالة من حيث موقفنا العربي تجاه لفظها الاعجمي على انا اذا ادعينا معرفة اللاتينية قلنا انها اولى ان تكون مقلوبة عن الواو من أميركوس الذي تسمت القارة باسمه واذا كانت كذلك فاثباتها او قلبها واواً مع ياء النسبة اولى من حذفهـــا لان حذف الألف قياساً على حبارى وحندقوقى استحسان على خلاف القاعدة وجوز عند عدم الالتباس للتخفيف وسهولة اللفظ بخلاف اثباتها وقلبها فانه وفقاً للقاعدة وما كان وفقاً للقاعدة فلا يعدل عنه الى الاستحسان الا لعذر ولمسوغ جلل يدعو اليه حسن الذوق كما المعنا فالاولى اذن ان نقول اميركوي لا اميركي او اميركاوي اذا توهمناهـــا من الممدود وقصرناها تخفيفاً في اللفظ .

على ان هنالك مانعاً معنوياً يمنع من النسبة الى اميركا اسم البلاد وبيانه ان اميركا يراد بها القارة برمتها والاميركي اي المنسوب الى اميركا يجوز ان يكون من الولايات المتحدة او المكسيك او من كندا بخلاف المنسوب الى اسم الجنس فانه ينصرف الى أهل الولايات المتحدة وهو المراد من الجامعة الاميركانية وعليه فالجامعة الاميركية مفضولة من جهة اللفظ وممنوعة من جهة المعنى والذين استعملوها وظنوا انها وفقاً للقواعد تسرعوا في ظنهم ان لم نقل انهم لم يحققوه .

وقد اطلت ليقاس على هذه المسألة أمثالها ويتروى الذين يعلمون بعض العلم وليسوا من أهل التحقيق الكافي الذي ينبغي الرجوع اليه عند الاقتضاء والسلام .

جبر ضومط

عظة المأمون لابنه

قال المأمون لابنه العباس وهو يعظه ينبغي يا بني لمن اسبغ الله عليه نعمه وشركه في ملكه وسلطانه وبسط له في القدرة ان ينافس في الخير مما يبقى ذكره ويُحتسب أجره ويرجى ثوابه وان يجعل همته في عدل ينشره او جور يدفنه وسنة صالحة يحييها او بدعة يميتها او مكرمة يعتقدها او صنيعة يسديها او يد يُودعها ويوليها او اثر محمود يتبعه اه .

اخبار وافكار

احدى جلسات المجمع

عقد مجمعنا العلمي جلسته المعتادة في المدرسة العادلية مساء الاربعاء الواقع في ٧ ايلول تحت رئاسة رئيسه الاستاذ محمد كرد علي مدير المعارف العامة وقد شهد الجلسة من أعضائه الشرفيين حضرات الاساتذة فارس بك الخوري وسليم بك عنحوري والشيخ عبد القادر المبارك واستأذن في حضور الجلسة المستشرق المسيو لسير الفرنسي فدارت المذاكرة حول عدة مسائل علمية ولغوية ، من ذلك :

(١) البحث في جموع المصادر التي فشا استعمالها في الكتابة العربية مثل (الانتخابات) و (التدقيقات) و (التخصيصات) و(التعقيبات)و(الاصطلاحات) فارتأى بعض الاعضاء انها مصادر والمصدر لا يجمع فهو يدل على التعدد والكثرة بصفته الاصلية لكن لوحظ أخيراً ان ما يجمع من هذه المصادر انما يراد به الحاصل بالمصدر وهو أثر الفعل لا المصدر نفسه وتارة يراد المصدر النوعي او بناء المرة منه فقولنا (وردت الانتخابات من الاقضية) لم يرد بالانتخاب هنا فعل الفاعل وانما المراد أثره المتكرر بتكرر الاقضية وهكذا يقال في البواقي .

(٢) البحث في كلمة (فخيم) التي أنكرها المجمع في (عثرات الاقلام)وقال ان الصواب ان يقال (فخم) من دون ياء فقد قال بعض الاعضاء ان الكلمتين كلتيهما ذكرهما العلامة اليازجي في نجعته مع ان (فخيم) بالياء لم تذكر في شيء من معاجم اللغة المعتبرة التي بين أيدينا : فمن قائل انه لا يجوز الاعتماد على ما قاله الشيخ اليازجي ما لم نر ما يؤيده في معاجم اللغة ومن قائل بلزوم الاعتماد عليه . وقر القرار انه قد أصبح في هذه الكلمة شبهة لا بد ان تنجلي أخيراً في العثور على نص عنها في بعض كتب اللغة او الادب

(٣)البحث في ثلاث كلمات عرضها الاستاذ «المغربي» على الاعضاء وطلب رأيهم فيها (١) كلمة «قازوز» هل هي عربية الاصل بمعنى القارورة الصغيرة او الاناء الصغير يشرب

به الشراب كما في معاجم اللغة العربية او هي فرنسوية الاصل من (gaz) و (gazeuse) و (٢) كلمة «سلطة» هل هي عربية الاصل من «السليط» وهو الزيت او هي فرنسوية الاصل من Salade) المشتقة من (Sel) ملح او (Sal) ملح باللاتينية. و (٣) كلمة (sarrasin) التي يطلقها الافرنج على المسلمين فاتحي الاندلس والمغرب الاقصى في القرون الاولى هل هي محرفة عن (صحراويين) او (سراقين) كما قيل او (شرقيين) كما قاله بيرلوتي. وبعد البحث قر القرار على ان الكلمتين الاوليين من اصل فرنسي لانها انما دخلتا في لغتنا العربية بعد اختلاطنا بالافرنج في العصور الاخيرة وبعد سماعنا هاتين الكلمتين منهم. واستحضرت دائرة المعارف الفرنسوية La grande-encyclopédie فروجعت فيها كلمة (sarrasin) فتبين انها محرفة عن كلمة (شرقيين) العربية ، ولا غرو فان العرب شرقيون زحفوا على المغرب واسبانيا وفرنسا من جهة الشرق .

(٤) البحث في كتاب (قانون البلاغة) وهو كتاب لطيف الحجم عثر عليه بين مخطوطات المكتبة الظاهرية لمؤلفه (فخر الدين ابي طاهر محمد بن حيدر البغدادي) وتاريخ كتابته (سنة ٦٩٢هـ) فقرأ الاعضاء منه صفحات وتذاكروا في امر طبعه ونشره ولم يعثروا بعد البحث [١] على الزمن الذي عاش فيه مؤلفه لكن يظهر من اسلوب عبارته واستشهاداته وبعض قرائن اخرى انه من رجال القرن الرابع او الخامس للهجرة لاسيا وهو يحذو في بحثه عن بلاغة الكلام و فصاحته حذو امام البلاغة الشيخ عبد القادر الجرجاني في كتابيه (اسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) وان هذا الكتاب (قانون البلاغة) اذا طبع ونشر كان اخا الكتابين . وثالث القمرين. وهو فوق ذلك ان لم يُعَلِّم البلاغة بقواعده علمها باسلوبه ، وبلاغة كتابته . ثم قر القرار

---

(١) ثم عثرنا بعد البحث على شيء من ترجمة المؤلف في (قاموس الاعلام) لشمس الدين سامي فقد قال عنه انه كان من الشعراء وتوفي سنة (٥١٧) للهجرة ومن شعره قوله في وصف الخمرة :

مرحباً بالتي بها قتل الهـــ	ـم وعاشت مكارم الاخلاق
وهي في رقة الصبابة والشو	ق وفي قسوة الجفا والفراق
لست ادري امن خدود الغواني	عصروها ام من دم العشاق

على ان يقرأ الكتاب كله أحد الاعضاء ويعطي رأيه فيه فاختير لذلك حضرة سليم بك عنحوري . »

(ه) قرىء كتاب وارد من حضرة العلامة احمد باشا تيمور البحاثة المصري المشهور وهو يتضمن وعده بارسال بعض كتب مهمة لغوية كان المجمع طلبها منه .

وبعد المذاكرة في موضوع الكتاب وموضوعات اخرى خصوصية ختمت الجلسة .

آثار تل النبي مندو

قدمت البعثة الاثرية الفنية الفرنسية برئاسة الاثري المشهور فوسيه من مدة وافتتحت حفرياتها على شاطىء (بحيرة قدس) المعروفة اليوم باسم (بحيرة قطينة) واستدلت ان تل النبي مندو كان عاصمة الحثيين كما ذكرت ذلك الجرائد نقلا عن الصحف الاجنبية ولما كان ذلك مخالفاً لما دلت عليه الآثار المصرية المكتشفة احببت ان اقول كلمتي في هذا الموضوع :

ان مدن قادش أو قدس التي معناها اللغوي المقدس كثيرة في جهات فلسطين ذكرتها التوراة مراراً ولكن قادش حمص موضوع هذه العجالة هي غرضنا الآن .

كانت قادش حمص على شاطىء بحيرة باسمها عاصمة دولة اللودانيين او الروتانيين اخوة الآراميين الذين سكت المؤرخون عن اخبارهم ولكن الآثار المصرية ولاسيما في هيكل الكرنك المشهور دلتنا على عظمتهم فكانت هذه الدولة المنسوبة الى لود (لاوذ) ابن سام وهو اكبر من آرام اصغر اخوته امارات صغيرة مختلفة الاغراض متلونة النزعات ضرب التفريق فيها اطنابه فمزق شملها طرائق ولذلك خضد شوكتها فراعنة مصر وفت في عضدها حثيو سورية . وكانت قبائل اللودانيين منقسمة الى لودان المغرب او الاسفل وهم سكان دمشق وماليها وبلاد الكنعانيين (فلسطين) . والى لودان المشرق او الاعلى وهم سكان سورية الشمالية وجزء من غربي مابين النهرين . وكان الحثيون قد دانوا لهم فضربوا عليهم الخراج مدة طويلة . واختطوا مدناً عظيمة مثل حماه وحمص ودمشق وغيرها . وكان لهم عاصمتان كركميش المساة الآن جرابوليس (تحريف هيرابوليس)

في الشمال. وقادش او قدس في الجنوب. ولما استظهر عليهم الحثيون بعد مواقع كثيرة استولوا على عاصمتهم ومدنهم الاخرى فغيروا اسم (قادش او قدس) الى (خثينة) او (كثينة) اي حثي فحرفتها العامة (قطينة) وهو اسم البحيرة المذكورة اليوم وقربها قرية صغيرة باسمها لا شأن لها .

وفي غزوة تحوتمس الثالث الذي قاد جيوشه الى غزة هاشم كان قائد عساكر جميع ملوك سورية وبلاد كنعان انما هو ملك قدس الروتاني فغلبه ملك مصر على أمره واخضع ١١٩ مدينة من مقاطعته بينها تمسكو (دمشق) وباروتا (بيروت) وهدم حصونه المنيعة ونكل به .

ولقد اندفقت قبائل الرودانيين من الشمال على أثر اندحارها الى الجنوب فاتصلت بسورية المجوفة اي سهول حمص وبعلبك والبقاع ووادي الزبداني وبردى ودمشق حتى فلسطين وعم اسم آرام جميع تلك الفلول وتنوسي اسمها الاصلي ولا سيا بعد انقراض ملك الحثيين في القرن الثامن قبل الميلاد لاقتصاص الآراميين منهم واستثأرهم لاخوتهم .

هذه لمعة صغيرة الآن تثبت اعتماداً على الآثار المصرية وأقوال محققي المؤرخين. ان قبيلة الرودانيين التي سماها المصريون الروتانيين او الروتنو انما كانت قبل الحثيين والآراميين ولها حضارة قديمة ومدن وآثار ذات شأن منها مدينة قدس هذه التي ستظهر عظمتها حفريات تل مندو .

وربما عدت الى تفصيل هذا المجمل في فرصة اخرى ان شاء الله .

عيسى اسكندر المعلوف
من أعضاء المجمع

هدية وزارة المعارف والفنون الفرنسية الجليلة
لمجمعنا العلمي

أطرفتنا تلك الوزارة بآثار نفيسة طبعها كبار المستشرقين الفرنسيين بالغتين العربية والفرنسية وهي في ثمانين مجلداً متقنة الطبع صقيلة الورق حسنة الترتيب جميلة الفهارس مما خدم به التاريخ والادب في المشرق فشكرنا لها هذه الاريحية شكراً وافراً وضممنا هذه الطرائف النفيسة الى مكتبتنا منوهين بفضل الوزارة المشار اليها وهمة علمائها الاعلام الذين نرى ابحاثهم المتواصلة في لغتنا تغنيها بآثارهم الخالدة . وسنصفها مفصلاً في ما يأتي .

مطبوعات حديثة

جامعة ليون

L'Université de Lyon 1919
Auguste Ehrhard professeur à la Faculté des lettres

أهدى مدير مكتبة جامعة ليون كتاباً الى المجمع العلمي العربي وضعه الموسيو اوغست اهرار من اساتذة كلية الآداب في الجامعة نفسها سماه « جامعة ليون » وقد ضمنه صاحبه اثني عشر فصلاً بحث فيها عن ليون وعن أعمال مجلس الجامعة وذكر كليات الجامعة الاربع وهي كلية الحقوق ، وكلية الطب والصيدلة ، وكلية العلوم ، وكلية الآداب ، وجرى له كلام في مدارس ليون ومعاهد العلم فيها ،وفي مكتباتها ومكتبة الجامعة وفي المتاحف وطرائف الفنون التي تشتمل عليها مدينة ليون ومضى له قول في متنزهات المدينة وفي الالعاب الرياضية وفي عيشة الطلاب التي يعيشونها واختتم الكتاب بنظرات في مستقبل الجامعة . —

تألفت جامعة ليون سنة ١٨٨٥ من كليات اربع وقد بلغ عدد طلابها سنة ١٩١٤ ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثمانين طالباً وجاوز عدد الذين تولوا في السنة نفسها شؤون التدريس والادارة مائتين وخمسين رجلاً اما الكليات الاربع فهي :

كلية الحقوق . ـ أنشئت هذه الكلية سنة ١٨٧٥ وشهاداتها على ثلاثة ضروب :

شهادة تؤخذ بعد قضاء سنتين في الكلية واصحابها محررو المقاولات .

وشهادة تؤخذ بعد ثلاث سنين واصحابها يرشحون للمحاكم والمحاماة ويؤهلون لمجالس الشورى وتفتيش الامور المالية والادارية .

وشهادة تؤخذ بعد خمس سنين وهي « الدكتورا » واما الطلاب الاجانب فان الجامعة تعطيهم هذه الشهادة بعد اربع سنين .

ويلزم الذين يعزمون على الاخصاء في العلوم الاقتصادية والمالية او في العلوم السياسية والادارية ان يقضوا في الكلية سنتين لنيل الشهادة . —

وقد جعلت الجامعة لكلية الحقوق شعبة في بيروت انشأتها سنة ١٩١٤ على اصول مدرسة الحقوق في القاهرة درّس فيها في اول نشأتها ثلاثة اساتذة ودخلها خمسة واربعون طالباً وشهادتها تؤخذ بعد ثلاث سنين . —

كلية الطب والصيدلة . — أنشئت هذه الكلية سنة ١٨٧٤ وفيها مائة واربعة اساتذة يتقاسمون التدريس النظري والعملي ويتشاطرون الامور الادارية وقد جمعت هذه الكلية سنة ١٩١٤ الفاً ومائة وثلاثة وستين تلميذاً .

مدة تدريس الطب خمس سنين ما خلا السنة التي يقضيها الطلاب في كلية العلوم لأخذ شهادة بالكيمياء والطبيعيات .

ومدة تدريس الصيدلة اربع سنين وسنة يقضيها الطالب بالتطبيق (Stage) بعد الفروغ من دروسه .

واما التشريح وطب الاسنان وهما درس واحد فان المتفرغ لهما يصرف ثلاث سنين في المدرسة ويقضي سنتين في التطبيق . وفن التوليد مدته سنتان .

كلية العلوم . — أنشئت هذه الكلية سنة ١٨٠٨ ثم اغلقتها الحكومة سنة ١٨١٥ على سبيل الاقتصاد فاستأنفت اعمالها سنة ١٨٣٣ وكانت غايتها تخريج عمال الحكومة إلا انها تجاوزت الحد المرسوم فاخذت تخرج العلماء ومن في طبقتهم .

يتولى شؤون التدريس فيها ستة وخمسون استاذاً والعلوم التي تدرس فيها هي: الرياضيات والكيمياء والطبيعيات والتاريخ الطبيعي وطبقات الارض .

وقد فتح فيها سنة ١٩٠٩ معهد للزراعة النظرية ومدة التدريس فيه ثلاث سنوات وشهادة هذا المعهد شهادة مهندس زراعي . —

كلية الآداب . — أنشئت كلية الآداب سنة ١٨٠٨ ثم جرى عليها ما جرى على اختها كلية العلوم فاستأنفت اعمالها سنة ١٨٣٣ والعلوم التي تدرس فيها هي :

الفلسفة والادبيات الفرنسية ، واللغات الحية ، والادبيات المقابلة ، والتاريخ العام وتاريخ ليون ، وتاريخ الفن . —

تلقى الدروس في هذه الكلية بالمحاضرات لان هذه الطريقة تشد أواصر المودة بين الاستاذ والتلميذ ويدخل الكلية من سنة الى سنة طالبات ينصرف اكثرهن الى

التاريخ واللغات الحية ولمـــا امتد قبل الحرب ظل الجامعـة الى الشرق شرعت الجامعة تدرس لغة العرب وتاريخهم وآدابهم . —

وفي هذه الكلية متاحف عديدة :

منهـا متحف للآثار القديمـــة حوى سنة ١٩١١ ألف قطعة من آثار المصريين والكلدانيين والسريانيين مع آثار اليونان والرومان ومنها متحف لآثار القرون الوسطى . وفيها معهدجغرافي ومعهد لفن التربية .

وللجامعة مكتبة تشتمل على مائتي الف مجلد يقوم بامرها تسعة اشخاص وقد خصص لها في كل سنة ٣٨٤٨٤ فرنكاً . —

ولجامعة ليون ولسائر المدارس فيها اعتناء خاص بالطلاب الاجانب فانهم يهتمون كل الاهتمام بامر معيشتهم حتى لا يحصل لهم شيء من الوحشة . —

ثمرة العقل

سأل المأمون موبذان موبذ فقال له ما ثمرة العقل:قال ثماره الكريمة كثيرة، منها احراز المرء نصيبه من الشكر وان تتم نيته في الحرص على مكافاة كل ذي نعمة ويبلغ من ذلك بالفعل غاية القدرة . ومنها ان لا يسكن الى الدنيا على حال ولا يطيعها في التفريط في الاستعداد . ومنها ان لا يدع السرور ولا يتعرض لزوال النعمة . ومنها الا يعمل عملاً في غير موضعه ولا يغفله في موضعه الا بعد النظر والتثبت . ومنها الا تبطره السراء ولا يشتكي الضراء ومنها ان يسير مابينه وبين صديقه سيرة لا يتجاوز معها طعن حاكم ويسير ما بينه وبين عدوه رفقاً يشركهم به في حسنانهم . ومنها ان لا يبدأ احداً باذى واذا اوذي لم يتجاوز في الانتصار حد العدل . ومنها ان يكون الهوى مع الحق حيث كان . ومنها ان لا يفرحه مدح المادح بما ليس فيه ولا يحفل عيب من عابه بما هو منه بريء . ومنها ان لا يعمل عملاً يكتسب منه ندماً . ومنها احتمال نصب البر وسخاء النفس عن كل لذة .



الجزء ١١ ت ٢ سنة ١٩٢١ م الموافق غرة ربيع الاول سنة ١٣٤٠هـ المجلد ١

الاعلام بمعاني الاعلام

٢

ابن قُصيّ : اسمه زيد وقيل مجمّع اما قصي فهو تصغير قاص اي بعيد وسمي به لانه قصي عن قومه لتزوج امه برجل من عذرة وكانت بلاد عذرة مشارف الشام فحملت معها قصياً لصغره .

والقصي ايضاً البعيد قال تعالى (مكاناً قصياً) فكأنه فعيل بمعنى فاعل وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيداً وزيادة ومزيداً ومزاداً بمعنى النمو قال الشاعر :

وانتم معشر زيـــد على مائة   فاجمعوا كيدكم طراً فكيدوني

سمت العرب زيداً وزيد اللات نسبة الى الصنم المشهور وزياداً ومزيداً وزائدة وهو اسم صنم وسمت ايضاً يزيد بالفعل المضارع .

واما مجمّع فسمي به لأن سدانة الكعبة كانت لخزاعة وكان الدفع من عرفات لقبيلة اسمها صوفة وكانت تجيزهم اذا تفرقوا من منى فاذا كان يوم النفر اتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للنـــاس لا يرمون حتى يرمي فاذا فرغوا من منى اخذت صوفة بنـــاحيتي العقبة وحبسوا الناس فقالوا اجيزي صوفة فاذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فلما كان في بعض السنين فعلت صوفة كما كانت تفعل . قد عرفت لها العرب ذلك فهو دين في انفسهم فأتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاعة فمنعهم وقال : نحن اولى بهذا منكم فقاتلوه وقاتلهم قتالاً شديداً فانهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بايديهم وانحازت عند ذلك

سدنة البيت وبنو بكر وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحازوا عنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل في الفريقين واجلى خزاعة عن البيت وجمع قصي قومه الى مكة من الشعاب والاودية والجبال فسمي مجمعاً فنزل بعضهم بظواهر مكة فسموا قريش الظواهر وتسمى سائر بطون قريش البطاح عن(ابن الاثير) : والبطاح جمع بطحاء وهي والابطح والبطيحة مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى . قال في القاموس وقريش البطاح الذين ينزلون بين اخشبي مكة (اي جبليها ابي قُبيس وما يقابله) ومن نزل خارجاً عنها يسمى الظواهر لنزولهم خارج الشعب .

ابن كلاب : كلاب مصدر كالب فلاناً مكالبة وكلاباً ضايقه كمضايقة الكلاب بعضهم بعضاً عند المهارشة والمكالبة المشارّة والمضايقة . والتكالب التواثب يقال هم يتكالبون على كذا اي يتواثبون عليه فمعنى كلاب هذا المضايقة سموه بذلك لما تقدم من ان العرب تسمي ابناءها لاعدائها وسموا ايضاً بكلب وكليب وليس المراد به هذا الحيوان النابح بل الكلب لغة محل سبع عقور كما في الصحاح ولسان العرب قال في القاموس وغلب على هذا النابح وعلى الاسد اي كما قال ﷺ في ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فافترسه الاسد ويطلق الكلب ايضاً على اول زيادة الماء في الوادي كما قال ابن الاثير في النهاية وعلى خشبة يعمد بها الحائط وعلى القد بالكسر وهو السير المقدود من الجلد قال في التاج ومنه رجل مكلّب اي مشدود بالقد قال طفيل الغنوي :

فباء بقتلانا من القوم مثلهم وما لا يعد من اسير مكلب

وقيل مكلب مقلوب مكبل ومن معاني الكلب ايضاً طرف الاكمة والمسمار في قائم السيف وجبل باليمامة ذكره ابن سيده والخط الذي في وسط ظهر الفرس وحديدة في طرف الرحل يعلق فيها الزاد والادوات كالكلّاب بالفتح والكلّوب ويطلق ايضاً على ذؤابة السيف وكل ما اوثق به شيء فهو كلب لانه يعقله اي يحبسه كما يعقل الكلب من علقه كذا في القاموس وشرحه والكلّاب صاحب الكلاب والكليب جمع الكلاب يقال كليب وكلاب والكلَب محركة داء يصيب الناس والابل شبيه بالجنون وكانت العرب في الجاهلية اذا اصاب الرجل الكلب قطروا

له دم رجل من بني ماء السماء فيسقاه فكان يشفى منه قال الشاعر :

دماؤهم من الكلب الشفاء (من ابن دريد)

وأما الكُلاَب فهو موضع بالدهنا بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعتان احداهما بين ملوك كندة الاخوة والاخرى بين بني الحارث وبني تميم يذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الايام وهما كلابان الكلاب الاول والكلاب الثاني وكلبتا الحداد وغيره معروفة فاذا ثنيت قلت ذاتا كلبتين واذا جمعت قلت ذوات كلبتين (عن ابن دريد) .

ابن مرة : مُرّة اسم شجرة والمرار ايضاً شجر الواحدة مرارة وآكل المرار لقب ملك من ملوك كندة وهو الحارث جد أبي امرىء القيس بن حجر والمر خلاف الحلو والمرة أحد امشاج اخلاط الطبائع للانسان ومرة الانسان قوته قال النبي ﷺ لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي واستمر مرير فلان على كذا وكذا اي جد فيه قال الشاعر : وشط نواها واستمر مريرها

وفي التنزيل حملت حملاً خفيفاً فمرت به وقرأ قوم فاستمرت به أي اشتد عليها ومن ذلك يوم مستمر اي ثقيل شديد والمريرة والمرار والمر حبل يشد به الحمل على البعير وفي العرب قبائل تنسب الى مرة منها مرة بن عوف في غطفان ومرة بن عبيد في بني تميم ومرة في بكر بن وائل ومرة في عبد القيس اه مختصراً من ابن دريد .

ابن كعب : الكعب كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم والعظمان الناشزان من جانبيها وما بين الانبوبين من القصب والكتلة من السمن وقدر صبة من اللبن (وهي ما يصب من طعام وغيره) والشرف والمجد كذا يفهم من القاموس وقال ابن دريد الكعب مشتق من شيئين اما من كعب الانسان والدابة او كعب القناة وجمع كعب القناة كعوب في الاكثر وكعب الانسان جمعه كعاب وكعبت الثوب اذا طويته طياً مربعاً وسميت الكعبة لتربيعها والكعب أيضاً بقية السمن في النحي او الرُّب الذي يبقى في أسفل النحي قال عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب : ألبرام بنو مخزوم . قال وكيف ذاك قال : ضفتهم فاطعموني ثوراً وقوساً وكعباً فقال عمر أطيب بذاك والثور القطعة من الاقط والقوس باقي التمر في أسفل الجلة[1] والكعب ما ذكرته لك اه .

(١) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر .

ابن لؤي : قال ابن دريد اشتقاقه من أشياء اما تصغير لواء الجيش وهو ممدود او تصغير لوى الرمل (وهو ما التوى منه او منعطفه) وهو مقصور او تصغير لأى مثل لعا وهو الثور الوحشي وهو مقصور مهموز واللوى اعوجاج في ظهر الفرس والوجع الذي يعتري البطن مقسور غير مهموز وتقول لويت الرجل دينه الويه ليا وليانا اذا مطلته وفي الحديث ليُّ الواجد ظلم اي مطله قال الشاعر :

تطيلين ليــاني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

وتقول لويت الحبل الويه ليا واللويُّ العشب اذا هاج واصفر ويبس واللوية تحفة تذخرها المرأة لزوجها او ولدها (اه) وفي القاموس ان لأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة واسم لرجل تصغيره لؤي ومنه لُؤَيّ بن غالب ولم يرتضه بعض المحققين وقال ان الاعلام لا تنقل من الاعلام وانمــا تنقل من النكرات والدليل على ذلك ما في التاج من ان لؤيا يهمز ولا يهمز والهمز اشبه قال علي بن حمزة العرب في ذلك يختلفون من جعله من اللأي همزه ومن جعله من لوى الرمل لم يهمزه ا ه فانت ترى ان ادعاءَ صاحب القاموس انه تصغير لأي اسم الرجل في غير محله لنطق العرب به غير مهموز .

ابن غالب : غالب فاعل من قولهم غلب يغلب غلباً فهو غالب ويقولون لمن الغلَب ومن قال الغلب سكون اللام فهو لحن ويقولون رجل اغلب بيّن الغلب اذا غلظت عنقه حتى لا يمكنه ان يلتفت وبذلك سمي الاسد اغلب وقــد سمت العرب غالباً وغلبياً واغلب اه من ابن دريد

ابن فهر : الفهر الحجر الاملس يملأ الكف او نحوه قال في القاموس ويؤنث وقال ابن دريد وهو مؤنث يدلك على ذلك انهم صغروا فهراً فهيرة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنها وفي بعض اللغات ناقة فهرة اي صلبــة لا أدري في اي لغة والفُهر بالضم موضع مدراس اليهود اظنه من الدرس وهو الذي يجتمعون فيه للقراءة والدرس وأرض مفهرة كثيرة الافهار اه باختصار .

ابن مالك : اسم فاعل من ملكه يملكه ملكا مثلث الميم وان اقتصر الجوهري على الكسر فقد نقل فيها الضم والفتح ابن سيده عن اللحياني وملكة بالتحريك ومملكة بضم اللام احتواه قادراً على الاستبداد به وقال الراغب الملك هو التصرف

ابن نزار : من النزر وهو القليل من كل شيء كالنزير والمنزور ونزُر ككرم نزارا بالفتح ونزارة ونزورة ونزوراقل ّونزار ككتاب ابن معدبن عدنان قال في الروض الأنف سمي به لان اباه لما ولد وله نظر الى نور النبوة بين عينيه وهو النور الذي كان ينقل في الاصلاب الى محمد ﷺ ففرح فرحاً شديداً ونحر واطعم وقال ان هذا كله انزرفي حق هذا المولود فسمي نزاراً لذلك (من شرح القاموس باختصار).

ابن مَعَد : قال ابن دريد اشتقاقه من شيئين اما ان يكون مفعل من العدد فكأنه كان مَعدَد فادغمت الدال واما ان يكون من المعد وهو اللحم في مرجع كتف الفرس قال الشاعر : فامازال سرج عن معد واجدر بالحوادث ان تكونا «وجواب اما قوله : فلاتصلي بطروق اذا ما سرى في القوم اصبح مستكينا

يقول « اذا زال عنك سرجي فبنت بطلاق او موت فلا تتزوجي بعدي بمن هذه صفته » .

والتمعدد تمام الشدة والقوة قال الراجز :

ربيته حتى اذا تمعددا وصار نهداً كالحصان اجردا

كان جزائي بالعصا ان أطردا

والمعدة من هذا اشتقاقها لصلابتها وسمت العرب معيداً ومعددا ومعدان واحسب اشتقاقه من المعد والمعد الصلابة اﻫ باختصار وقال في القاموس وشرحه والمعدّ كمرَدّ الجنب من الانسان وغيره والبطن واللحم الذي تحت الكتف وموضع عقب الفارس من الدابة او رجله وعرق في مَنسج الفرس والمعدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه ومَعدّ حيٌ سمي باحد هذه الاشياء وهو معَدّي في النسب ومنه المثل : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه. قال ابن السكيت هو تصغير مَعدّي الا انه اذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خففت ياء النسبة وتمعدد الرجل تزيا بزيهم ومنه حديث عمر الذي رواه الطبراني مرفوعاً الى النبي ﷺ اخشوشنوا وتمعددوا اي تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا اهل قشف وغلظ في المعاش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم وتمعدد المريض برىء والمهزول اخذ في السمن اﻫ مختصراً .

ابن عدنان : قال ابن دريد عدنان فعلان من قولهم عدن بالمكان يعدن عدونا

وهو عادن اي مقيم ومنه اشتقاق المعدن لعدون الذهب والفضة وما اشبهما من الجوهر فيه ومنه اشتقاق جنات عدن اي دار مقام وعدن[١]أبين من هذا اشتقاقها لان ابين عدن بها اي اقام بها وهو رجل من حمير ا ه .

وفي القاموس عدن الارض يعدنها عدناً زبلها كعدنها وعدن الشجرة يعدنها عدناً افسدها بالفاس ونحوها والحجر قلعة بالفاس ا ه .

اقول الى هنا انتهى المعروف من نسب النبي ﷺ وعدنان هو الواحد والعشرون من اجداده ﷺ ولم يعد احداً بعدهم وقال كذب النسابون .

حرف الهمزة

(آدم) : ابو البشر ﷺ اسم سرياني معناه الاحمر او الترابي وقد سمت به العرب وممن سمي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الذي قتل في الجاهلية ووضع النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة فباعتباره سريانياً لا يقال عنه مشتق من اديم الارض او غيره كما قيل لان العربي لا يشتق من العجمي ولا عكسه فان الاشتقاق توليد كما عليه عامة العلماء فمعنى الاشتقاق ان تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه فان اعتبر فيه الموافقة في الحروف الاصول مع الترتيب كضرب وضارب فيسمى اشتقاقاً اصغر وان كان بدون ترتيب الحروف فصغير نحو جبذ وجذب وان كان لمناسبة بينهما نحو ثلب وثلم فاكبر ويعتبر في الاصغر موافقته في المعنى وفي الاخيرين المناسبة اما لفظ آدم العربي فيصح ان يقال عنه انه مشتق قال ابن دريد اشتقاقه من شيئين اما من قولهم رجل آدم بين الادمة وهي سمرة كدرة او من قولهم ظبي آدم وجمل آدم والآدم من الظباء الطويل القوائم والعنق الناصع بياض البطن المسكي الظهور وهي ظباء السفوح وقد جمعوا آدم الظباء أدمان فاما قول ذي الرمة ادمانة فهو خطأ عند الاصمعي ا ه . سعيد الكرمي

---

(١) عدن ابين قال في القاموس جزيرة باليمن وهو غلط بل هي قصبة بينها وبين عدن المشهورة ثمانية فراسخ كما حققه صاحب التاج .

بالامر والنهي في الجمهور وذلك مختص بالناطقين ولهذا يقال مالك الناس ولا يقال مالك الاشياء وقوله عزوجل مالك يوم الدين تقديره المالك في يوم الدين وذلك لقوله عزوجل لمن الملك اليوم والملك ضربان ملك هو التملك والتولي وملك هو القوة على ذلك تولى او لم يتول فمن الاول قوله عزوجل ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ومن الثاني قوله عزوجل اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فجعل النبوة مخصوصة والملك فيهم عاماً فان معنى الملك هنا القوة التي يترشح بها للسياسة الا انه جعلهم كلهم متولين للأمر فذلك مناف للحكمة كما قيل لا خير في كثرة الرؤساء اه من التاج . وقال ابن دريد مالك فاعل من الملك وقد قرىء مَلِك يوم الدين ومالك والملك المعروف وهو في لغة ربيعة مَلْك بالسكون والملائكة اصله الهمز لانهم قالوا في واحده مَلأك واشتقاقه من المألكة والالوكة وهي الرسالة اه باختصار

ابن النضر : قال في القاموس وشرحه النضر والنضير والنضار والانضر الذهب او الفضة وقد غلب على الذهب ونقل الصاغاني عن السكري النضار ككتاب الذهب والفضة وجمع نضر نضار بالكسر وانضر (كفلس وافلس) والنضار بالضم الجوهر الخالص من التبر وقدح نضار اتخذ من نضار الخشب والنضر بن كنانة ابو قريش اه مختصراً . وقال ابن دريد النضر وهو ابو قريش فمن لم يكن من ولد النضر فليس بقرشي (اي بل يقال له كنانيّ نسبة الى كنانة) والنضر الذهب بعينه والنضار الخالص من كل شيء وربما سموا الذهب أيضاً نضاراً . والنضير قبيلة من اليهود اخوة بني قريظة وقد سمت العرب نضراً ونُضيراً بالتصغير (وهو اخو النضر المذكور) ونُضيرة ونضيرة اسم امرأة وكل شيء استحسن فهو نضير يقال ماانضر لونه اي ما اصفاه واحسنه اه واقول ان قولهم نضر ابو قريش ليس متفقاً عليه بل صحح الزين العراقي ان ابا قريش فهر فقال في الفيته في مصطلح الحديث :

اما قريش فالاصح فهر جماعها والاكثرون النضر

ابن كنانة : الكنانة كنانة النبل . اذا كانت من ادم (اي جلد) فهي كنانة فان كانت من خشب فهي جفير وان كانت من قطعتين مقرونتين فهي قرَن بفتح الراء والكنانة يجمع هذا كله وكِنان كل شيء غطاؤه ويقال كننت الدر وغيره

اذا سترته وغطيته وفي القرآن العظيم كأنهن بيض مكنون فهذا من كننت واكننت الحديث في صدري اذا كتمته وفي التنزيل وربك يعلم ما تكن صدورهم فهذا من اكننت والكنة بالضم مخدع في البيت شبيه بالرف اونحوه وكنة الرجل بالفتح امرأة ابنه او اخيه وكن كل شيء ما اكتننت في ظله يقال اكتننت من المطر بالشجرة تظللت بها من الشمس اه من ابن دريد .

ابن خزيمة : اشتقاقه من الخزَم وهو شجر له لحاء (اي قشر) يفتل منه حبال الواحدة خزَمة وخزيمة تصغيرها وستأتي تتمة معنى هذه المادة في خازم واخزم.

ابن مدركة : الادراك اللحوق كما في الصحاح يقال مشيت حتى ادركته وعشت حتى ادركت زمانه ورجل مُدركة بالهاء سريع الادراك قال ابن الكلبي ولد الياس ابن مضر عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة وعُميراً وهو قمعة وامهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان الياس خرج في نجعة له فنفرت ابله من ارنب فخرج اليها عمرو فأدركها فسمي مدركة وخرج عامر فتصيد الارانب وطبخها فسمي طابخة وانقمع عمير في الخباء فسمي قمعة وخرجت امهم تسرع فقال لها الياس اين تخندفين فقالت مازلت اخندف اي اسرع في اثركم فلقبوا هي وهم بهذه الالقاب كذا في القاموس وشرحه .

ابن الياس : قال ابن دريد يمكن ان يكون اشتقاق الياس من قولهم يئس ييئس يأساً ثم ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا اليأس ويمكن ان يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس اي شجاع وهو غاية ما يوصف به الشجاع هذا لمن يهمز إلياس والتفسير الاول احب الي" اه وقال في القاموس الياس بن مضر اول من اصابه اليأس محركة اي السل اه (فسمي به لذلك). واسم الياس النبي عبراني معناه (الرب الهي)

ابن مضر : من مضر اللبن او النبيذ يمضر مضراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح وكرم حمض وابيض ولبن ماضر حامض ومضارة اللبن بالضم ماسال منه اذا حمض وصفا ومضر بن نزار كزُفر سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر او لبياض لونه وتماضر بالضم بنت عمرو بن الشريد الملقبة بالخنساء مشتقة من هذه الاشياء وقال ابن دريد احسبه من اللبن الماضر كذا في القاموس وشرحه .

جباية الشام

في الاسلام

٢

وكذلك كانت سيرة العباسيين بعد فقد اخذ المنصور اموال الناس حتى ماترك عند احد فضلاً وكان مبلغ ما اخذلهم ثمانمائة الف الف درهم وعدل ابو جعفر المنصور ارض الغوطة غوطة دمشق فجعل كل ثلاثين مدا ًبدينار بالقاسمي وكان اداء الناس على ذلك . وكان الخلفاء من بني العباس يعمدون الى ابطال الرسوم عندما يتجلى لهم ضررها ولا يقطعون امراً بدون اخذ آراء جلة الفقهاء في عصرهم فقد امر المعتضد سنة ٢٨٣ بالكتابة الى جميع البلدان ان يرد الفاضل من سهام المواريث الى ذوي الارحام وابطل ديوان المواريث . وخلف المعتضد هذا في بيوت الاموال تسعة آلاف الف دينار ومن الورق الف الف درهم . ومن خلف هذه القناطير المقنطرة من الذهب لا بد له ان يظلم امته وان لا يصرف اموالها في وجوه مصالحها وقد كنت ترى في أيام العباسيين عدلاً شاملاً لا مثيل له حيناً وتجد ظلماً شائناً في دور آخر فعهد الرشيد والمأمون والمهدي والظاهر والمتوكل كان عجباً في العدل وانتظام الجباية فالمهدي مثلاً افتتح امره بالنظر في المظالم وبسط يده في العطاء فاذهب جميع ماخلفه المنصور وهو ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف الف دينار سوى ما جباه في ايامه والمأمون العباسي اقام سنة بدمشق (٢١٤) لمساحة اراضي الشام واجتلب لتعديله مساح العراق والاهواز والري والمهدي اول من نقل الخراج الى المقاسمة[١] وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقرراً ولا يقاسم وجعل الخراج على النخل والشجر . واعاد الظاهر بامر الله سنة ٦٢٢ سيرة العمرين قال ابن الاثير فلو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً فانه عاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه شيئاً كثيراً واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيراً لا يحصى وفي ايام ابيه

---

(١) تاريخ الوزراء للصابي .

خربت العراق وتفرق اهله في البلاد .

خربت العراق وما اليها من الامصار والاقطار للشدة في تقاضي الجباية والتفنن في الضرائب وعدم اطرادها على وتيرة واحدة . كتب[١] علي بن عيسى الى عامل ديار ربيعة وقد ورد الحضرة قوم من اهلها يتظلمون من حيف لحقهم في معاملاتهم: «بسم الله الرحمن الرحيم. في علمك اكرمك الله بما امر الله به من العدل والاحسان ونهى عنه من الجور والعدوان وعاقب به الظالمين في سالف الازمان غنى لك عن التنبيه والتوقيف والوعظ والتخويف وفيما رسمته لك مشافهة ومكاتبة في انكار الظلم وازالته واظهار العدل وافاضته كفاية وبلاغ. وقد ورد الحضرة اكرمك الله جماعة من وجوه التناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني ثلث عشرة وثلثمائة من اكراههم على تضمين غلات بيادرهم بالحزر والتقدير والزامهم حق الاعشار في ضياعهم على التربيع واستخراج الخراج منهم على اوفر عبرة قبل ادراك غلاتهم وثمارهم واكراه وجوههم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية باسعار مسرفة مجحفة فاقلقني ما اقتضوا فيه من الشكوى وآلمني ما انتهوا الى وضعه من عظيم البلوى ووجدته مع قبح ذكره وعظيم وزره عائداً بخراب الضياع ونقصان الارتفـــاع فينبغي اكرمك الله ان تجري سائر رعيتك على المعاملات القديمة وتحملهم على الرسوم السليمة حتى يعودوا الى افضل حال عهدوها واجمل سيرة حمدوهـــا وتزيل السنن الجائرة وتبطلها وتقطع اسبابها وتحسمها وتكتب الي بما يكون منك في ذلك فانني على اهتمام به ومراعاة له ان شاء الله » .

ولو رجعت الى كتب التاريخ والسير لرأيت شيئاً كثيراً من هذا القبيل وفي الكتاب الذي كتبه الامام ابو يوسف صاحب الامام ابي حنيفة الى الخليفة هرون الرشيد صورة لطيفة من تلطف العلماء في نصح الملوك والخلفاء . وكتابه دستور في الجباية تستدل به على ترقي العقول في عصره . وما خلا عصر من علماء ينعون على العمال اعمالهم وتجانفهم عن طرق الحق في معاملة الامة وقلما كانت المواعظ تفعل الا في المستعدين للخير من الخلفاء فمن دونهم. ذكروا ان الرشيد اخذ العمال[٢] والتناء والدهاقين واصحاب الضياع والمباعين للغلات والمتقبلين وكان عليهم اموال مجتمعة

(١) تاريخ الوزراء للصابي . (٢) تاريخ اليعقوبي .

فطولبوا بصنوف من العذاب فرأى الفضل بن عياض الناس يعذبون في الخراج فقال ارفعوا عنهم اني سمعت رسول الله يقول من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة . فامر الرشيد بان يرفع العذاب عن الناس فارتفع العذاب من تلك السنة . وكان وقع مثل ذلك في اوائل دولة الامويين بالشام واخذ جباة الجزية يعذبون بعض اهل الذمة ويجعلونهم في الشمس ساعات عقوبة لهم فنهى عن ذلك احد الفقهاء العارفين وبطل تعذيب المكلفين من ذاك اليوم .

زاد الاجحاف بحقوق الرعية لما توزع ملوك الطوائف البلاد واخذ كل مليك او امير يستولي على اقليم صغير من الارض ويجنف على الناس في الجباية ويسمي نفسه ملكاً من ذلك بنو حمدان[1] في حلب وما اليها فانهم كانوا على جانب من البطش والظلم وان مدحهم الشعراء وقامت للادب في ايامهم دولة فقد لجوا في الظلم والاستئثار بالاموال وكانت فتنهم مع الروم لا تنقطع فاستأثر القضاء بهلاك العباد وخراب البلاد على ايدي المدافعين والمهاجمين . ففي خلافة الرضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة فكان كل من تولى امرة الامراء[2] تحمل اليه الاموال فيتصرف فيها جميعاً كما يريد ويطلق للخليفة ما يريد وبطلت بيوت الاموال وكانت الشام اذ ذاك في يد محمد بن طغج . وبينما كانت الشام تدافع القرامطة وتشتغل بفتن بني حمدان لتقع في ايدي الاخشيدية اصحاب مصر كانت بغداد في شغب وتعب واذ كانت هي العاصمة فاحر بالاطراف ان تكون اسوأ حالاً فقد شغب الجند سنة ٣٣٤ على معز الدولة ابن بويه فضمن لهم ايصال ارزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطر الى ضبط الناس واخذ الاموال من غير وجوهها واقطع قواده واصحاب القرى جميعها التي للسلطان واصحاب الاملاك فبطل لذلك اكثر الدواوين وزالت ايدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب فاخذ القواد القرى العامرة وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك واما الاتباع فان الذي اخذوه ازداد خراباً فردوه وطلبوا العوض عنه فعوضوا وترك الاجناد والاهتمام بمسارب القرى وتسوية طرقها فهلكت وبطل الكثير منها واخذ غلمان المقطعين في ظلم الفلاح وتحصيل العاجل فكان احدهم اذا عجز الحاصل تممه بمصادرة القائمين على الاراضي .

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (٢) الكامل لابن الاثير .

وهكذا اختلت احوال المملكة العربية وطرق الجباية فيما لما نال الناس من المغارم والمظالم والحكومات لا تعرف واجبها ولا تدري ان الجباية في الدولة اجرة الحماية ولذلك تأفف ابو العلاء المعري في النصف الاول من المئة الخامسة من ملوك عصره فقال:

واري ملوكاً لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس

وقال : عجم وعرب دائلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

وقال : ارى امراء الناس يمسون شرهم اذا اختطفوا خطف البزاة اللوامع

وفي كل مصر حاكم فوق وطاغ يجابي في اخس المطامع

وقال ايضاً: يقولون في المصر العدول وانما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق

ولست بمختار لقومي كونهم قضاة ولا وضع الشهادة في رق

وقال : بكل ارض امير سوء يضرب للناس شر سكة

وقال : ان العراق وان الشام مذ زمن صفران ما بها للملك سلطان

ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يحفل خمص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطان

وقال : وجدت غنائم الاسلام نهباً لا صحاب المعازف والملاهي

وقال : مل المقام فكم اعاشر امة امرت بغير صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

ومن قوله: فشأن ملوكهم عزف ونزف واصحاب الامور جباة خرج

وهم زعيمهم إنهاب مال حرام النهب او إحلال فرج

وبعد فقد استقر خراج فلسطين على عهد معاوية على اربعمائة وخمسين الف دينار واستقر خراج الاردن على مائة وثمانين الف دينار وخراج دمشق على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند حمص على ثلثمائة وخمسين الف دينار وخراج قنسرين والعواصم على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة واقطعها اهل بيته وخاصته وهو اول من كانت له الصوافي في جميع البلاد. قال البلاذري[1] كانت وظيفة الاردن التي اقطعها معاوية مائة الف وثمانين الف

(١) فتوح البلدان .

دينار ووظيفة فلسطين ثلثمائة الف وخمسين ألف دينار ووظيفة دمشق اربعمائة الف دينار ووظيفة حمص مع قنسرين والكور التي كانت تدعى بالعواصم ثمانمائة الف دينار ويقال سبعمائة الف دينار . وكان ارتفاع الشام سنة ٢٠٤ هـ وهي اول سنة وجد حسابها في الدواوين بالحضرة لان الدواوين احرقت في الفتنة فتنة الامين على ماروواه قدامة – ثلثمائة الف وستين الف دينار ارتفاع قنسرين والعواصم وارتفاع جند حمص مائتي الف وثمانية عشر الف دينار وارتفاع جند دمشق مائة الف وعشرة آلاف دينار وارتفاع جند الاردن مائة الف وتسعة آلاف دينار وارتفاع جند فلسطين مائتي الف وتسعة وخمسين الف دينار .

قال اليعقوبي[1] ان خراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة الف دينار وخراج جند الاردن يبلغ سوى الضياع مائة الف دينار ويبلغ خراج جند فلسطين مع ما صار في الضياع ثلثمائة الف دينار وخراج حمص سوى الضياع ايضاً مائتي الف وعشرين الف دينار . وكان خراج الاردن زمن عبد الملك بن مروان مائة وثمانين الف دينار وكان خراج قنسرين على عهد المأمون اربعمائة الف دينار ومن الزيت الف حمل وخراج دمشق اربعمائة الف دينار وعشرين الف دينار وخراج الاردن سبعة وتسعين الف دينار وخراج فلسطين ثلثمائة الف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة الف رطل .

ولما تغلب الموالي من الاتراك وتناثر سلك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في الترف وقوي عامل كل جهة على مايليه كثرت النفقات وقلت الجبايي بتغلب الولاة على الاطراف قال المقدسي[2] كانت الضرائب ثقيلة على قنسرين والعواصم زمن سيف الدولة بن حمدان فكان خراج هذا الاقليم ثلثمائة الف وستين الف دينار وعلى الاردن مائة الف وسبعون الف دينار وعلى فلسطين مائة الف وتسعة وخمسون الف دينار وعلى دمشق اربعمائة الف ونيف .

وانت ترى ان الجباية في الشام كانت تختلف باختلاف العصور والادوار والتقلبات الجوية ومن الاراضي الخراجية والعشرية التي تدفع العشر لانها ما فتحه المسلمون عنوة قال أبو يوسف كل ارض اقتطعها الامام مما فتحت عنوة ففيها الخراج

(١) تاريخ اليعقوبي (٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

الا ان يصيرها الامام عشرية والشام في ذلك كمصر والعراق ولانها كلها فتحت عنوة وفي التتارخانية ان السلطان اذا دفع اراضي لا مالك لها وهي التي تسمى الاراضي المملكة الى قوم ليعطوا الخراج جاز وطريق الجواز أحد شيئين اما اقامتهم مقام الملاك في الزراعة واعطاء الخراج او الاجارة بقدر الخراج ويكون المأخوذ منهم خراجاً في حق الامام اجرة في حقهم وقال ابن عابدين ومن هذا القبيل الاراضي المصرية والشامية ويؤخذ من هذا انه لا عشر على المزارعين في بلادنا اذا كانت اراضيهم غير مملوكة لهم لان ما يأخذه منهم نائب السلطان وهو المسمى بالزعيم او التياري ان كان عشراً فلا شيء عليهم غيره وان كان خراجاً فكذلك.

ولم تكثر الاقطاعات الا في القرون الوسطى قال المقريزي وكانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين من لدن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تجبى اموال الخراج ثم تفرق من الديوان في الامراء والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دولة العجم فغير هذا الرسم وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك وزير السلجوقيين وذلك ان مملكته اتسعت فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل على قدر اقطاعه فعمرت البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين وأربعمائة الى اوائل القرن التاسع.

وكانت اقطاعات الشام اقل من اقطاعات مصر في القرن الثامن والتاسع وليس في الشام من يبلغ شأو اكابر الامراء المقدمين بالديار المصرية الا نائب الشام فانه يقاربهم في ذلك ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات ما عدا المقررات من المشاهرات والاكل والعليق والكساوي كالعقار والابنية الضخمة التي ربما انفق على بعضها فوق مائة الف دينار. قال التاج السبكي المتوفى سنة ٧٧١: ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين بالاقطاعات بالفلاحة والفلاح حر لا يد لآدمي عليه وهو امير نفسه وقد جرت عادة الشام بان من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة والحال في غير الشام اشد منه فيها وكل ذلك لا يحل اعتقاده

والبلاد تعمر بدون ذلك بل انما تخرب بذلك لانهم يضيقون على الناس .

وماعدا الاراضي التي كان الملوك يغزونها اي التي يدفع عنها اربابها قدراً من المال مرة واحدة فتعفى من الخراج وما خلا الاقطاعات التي يستأثر بها اصحابها من ارباب الدولة ولا يؤدون عنها خراجاً وعدا ضياع كثيرة تعفى من الضرائب وعدا الصوافي واحدها صافية وهي مايستخلصه السلطان لخاصته او هي الاملاك والاراضي التي جلا عنها اهلها او ماتوا ولا وارث لها ـ ماعدا هذا كان هناك نوع من الاراضي يسمى الجاء اي يلجأ صاحب الارض الى بعض الكبراء فيسجل ضيعته باسمه تعززاً به من عمال الخراج حتى لايجوروا عليه فتصبح الضيعة مع الزمن ملكاً لذاك الكبير .

قال ابن ابي الحديد[1] ان من اهل الخراج من يلجيء بعض ارضه وضياعه الى خاصة الملك وبطانته لاحد امرين اما الامتناع من جور العمال وظلم الولاة وتلك منزلة يظهر بها سوء اثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده واما للدفاع عما يلزمهم من الحق والتيسير له وهذه خلة تفسد بها آداب الرعية وينتقص بها اموال الملك وكان العادلون من الملوك يعاقبون الملاجئين والملجأ اليهم ولكن النـــاس يلجئون املاكهم عند ارباب الصولة وكم من مرة خربت سورية او صقع كبير من اصقاعها بظلم ظالم من عمالها . ذكروا ان الخليفة الحاكم اعفى ولاية حلب من الخراج سنة ٤٠٧ لانها كانت ضعفت بالفتن المتواصلة . وبالغ الامير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي الذي ولي دمشق سنة ٤٦١ في المصــادرات وارتكاب المظالم فلم يلق اهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش ابن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله فخربت اعمال دمشق وجلا عنها أهلها وخلت الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيها .

والغالب ان المكوس والضرائب كثرت اواخر حكم العباسيين والعبيديين في الشام فاسقطها صلاح الدين يوسف بن ايوب جملة مثل مكس مكة وعوض اميرها بجلاب غلة تحمل اليه كل سنة وتعيين ضياع موقوفة عليها بالديار المصرية . قال ابن ابي طي : ان الذي اسقطه السلطان صلاح والذي سامح به لعدة سنين آخرها سنة اربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف الف الف دينار والفي الف اردب سامح

(١) شرح نهج البلاغة .

بذلك وابطله من الدواوين واسقطه من المعاملين وكذلك فعل اخوه ابو بكر ابن ايوب فانه ابطل كثيراً من المظالم والمكوس وطهر بلاده من الفواحش والخمور والقمار وكان الحاصل من ذلك بدمشق خصوصاً مائة الف دينار الا ان المكوس عادت فاحدثت . فقد ذكر المؤرخون ان فخر الدين بن عساكر انكر على الملك المعظم تضمين المكوس والخمور فعاقبه بأن انتزع منه المدرسة التقوية والصلاحية.

ولما دخل صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ ازال المكوس وكانت الولاية في اهلها قد ساءت واسرفت واليد المتعدية قد امتدت الى اموالهم واجحفت . وكذلك كانت من قبل سيرة نور الدين محمود بن زنكي فانه منع ما كان يؤخذ من دمشق من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فاي حاجة لكم الى الاملاك فان الاقطاعات تغني عنها وان خرجت البلاد من ايدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم قال ابو يعلى [1] تجمع قوم من السفهاء العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على اعادة ما كان ابطل وسامح به اهل دمشق من رسوم البطيخ وعرصة البقل والانهار وصانهم من اعنات شرار الضمان وصوالة الاجناد وكرروا لسخف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار بيض وكتبوا بذلك حتى أجيبوا الى ما راموا وشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدمين والاعيان والرعايا فما اهتدوا الى صواب ولانجح لهم قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى نور الدين فصرف همه الى النظر في هذا الامر فنتجت له السعادة وايثار العدل في الرعية الى اعادة ما كان عليه فامر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من اماتتها وتعفية اثر ضمانها واضاف الى ذلك تبرعاً من نفسه ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها . قال السبكي وقد علم ان المكوس حرام فان ضم الى اخذها الاجحاف في ذلك وتشديد الامر فيه والعقوبة عليه فقد ضم حراماً الى حرام.

ومع كثرة احتياج البلاد للمال زمن نور الدين وصلاح الدين للاستعانة به على

---

(١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي .

قتال الصليبيين كانت الجباية الى الرقى في الجملة ببلاد الشام فاطلق نور الدين المكوس والضرائب واكتفى بالخراج والجزية . وكان هذان الملكان من ازهد الناس فلم يخلفا في خزائنهما الا التافه وقد خلف الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف في خزائنه وكان يحب ادخار المال ليصرفه حين الحاجة ـ سبعمائة الف دينار وخلف الملك الافضل ستمائة الف الف دينار عيناً ومائة وخمسين اردباً دراهم نقد مصر ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة محابس في كل محبس عشرة مسامير وصندوقين كبيرين فيهما ابو ذهب بوسم الجواري والنساء عدا الثياب والطرائف والقطعان والخيل والبغال والرقيق . وهذا ما لا يمكن ان يحوزه ملك صغير الا بالضغط على الرعية ولو قليلاً لاستخراج هذه الاموال والتوقف في صرفها على مصالح الامة ومرافقها .

ولم نعثر لدمشق عاصمة البلاد على ارتفاع لها خاصة وقد قال ابن ابي طي :[1] حدثني كريم الدولة ابن شرارة النصراني وكان مستوفي دار حلب يومئذ انه عمل ارتفاع جلسة سنة تسع وستمائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال فبلغ ستة آلاف وتسعمائة الف واربعة وثمانين الفاً وخمس مائة درهم . قال ومما احطت به علماً في ايام الملك الناصر ان ارتفاعها على القاعدة في الارتفاع في آخر دولته مع حلوله بدمشق وخلوها منه كان على ما يفصل ثم فصل الارتفاع فكان ستة واربعين صنفاً وسطر المجموع بـ ٧٫٣٠٥٫٠٠٠ درهم . وكانت مسافة ما بين مالك حلب في ايامه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك ومنها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتي قرية ونيف مشتركة بين الرعية والسلطان. قال ياقوت الحموي :اوقفني الوزير الصاحب القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ادام الله تعالى ايامه وختم بالصالحات اعماله وهو يومئذ وزير صاحبها ومدبر دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القرى واسماء املاكها وهي بعد تقدم بزر من خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم قال لي الوزير الاكرم ادام الله تعالى علوه:

(١) تاريخ ابن الشحنة ومعجم ياقوت .

لو لم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من أعيان المفاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على ألف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر ألف درهم ويمكن أن يستخدم من خواص الامراء ألف فارس وفي أعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحفظيها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة أخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عيناً وحبوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي تجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة ألف درهم وهـــذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لايرى فيها متظلم ولا متهضم ولا مهتضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اهـ .

ومن هذه النقول تعرف درجة الجباية والثروة في تلك العصور ولمـــا قبض الاتراك والجراكسة على زمام الاحكام في الشام في القرن السابع والثامن والتاسع كانت المكوس كثيرة جداً وزادوها هم وتفننوا في ضروبها حتى صعب احصاؤها وحفظها وكانت الخمور في سنة ٦٤٣ مضمنة والمكوس شديدة وابطل الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ ضمان الحشيشة وامر باحراقها والغالب ان بعض الملوك لم يكونوا يستنكفون من اخذ الضرائب عن الخمور والمكيفات بل تعدوا ذلك في تلك الحقبة من الزمن الى اخذ الرسوم عن البغايا والمواخير فقد ابطل الظاهر برقوق في جملة ما ابطل من المظالم والمكوس في بر الشام ضمانة المغاني اي المغنين والمغنيات في الكرك والشوبك وضمان المغاني كان معروفاً في مصر فأبطل سنة ٧٧٨ زمن الاشرف قلاوون ابطله من جميع أعمال مملكته وكان عبارة عن مال كثير مقرر على المغاني من رجال ونساء يؤدونه كل سنة الى الخزانة وابطل الناصر قلاوون ضمان المغاني ايضاً وهو عبارة عن اخذ مال من النساء البغايا وذلك لو خرجت اجل امرأة تقصد البغاء ونزلت اسمها عند امرأة تسمى الضامنة واقامت بما يلزمها من القدر المعين عليها لما قدر اكبر من في مصر ان يمنعها عن البغاء وعمل الفاحشة وكان يتحصل من ذلك جملة كثيرة من المال .

لا جرم ان دولة الترك والجراكسة في مصر والشام تشبه في كثير من الوجوه

دولة الترك العثمانيين التي جاءت بعدها وكانت مراسيم ملوكها تصدر الحين بعد الآخر بابطال بعض الرسوم والضرائب ولكن مع هذا تجد من الامراء من كانوا يصادرون على ملايين من الدنانير دع سائر اسباب الثروة من ناطق وصامت . والدولة التي تخفف عن رعاياها بالاقوال والافعال على خلاف ذلك هي دولة سيئة ادارتها المالية فقد كان الملك المؤيد شيخ كثير المصادرات للرعية وهو الذي قطع دابر النواب العصاة الذين اخربوا غالب البلاد الشامية واحدث في أيامه اشياء كثيرة من ابواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد . والخروج الى التجاريد او الحملات كان من جملة الاسباب التي تهيأ لملوك الجراكسة ليسلبوا الناس أموالهم ولا تكلفه التجريدة اقل من نصف مليون دينار فاذا جرد السلطان في حياته عشرين تجريدة كان المصروف من ذلك في هذا السبيل عشرة ملايين لا تصل الى خزانة السلطان حتى يجبى مثلها من الرعايا المساكين .

ومن جملة ما ابطلوه في ادوار مختلفة من الرسوم وهو ما نورده مثالاً من حالة تلك الايام ما ابطله برقوق مما كان متقرراً على البردارية في كل شهر من المال وما كان يأخذه السماسرة على الغلال والكيالة وعن الملح في عين تاب وعلى الدقيق بالبيرة وما كان مقرراً لنائب طرابلس عندما يتولى على كل قاض من قضاة البر والولاة بغلة او ثمنها خمسمائة درهم . وابطل المنصور قلاوون من جملة ما ابطل من المظالم وظيفة ناظر الزكاة وهو ان يؤخذ ممن عنده مال زكاته فان مات الرجل صاحب المال او عدم ماله يبقى ذلك القدر المقرر عليه في الدفاتر يؤخذ من اولاده او من ورثته او من اقاربه ولو بقي منهم واحد . وابطل الاشرف صلاح الدين ما كان يؤخذ على كل حمل يدخل باب الجابية بدمشق من القمح خمسة دراهم من المكس بل ابطل المكوس والضرائب عن سائر اصناف الغلة بجميع الشام وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء . وتجد الى اليوم على السواري الاربع القائمة في مدخل جامع بني أمية بدمشق من الغرب اربع وثائق في ابطال المكوس كتبت كل وثيقة على سارية تاريخ الاولى سنة ٨٦٣ على عهد قايتباي الحزاوي كافل الممالك الشامية ابطل بها الرسم المقرر على الاسواق والطواحين وغيرها من المكوس بدمشق . والثانية كتبت سنة ٨١٥ وهي مما امر به الظاهر ابو سعيد بن جقمق بابطال المكوس على الاقمشة الحمصية وفرع الاردية وفرع القطن وغيرها والثالثة بتاريخ

سنة ٨٥٣ تقول بانه ورد موسوم شريف من مولانا السلطان الملك الظاهر ابو سعيد جقمق بابطال بعض المكوس ومنها التمر والعفص والسمك البوري والحنا والقماش المصري . قال وهذا في صحائف الدولة العادلة ا والرابعة فيها ذكر القلي والخروع والقلقاس وجلود الجواميس والماعز .

وكانت العادة ان تنقش على الرخام صورة الامر الصادر من الملك في رفع مثل هذه المظالم فنقش الملك الظاهر ابو سعيد ططر رخامة والصقها على باب الجامع الاموي في هذه المدينة بابطال ما كان لنائب الشام على المحتسب في كل سنة وكذلك ابطل في القدس ما كان يجبى لنائب القدس في كل سنة من المال ونقش ذلك على رخامة والصقها بباب الجامع الاقصى وابطل ايضاً ما كان مقرراً على أمير مكة واعيان التجار من التقادم للامراء اذا حجوا واعيان الدولة وفي سنة ٧٤٦ كتب على باب قلعة حلب وغيرها من القلاع نقراً في الحجر ما مضمونه : مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندي وذلك احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذه مسامحة بمال عظيم وكتب بالمسامحة بمثل ذلك على حائط قلعة طرابلس وهـــذا التفاوت ايام الدوران ما بين السنين الشمسية والقمرية[١] وكثيراً ما كان يصدر الامر في زمن الجراكسة بجمع الذهب اذا قل او الفضة وتسليمها الى الملك ليضرب بها سكة ونقوداً وكثر في ايامهم غش الفضة حتى كان سعر الدرهم ينزل كثيراً ويصاب الناس في الشام ومصر بخسائر فادحة وكثيراً ما كانوا يخسرون ثلث اموالهم لان بعض ملوكهم كانوا يغشون الفضة وينزلون عيار الذهب فكانت المصيبة بالفضة والذهب لعهدهم كالمصيبة بالاوراق النقدية لعهدنا كل يوم في ارتفاع وانخفاض. ولا عجب فقد كانت الدول بعد عصر صلاح الدين وآله في هذه الديار تتخبط بدون قاعدة مستقرة والدول التي ينصب لها ملك وهو لم يبلغ الحولين ويتولى المماليك امره لا يصدر منها اكثر من هذا كما وقع في سلطنة الملك المظفر ابي السعادات احمد بن الملك المظفر فاركبوه فرس النوبة وهو ابن سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وهو يزعق من البكاء ومشت قدامه الامراء حتى دخل القصر الكبير وهو في حجر المرضعة وقبلوا الارض امامه ولما دقت الكوسات بهت الطفل وصار احول العين .

للكلام صلة

---

(١) تاريخ ابن الوردي .

حقائق تاريخية

عن دمشق وحضارتها[1]

توطئة في بلاد الشام وسورية — دمشق — اسماء دمشق واشتقاقها — سكانها واجناسهم — حضارتها وعمرانها .

١

توطئة في بلاد الشام وسورية

يابلادي وانت خير البلاد ... نلت خصباً في كل سهل ووادي
فيك اغنت يد الطبيعة شعباً ... من قـــديم فنال كل المراد
ساعدتها يد الصناعة دهراً ... فأرتنا ثمــار حسن اجتهاد
ثم دالت بنا صروف الليالي ... فكمنا كالجمر تحت الرماد
فاستعيدوا نجاحكم باجتهاد ... واتحــاد لاجل خير البلاد

ان قطر الشام العزيز منسوب الى سام (اسم[2]) ابن نوح(راحة) فقيل في اسمه الشام لان السين والشين تتبادلان في اللغات الشرقية الشقائق. ولما اشتهر بثغره الذي كان مدينة صور (صخر) سمي سورية نسبة اليها. وقيل ان اليونانيين افتتحوه فرأوا الاشوريين يتولون شؤونه فنسبوه اليهم وقالوا(اشورية) ثم حذفت الهمزة وابدلت الشين سيناً فقيل فيها (سورية) واول من ذكرها بهذا الاسم هيرودوتوس المؤرخ اليوناني وبقي الاسمان متعاقبين الى يومنا . على ان الشام اكثر استعمالا لقدمها والافرنج يستعملون الثاني منهما .

وكانت سورية تقسم بحسب موقعها الطبيعي الى ثلاثة اقسام (اولها) سورية الشمالية وهي تبتدىء من جبال طوروس شمالا وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن

---

(١) المحاضرة التي القاها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء مجمعنا في ردهة المجمع مساء الجمعة في ٢٧ تشرين أول سنة ١٩٢٠ على نخبة العلماء والادباء وطلبة العلم .

(٢) وضعنا معاني بعض الاسماء بين هلالين تتمة للفائدة .

امهات مدنها انطاكية وحلب وحماه و(ثانيا)سورية المتوسطة وهي التي أطلق عليها الكتبة المتأخرون اسم سورية الجوفة تعريب كلمة Coelé - Syria والأولى ان يقال في تعريبها وادي سورية كما قيل وادي النيل في ارض مصر ووادي الرافدين اي الفرات ودجلة في العراق. وهذه تبتدىء من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً ومن امهات مدنها الداخلية دمشق وتدمر وبعلبك وحمص. ومن امهاتها الساحلية طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء وصور. و(ثالثها)سورية الجنوبية وهي مابقي من سورية ويدخل فيها ماعرف قديماً باسم بلاد كنعان (المنخفض) او فلسطين (المتغربين) وسميت بعدذلك بأرض الميعاد والارض المقدسة واشهر اسمائها اليوم فلسطين عند العرب والافرنج وتمتد من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً ومن مدنها الداخلية اورشليم او القدس الشريف وحبرون اي الخليل والناصرة وطبرية ونابلس ومن الساحلية عكاء وحيفا ويافا وغزة والعريش .

ومعدل طول هذه البلاد جمعاء من الشمال الى الجنوب نحو سبع مائة كيلومتر وعرضها من الغرب الى الشرق نحو اربع مائة وخمسين فيكون مجموع مساحتها ١٠٩،٥٠٩ — اميال مربعة. وبلغ عدد سكانها في القديم من عشرة ملايين الى خمسة عشر مليونا واليوم لايتجاوز المليونين والنصف فمعدل سكانها ٢٥ نفساً في كل ميل مربع . ولقد حددها الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره بقوله :

وحد الشام طولاً من عريش	الى ارض الفرات المستجاد
ومن جسر المسيح يقال عرضاً	الى طرسوس للبلد المراد
ومن يافا كذاك الى معان	فشام كل ذلك من بلاد

وقيل لسكان هذا القطر الآراميون تغليباً نسبة الى آرام (المرتفع) وهو ابن سام ابن نوح الذي اشتهرت فيه قبائله ولاسيما أنها كانت آخر سكانه القدماء عند فتح اليونانيين فبقي اسمهم متداولاً. ولكن اليونانيين والرومانيين سموا القسمين سورية. والعرب جاروهم بذلك ثم غلبوا اسم الشام. ومما يؤثر عن هذا القطر ان الملك هرقل لما غادر انطاكية الى القسطنطينية على اثر فتح العرب في عهد خلافة الامام عمر بن الخطاب (رضه) ودع البلاد بلغته اليونانية قائلًا (سوزه سورية) اي كوني بسلام ياسورية. وكانت عاصمتها منذ القديم دمشق .

٢

دمشق

ان مدينة دمشق هذه موضوع الكلام في هذه المحاضرة هي اقدم مدن سورية لان القبائل التي هاجرت الى هذه البقاع اقامت اولاً في هذه الانحاء لتوفر خصبها بكثرة مياهها ثم تفرقت وسترون في ما يأتي ادلة قاطعة تثبت قدمها. حتى ان استرابون المؤرخ ذكر مغاورها في العصر الظراني (الحجري) ولا تزال آثارها فيها وحولها فلهذا كانت هذه المدينة العريقة في القدم اشهر مدن سورية وافخمها آثاراً (ماعدا مدينة بعلبك) واوفرها خصباً واغناها خيرات واكثرها متنزهات واغزرها مياهاً ولقد ذكرتها آثار قصر الكرنك المحفورة على جدرانه في مصر منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد ثم مراسلات تل العمارنة بعد قرنين كما ذكرتهـــا التوراة وكثير من الكتب التاريخية القديمة .

وعلوها عن سطح البحر الرومي الفان ومائتان وستون قدماً وموقعها في مستوى من الارض يشرف عليها جبل قاسيون المعروف بجبل الصالحية نسبة الى الصالحين الذين هم من بني (جماعة) من الكنانيين النابلسيين المنتسبين الى مسجد ابي صالح[١] خارج الباب الشرقي منها لنزولهم فيه وانتسابهم اليه ثم لانتقالهم الى سفح ذلك الجبل الذي نسب اليهم وبقيتهم هي اليوم آل النابلسي عندنا. وعلو قاسيون ٣٧٠٧ اقدام. ويشرف عليها ايضاً من الغرب الجنوبي جبل الشيخ المعروف قديماً بجبل حرمون (القمة العالية) وعلوه — ٩٤٠٠ - قدم وهو يرطب جوها بنداه البليل المحمول على اجنحة النسيم وحولها الغوطتان الشرقية والغربية وهما من متنزهات الدنيا الاربعة لانها حدائق رائعة وجنان غناء واشجار غياء وينساب فيها نهر بردى (البارد أو الوردي) وينضم اليه نهر الفيجة (الينبوع) فيدخل المدينة ويتوزع عليها انهراً سبعة بهندسة بديعة فيروي جميع الارض التي حوله والمدينة بجميع احيائها ولذلك سماه اليونان

(١) ان مسجد ابي صالح قديم كان يلزمه ابو بكر بن سيد حمدية الزاهـــد وقيل انه جدده ثم خلفه فيه ابو صالح صاحبه فنسب اليه ولما حوصرت قرية جماعيل النابلسية في ايام الحروب الصليبية ترك آل جماعة هؤلاء بلادهم وهاجروا الى دمشق فنزلوا فيه كما مر

بلغتهم مجرى الذهب(Chrysorrhoas)لخصب ارضه وبه لقب يوحنا الدمشقي من قدماء العلماء الدمشقيين الذين نبغوا في ايام الدولة الاموية لفصاحته .

والمدينة مسورة بسور عظيم منيع ذات ابواب حديدية ضخمة وبقي سورها وابوابها الى زمن ابراهيم باشا المصري(١٨٣١ - ١٨٤٠م)فسلمه السكان مفاتيح المدينة عندما فتحها ودخل من بوابة الله مع حاكم لبنان الامير بشير الشهابي الكبير وولده الامير خليل وأمن الاهلين وكانت قلعة دمشق قديمة ومحصنة ولها سور حولها وخندق يردعنها الغارات فجددت في العصور المتوسطة ولاتزال أبنيتها ماثلة في غربي المدينة .

ولقد جمعت اسماء المؤلفات في هذه المدينة مما سمي باسمها فكانت اكثر من خمسين واكبرها تاريخ ابن عساكر المشهور وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية الشهيرة طبع منه خمسة مجلدات مؤخراً مختصرة مفيدة ورأيت في كثير من تلك المؤلفات وصف تاريخ الشام ودمشق وعمرانها وحوادثها . ولكن كل واحد نقل عمن قبله في الغالب دون تمحيص وتحقيق فتكرر الكلام والخطأ وخبط الباحث في تفسير الاعلام وبقي الاشكال غامضاً فحبذا لو اعتمدنا على فلسفة التاريخ ودرسنا علم الآثار القديمة او العاديات ومعارضة اللغات واشتقاقها فان في ذلك مغنماً للمؤرخ يحقق فيه الآراء ويصحح النقول فيعتمد الآتون على اقواله وقد در لوقيان القائل : « من العيب العظيم في التاريخ ان لا تفرق بين ما هو حقيقي ثابت وما هو خيالي واهن » . وياقوت الحموي الذي عقب على قول من تمحل لكلمة اصبهان وجوهاً غريبة في اشتقاقها (١ : ٢٧٠) بما نصه : « وما اشبه قوله هذا الا باشتقاق عبد الاعلى القاص حين قيل له : لم سمي العصفور . قال : لانه عصى وفر . قيل له : والطفيشل . قال : لانه طفا وشال - اهـ » .

فرأيت في اول محاضرة انتدبت لالقائها على منبر هذه الردهة بعد استعادتي الى هذا المجمع العلمي ان اتخذ تأريخ دمشق موضوعاً لي بحصاً على قدر ما فسح لي الوقت ووصل اليه الذرع بعض ما كان مستوراً بحجاب الاهمال في تحليل الاسماء والتعليل عن الحوادث . على انني لم اتعرض الا لتحليل الاعلام الاعجمية في كلامي لغموض اشتقاقها عنا . تاركاً الاعلام العربية لاننا ندركها بالبداهة . راجياً من لطفكم ايها الكرام الاغضاء عن الهفوات . فليس ما تسمعونه الآن من الآراء

الحديثة في التاريخ الا تنبيهاً الى البحث والتنقيب للتحقيق والتمحيص ليكون تاريخنا كاملاً مبنياً على الحقائق الراهنة والبراهين الدامغة . فلا تحملوه بارعاكم الله على غير حسن القصد والله حسبي .

٣

اسماء دمشق واشتقاقها

من الفوائد التاريخية الدالة على تحقيق بعض الآراء في التاريخ الصحيح تحليل الاسماء القديمة ومعرفة معانيها وأصول مبانيها فهي اشبه بالآثار القديمة في تأييد الحقيقة او التقرب منها على قدر الطاقة وعلى هذا أحلل الآن اسماء هذه المدينة وهي كثيرة ذكر منها القلقشندي المشهور في موسوعته (صبح الاعشى) المطبوعة حديثاً ـ دمشق وجلق وحكى في الروض المعطار تسميتها جيرون والعذراء . . الخ

اولها الشام ـ ان هذا الاسم اقدم اسمائها لانه اسم أب الذين احتلوها واختطوها من اللوديين والاراميين كما سترى قريباً . وهو الغالب على السنتنا الى اليوم . ولا سيما عند العامة حتى انهم قلما يقولون (دمشق) .ومعنى سام بالعبرانية اسم فهو بلا شك اب الاسماء واسم اب الآباء الذين تديروها . ولقد ذكره النابغة الجعدي عند فتح هذه المدينة في أيام العرب وتعيير ابي الزهراء القشيري باصابة رجله في مواقعها. فقال النابغة يخاطب المعير :

فان تكن قدم (بالشام) نادرة[1] فان بالشام اقداماً وأوصالا
وان يكن حاجب ممن فخرت به فلم يكن حاجب عماً ولا خالا

فتكون تسمية عاصمة الشام باسم بلاد الشام من باب تسمية الجزء باسم الكل مجازاً . وقال صاحب مراصد الاطلاع : مسجد الشام في بخارى العجم . والشام موضع في بلاد مراد . والشام محلة في تبريز مشهورة وهو يدل على انتقال هذا الاسم مع سكان البلاد الذين حلوه في هجرتهم ورسموا به الاماكن التي نزلوها .

ثانيها دمشق ـ لقد أول المؤرخون هذا الاسم تآويل شتى والاقرب في هذه التسمية أنها لودية او آرامية (أي كلدانية او سريانية قديمة) ذكرتها آثار الكرنك وكتابات تل العمارنة باسم (تماسكو) باللغة الهيروغليفية (اللغة المصرية المقدسة)

(١) أي زالة وواقعة .

ومعنى الكلمة المزهرة او المثمرة تسميه بغوطتها الخصيبة . ولقد ذكرها كثير من العرب بهذا الاسم منهم ابو عبادة البحتري بقوله :

اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا

اذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا

ومن هذا الاسم اخذ اليونانيون كلمة Damascas وعنهم نقل الافرنج تسميتهم للمدينة وصناعاتها كما سيأتي :

واما قولنا (دمشق الشام) فليس الا تمييزاً لها عن غرناطة الاندلسية المسماة (دمشق الغرب او الاندلس) لان سكانها كانوا من طوارىء دمشق الذين ذهبوا اليها مع من ذهب الى الغرب فاختاروها سكناً لهم لكثرة مياهها وحدائقها والجبل الثلج المطل عليها فكانت اشبه بمدينتهم الاصلية . ولكن ابن جبير الكناني الرحالة فرّق بين الدمشقين بقوله :

يا (دمشق الغرب) ها تيك لقد زدت عليها

تحتك الانهار تجري وهي تنصب اليها

وورد اسمها مؤنثاً في شعر عبد الرحمن بن صهيل لما حاصر عسكر يزيد بن ابي سفيان هذه المدينة بقوله :

فبلغ أبا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكونها

وأنا على بابي (دمشقة) نرتمي وقد حان من بابي (دمشقة) حينها

الثالث جلق ـ لقد غمض اشتقاق هذه الكلمة عن كثيرين فلم يهتدوا إلى اصله والذي اراه (إما انها) يونانية تحريف Jinic ومعناها امرأة وكان فيها كنيسة بهذا الاسم ذكرها ابن عساكر وغيره ولعلها كنيسة باسم مريم ام المسيح (عيسى) وقرب الكنيسة باب الجنيق المسدود في زمن ابن عساكر . فقيل (جنيّق) ثم بالابدال (جليّق) و (إما انها) فارسية من كلمتين هما (كل) اي زهرة او وردة و (لك) بمعنى مائة الف فيكون مجمل معناها مائة الف زهرة اشارة الى غوطتها ثم عدلوا عن الضم في اولها الى الكسر واتبعوا اللام للتخفيف فقالوا (جلق) . وعلى هذا الرأي تكون من تسمية الفرس الذين امتلكوها في القرن السادس للميلاد ولذلك كانت شائعة في زمن حسان بن ثابت الانصاري فذكرها بهذا الاسم في قصيدة وصف بها آل جفنة الغساسنة حكام دمشق اذ ذاك :

لله در عصابة نادمتهم يوماً (بجلق) في الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

وأما البريص او البُوَيص الذي ذكره حسان هنا فهو اما متنزه او قصر وربما كان محرفاً عن كلمة baradisos اي براديسوس اليونانية ومعناهاالمتنزه او الفردوس . وكان البريص يسمى ايضاً المقلاط وهو موضع النحاسين الآن. ولعل اسم بردى من هذه الكلمة وقال في مراصد الاطلاع : (جلق) ناحية بسرقسطة بالاندلس يسقي نهرها ٢٠ ميلاً وقيل واد شرقي الانـدلس . ثم قال : (جليقية) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال لاندلس في اقصاه من جهة الغرب. (اه) . وهذا دليل آخر على حمل الدمشقيين لهذا الاسم معهم الى الاندلس تحبباً وحنيناً الى الوطن .

الرابع جيرون ـ اطلقه بعضهم على المدينة من باب تسمية الكل باسم الجزء مجازاً لانه من ابواب جامعها الكبير ايام كان هيكلاً لليونانيين فالكلمة يونانية Jiron بمعنى فناء الدار او الهيكل ومنها اسم فناء الكنيسة او سورها عند الافرنج اليوم . وكان اسم جيرون للباب الشرقي من ابواب الهيكل وهو المعروف اليوم بباب النوفرة .ولا تزال آثار السور الذي كان يحدق به ظاهرةفي الزقاق الذي على يمين الداخل الى الجامع من ذلك الباب وهو الموصل الى الظاهرية . وحول الباب عمودان ضخمان يدلان على عرض السوق في ذلك العهد وكانت الاروقة قائمة على هذه الاعمدة لسير الناس والسوق بينها للعجلات والحيوانات.وحوله كتابات يونانية على يمين الداخل فيموضعين [1] . وعلى اليسار حانوت صغير فيه باب على اسكفته (عتبته العليا) نقوش بديعة يدل على ان الارض قد ارتفعت عن مساحة ارض

(١) في ربيع سنة ١٩١١ , كنت في دمشق فرأيت كتابة في بيت ابي عثمان الحموي في القيمرية بجوار البئر الذهبي على يمين الداخل الى الجامع من باب النوفرة (جيرون) ظهرت في الجدار الغربي عند ترميم البيت وهي يونانية تدل على ان تلك الغرفة بناها مينودورس الابن الاصغر لزنوفوس امينصندوق الهيكل . وهناك حروفغير ظاهرة. وفي بيت الدردري على يمين الباب في اول بيت كتابة يونانيـة وراء الدرج الذي يؤدي الى البيت . وكذلك في بيت السمان في القيمرية كتابة اخرى يونانية .

الشارع القديمة الى اكثر من نصف الباب علواً : ومثلها الى شرقي الجامع عند باب البريد ثلاثة اعمدة عليها طنف و كثيراً ما ذكر الشعراء باب جيرون فقال بعضهم فيه :

باكر (دمشق) بشق اقلام الحيا   زهو الرياض مرصعاً ومكللا
واجور (بجيرون) ذيولك واختصص   مغنى تـــأزر بالعلى وتسربلا

وقال بعضهم ان اصل جيرون فارسي تعريب (جيروند) بمعنى السراج وهو بعيد كما لا يخفى .

ومن اغرب ما وصفت به جيرون قول صاحب مراصد الاطلاع : جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف حولها مدينة تطيف بها وهي بدمشق في وسطها كالحلة . وقيل جيرون قرية الجبابرة في ارض كنعان (اه) .

قلت واما جيرون فلسطين فلم نر لها اثراً في ما وصلت اليه يد البحث ولكننا نظن انها تصحفت على المؤلف فالاولى ان تكون هي (حبرون) المسماة قرية اربع بل مدينة اربع وتعرف اليوم باسم (الخليل) .

الخامس اسماؤها الأخر ـ سميت دمشق باسماء أُخر كثيرة نشير اليها تتمة للبحث فسماها يوليانوس الروماني (عين الشرق كله) لعمرانها . ومن اسمائها العربية (إرم ذات العماد) وانكر ذلك كثير من المؤرخين وقالوا ان اسم إرم هو القبيلة لا المدينة والذي اراه ان العرب لما رأوها كثيرة الاعمدة وعرفوا شأن الاراميين فيها سموها (مدينة ارام ذات العماد) ثم حذفت كلمة مدينة وعربت ارام الى إرم. ومنها (عاصمة أرام) و (أرام دمشق) تمييزاً لها عن (أرام صوبة) في وادي سورية. و (مدينة العازر) وهو خادم ابراهيم الخليل المنسوب الى دمشق. و (بيت رامون) نسبة الى هيكلها الذي كان باسم الاله رامون اللودي ومنه اسم برمانة في ظاهر دمشق . و (حاضرة الروم) و (حصن الشام) و (بيت ملكهم) و (باب الكعبة) و (فسطاط المسلمين) و (العذراء) ولعلها نسبة الى مريم العذراء التي فيها كنيستها القديمة المعروفة بالمريمية او انها تعريب كلمة جنيق بمعنى العذراء كما مر آنفاً . و (قاعدة وادي سورية) المعروفة بسورية المجوفة في اصطلاح مؤرخينا الآن. ومن القابها (الفيحاء) لاتساعها و (الفناء) لالتفاف اشجارها الكثيفة و (جنة الارض) لكثرة حدائقها وغزارة مياهها .

وفي تسميات احيائها واضواحيها اشتقاقات تكشف القناع عن وجه كثير من الحقائق

الغامضة التي يتحملها المؤرخون ويتكهن بها اللغويون . فمن اللغة الفينيقية (دمّر) وهي تحريف (دامور) أو (تامور) أو (تامار) وهو عندهم الاله الحامي فكأنهم اتخذوا حصناً له فيه تمثاله للدفاع عن المدينة التي كانت محطة لتجارتهم الشهيرة و (بلاط) تحريف بعل بالبت . وفي جبل القلمون قرية فليطة وهي من هذا الاشتقاق .

والاسماء الآرامية أكثر من غيرها مثل (بيت لهيا) أي بيت الآلهة و (المعرة) بمعنى المغارة

ومنها الحثية مثل (الشاغور) بمعنى الصغير . (وقطنا) تحريف (كتنا) وهو اسم الحثيين وكذلك (الغوطة) فانها تحريف (الكتنة) واليبوسية مثل (يبوس) و (كفريبوس) نسبة الى اليبوسيين من الكنعانيين . و (جديدة الجرش) نسبه الى الجرجاشيين منهم أيضاً .

واليونانية مثل (بلاس) بمعنى قصر . و (بيت اورانس) أي بيت السماء وهي الآن اطلال خربة . و (عين ترما) أي الحمة وهي العين الحارة المياه . و (افتريس) تحريف (فاراتريس) أي ضارب الاعداء ومبددهم وهو من أسماء المشتري و (الفيجه) وهي تحريف (بيجه) اليونانية بمعنى الينبوع . و (مقرا) من متنزهاتها أصلها يوناني (مكرا) بمعنى المستطيلة . و (نهر ثورا) أي نهر النظر في اليونانية وقيل انها باسم حكيم اسمه (ثورا) أو نسبة الى تاج الملك ثوري[1]

والرومانية مثل جبل « القلمون » بمعنى المناخ أي جودة الهواء . و « بانياس » من بان اله الغابات وهو من أسماء أنهارها اليوم .

والعبرانية « المزة » وهي باسم حفيد عيسو ومعناه « الخوف » أو هي يونانية بمعنى التلة أو الربوة وقيل عربية تحريف « المتنزه »

والفارسية «جوبر» من جويبار بمعنى مسيل النهر الصغير .

وذكر ابن عساكر كثيراً من أسماء القرى العربية مثل «صنعاء» وهي خربة الآن دون المزة مسماة باسم « صنعاء اليمن » العربية . ومثلها قرية « الحميريين » الخربة وفيها مسجد كان مشهوراً وهذا من الأدلة على أن اليمنيين تديّروها .

(١) هو زوج زمرد خاتون أم شمس الملوك اخت الملك دقاق توفيت سنة ٥٥٧ هـ «١١٦١م» وهي مؤسسة المدرسة الخاتونية البرانية في دمشق المنسوبة اليها .

اخبار وافكار

المرحوم الاستاذ نخلة زريق

فجع مجمعنا بفقد عضو من أعضاء الشرف فيه كان معروفاً بآدابه وأخلاقه وغيرته على اللغة فاقترحنا على صديقه صاحب التوقيع أن يكتب كلمة عنه فلبى فنشكر له حفاوته به . وهذا ما كتبه الينا :

أرى من الواجب علي وقد عاشرت المرحوم سنة كاملة في تعريب كتب وتهذيب أخرى أن أقضي حقه بعد وفاته ولقد سعيت ان استقصي آثاره من محبيه في القدس فكان منهم الوعد الجميل ولكن لم أنل الى اليوم شيئاً . ففاوضت الاستاذ عيسى أفندي اسكندر المعلوف أحد أعضاء المجمع لما كان في وطنه زحلة فأرسل اليَّ ترجمة منقولة من كتابه (الدر الثمين في تراجم أدباء القرن العشرين) فضمنتها الى ماعرفته عن الفقيد وكتبت هذه العجالة : كان المرحوم عربياً بحتاً في أصله وفي لغته وفي زيه وفي وطنيته . واما الاصل فهو كما ذكر في (الدر الثمين) المومأ اليه من أسرة زريق القديمة في سوريا وهي تنتمي الى عرب الزريقات الذين يخيمون اليوم في الكرك وضواحيها والمعروفين في ثغور سورية ولا سيما طرابلس وما اليها منذ القرن السادس للهجرة . وهي فرعان مسلم ومسيحي . فمن المسيحي بطون لأسرة زريق في طرابلس ومرسين . ونشأ منهم فخذ في بيروت في محلة مزرعة العرب (واملها نسبت اليهم) عرفوا بالبسالة ومن هؤلاء تسلسل المترجم :

هو نخلة بن جرجس زريق ولد في بيروت نحو سنة ١٨٥٩م . ودرس في مدارس طائفته الارثوذكسية فأتقن العربية وألمّ بالانكليزية وحضر مجالس كبار رجال النهضة الحديثة في بيروت فنبغ في لغته التي كان ضليعاً فيها قل من يباريه حافظاً للقرآن والحديث واشعار العرب وامثالها وحوادثها لايمر به كلمة لغوية الا ويستشهد لها ا ا بآية أو حديث أو شعر أو مثل . وله رسائل كثيرة عند اخوانه وهي في اسلوب عربي متين . وتركيب رصين لايرى فيها لكنة أعجمي ولا لحن عامي . ولو جاز أن أذكر شيئاً مما كتب لاخوانه الذين لم يزالوا أحياء يرزقون

لذكرت له من البدائع فنوناً . ولم أرو له مع الاسف من شعره شيئاً . لأن له نظماً رشيقاً .

اما زيه فكان العربي لا يستعيض عنه ولو باحسن الازياء مع انه نشأ في بيروت حيث تكثر الازياء الغربية وعاشر الاوربيين مدة طويلة ولم يغير ذلك شيئاً من مبدئه .

ولقد مال الى اتقان فن التدريس واشتهر باسلوبه المفيد وقضى نحو ربع قرن في الكلية الانكليزية المخصصة لتدريس المعلمين في القدس محتكاً بأربابها الراقين نائلاً لديهم منزلة عالية فتخرج عليه مئات هم اليوم من صفوة الادباء والوجهاء والعمال فقام بعمله احسن قيام .

ولما كانت الحرب الكبرى أبعد الى دمشق وبقي فيها الى زمن الاحتلال الاول فانتخب عضواً في لجنة التهذيب للكتب العسكرية في المدرسة الحربية وكان زميلنا فيها الشيخ عبد القادر المبارك . فعرفت الفقيد ملتفاً بعباءته لم يهمه ان يكون بين يدي رئيس الاركان الحربية او بين يدي القائد الاعظم فلا يخرج عن عباءته فخدم عمله هذا بكل اجتهاد وحنكة وبعد سنة ترك العمل وعاد الى القدس مدرساً حيث كان فاسفنا لبعده كل الاسف .

اما الوطنية العربية فكان فيها من رجال العقل والحكمة لا من رجال الخيال والتهور . وكان قليل الكلام فيها حتى اذا آنس من بعضهم كتماناً ابدى آراءه الحكيمة فيها . واما الدين فكان متصلباً فيه لكنه غير متعصب . فلا ينظر الى الاديان الا نظر حرمة . وقد كان براً بخلق الله على اختلاف نجارهم ونحلهم . يحب ان يعاون حتى اعداءه . ويحسن حتى الى من اساء اليه .

وهكذا صرف حياته عالماً عاملاً الى ان توفي عازباً غريباً في القدس الشريف بداء المعدة الذي كان مبتلى به وذلك في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ عن نحو ٦٢ سنة انفقها في خدمة العلم والمدارس والتربية والمطالعة ودفن فيها بموكب مهيب وحفلة تليق به وقد اسف عليه كل من عرفه لما اشتهر به بينهم من الآداب الرائعة . وكان طويل القامة رقيق الجسم أشقر اللون قد وخطه شيب رحمه الله وعزى الادب بفقده .

دمشق : رشيد بقدونس

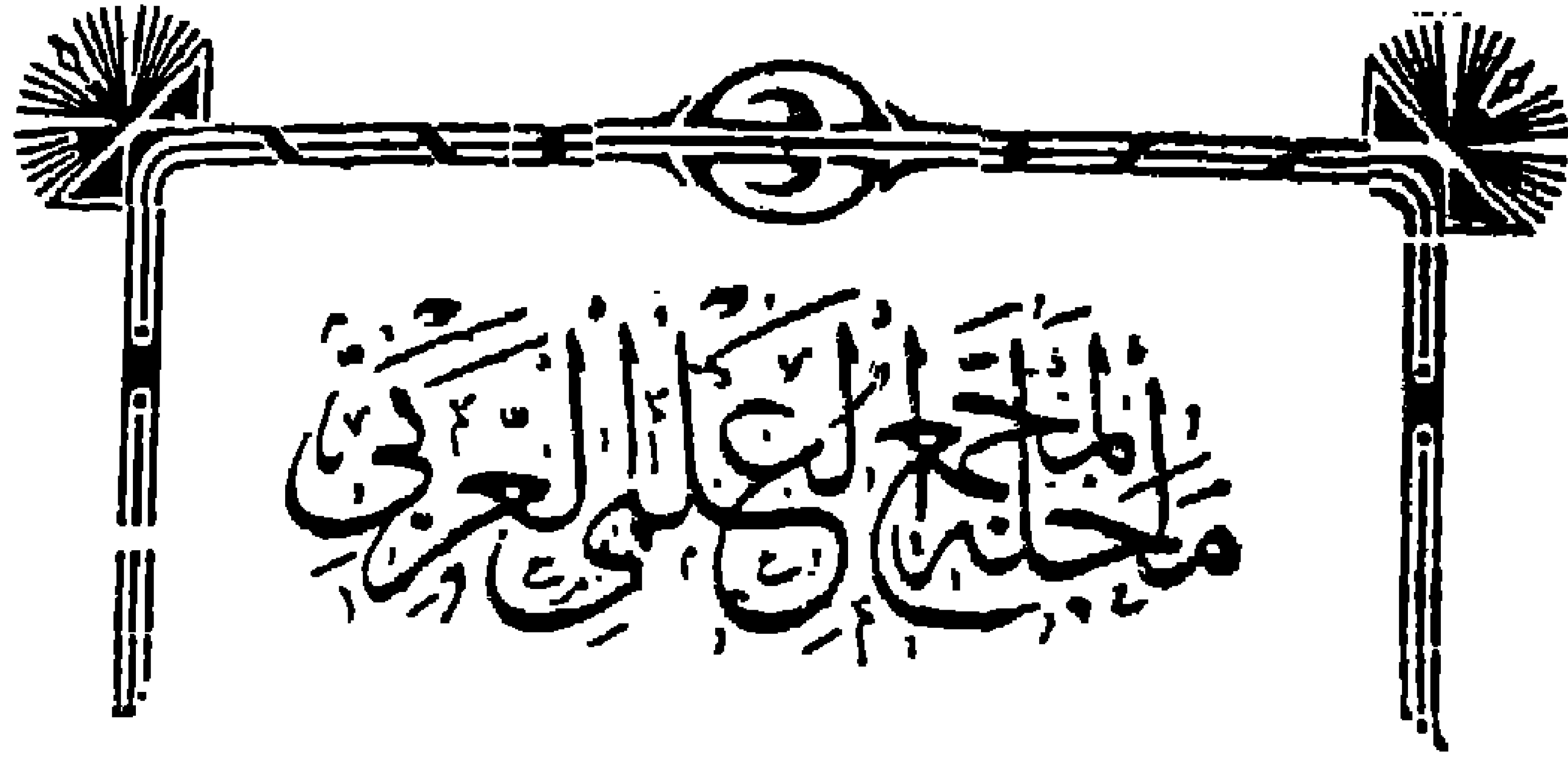
مطبوعات حديثة

كتاب نفيس في علم الفرائض

أهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل السيد عبد المجيد افندي المغربي من افاضل علماء طرابلس الشام كتابه المسمى (بالمنهل الفائض في علم الفرائض) فتصفحناه فوجدناه من امتع الكتب المؤلفة في هذا الفن قريب التناول لسهولة عبارته وفصاحتها وقد امتاز عن غيره في بابه بما يسهل به طريق قسمة التركات بطريقة الكسر العادي التي لم تذكر في كتب الفرائض وهي طريقة سهلة بالنسبة الى ما كان مستعملاً قبلاً في تصحيح الكسر فنحض من يرغب الوقوف التام على هذا العلم النفيس على اقتنائه ونشكر حضرة المؤلف على هديته الثمينة .

ديوان حليم

وقفنا على ديوان الشاعر العصري حليم افندي دموس المطبوع ثانية فوجدناه متقن الطبع والنظم والترتيب مصدراً بمقدمة في اقوال الافرنج والعرب في تعريب الشعر والشاعر ثم اورد بعدها قصائده ومقاطيعه الرشيقة والديوان مطبوع في القدس في ٣٠٤ صفحات بقطع ربع . فنشكر الناظم هديته اللطيفة ونحث الشعراء على اقتنائه .



الجزء ١٢ كانون الاول سنة ١٩٢١م الموافق غرة ربيع الثاني سنة ١٣٤٠هـ المجلد ١

الاعلام بمعاني الاعلام

٣

أبان : سمي به جماعة قبل الاسلام وبعده قال ابن دريد اشتقاقه من اسم الجبل المعروف بابان وهما اباناه ابان الابيض وابان الاسود اهـ وفي القاموس وشرحه وابان كسحاب مصروفة اسم رجل وهو فعال والهمزة اصلية كما جرى عليه المصنف وحققه الدماميني وابن مالك وجزم به ابن شبيب الحراني في جامع الفنون واكثر النحاة والمحدثين على منعه من الصرف للعلمية والوزن وبحث المحققون في الوزن لانه اذا كان ماضياً فلا يكون خاصاً (اي هذا الوزن ليس خاصاً بالفعل لان مثله سحاب وسراب) او اسم تفضيل فالقياس في مثله أبين وقال بعض ائمة اللغة من لم يعرف صرف ابان فهو اتان اهـ .

الابرش : البرش محركة والبرشة بالضم في شعر الفرس نكت صغار تخالف لونه كما في الصحاح وقيل هو من اللون نقطة حمراء واخرى سوداء او غبراء او نحو ذلك والفرس ابرش وبريش كأمير (وقال اللحياني ان ذلك مختص بالبرذون) وبياض يظهر على الاظفار ولقب بالابرش جماعة منهم جذيمة الابرش ملك العرب وكان ابرص فهابت العرب ان تقول له الابرص فقالت الابرش فكنوا به عنه ومكان ابرش مختلف الالوان كثير النبات والارض برشاء والبرشاء لقب ام ذهل وشيبان وقيس ابناء ثعلبة لبرش اصابها والابرشية موضع، انشد ابن الاعرابي :

نظرت بقصر الابرشية نظرة وطرفي وراء الناظرين قصير

اهـ من القاموس وشرحه باختصار وبراش كسحاب اسم جبل باليمن مطل على صنعاء وبه سمي ذو براش من ملوك حمير قال فيه الافطس :

قد علا الناس بالفضائل والمجـ ـد اخو الملك عامر ذو براش

الابيرد : ابن المعذر الشاعر من شعراء الحماسة هو تصغير أبرد والابرد من الثيران الذي في طرف ذنبه بياض وسمت العرب ابرد وبريد او يطلق ايضاً كما في شرح الحماسة على السحاب الذي فيه برد والابرد ايضاً احد ابردي النهار اي طرفيه .

ابير : كزبير ابو زميل بن ابير احد شعراء الحماسة وهو تصغير أبر من قولك ابرت النخل آبره ابراً اذا اصلحته او من ابرته العقرب اذا لسعته بابرتها بشرط ان يكون سمي به حتى يصح تصغيره وذلك لان المصدر لا يصغر لانه اسم جنس لفعله والجنس ابداً غاية الغايات في معناه وما كانت هذه صفته في الشياع والانتشار فما ابعده من التحقير وهو الغاية في العموم ولذلك لم تثن المصادر ولم تكسر الا ان توقع على الانواع وامتناع المصدر من ذلك كامتناع الافعال قاله التبريزي في شرح الحماسة.

ويجوز ان يكون ابير تصغير وبر وهو دابة اصغر من السنور قصيرة الذنب واصله على هذا وبير فلما انضمت الواو ضماً لازماً قلبت همزة كما قلبت في أُقتت اذ اصلها وُقتت .

أبزى : بنو أبزى بطن من قبائل اليمن وابزى هو الذي يطمئن صلاه اي العظم المتعلق على الاليتين ويندر اصل ابطيه والانثى بزواء — من ابن دريد .

وعلى قوله بطن نريد ان نبين كيف اصطلحت العرب على تسمية الجم الغفير من الناس اذا اتحد اصله فنقول الاسم العام لمن كان كذلك شعب بفتح الفاء وسكون العين وهو اعظم من القبيلة لانه انما سمي شعباً لتشعب القبائل منه ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم جيل ثم فصيلة فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وفهر بطن وقصي فخذ وهاشم جيل وآل العباس فصيلة وجمع الشعب شعوب قال الله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضاً لا لتتفاخروا وقال حسان بن ثابت :

وشعب عظيم من قضاعة فاضل على كل شعب من شعوب العمائر

اولئك قومي ان دعوت اجابني ثمانون الفاً في الحديد المظاهر

هذا ما رأيته في كتاب انساب اليمن واما المشهور فليس فيه ذكر الجيل قال في صبح

الأعشى نقلا عن الماوردي وغيره «طبقات أنساب العرب ست طبقات : الاولى الشعب بفتح الشين وهو النسب الابعد الذي تنسب اليه القبائل كعدنان وسمي شعباً لان القبائل تتشعب منه . الثانية القبيلة وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر وتجمع على قبائل وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها وربما سميت القبائل جماجم. الثالثة العمارة بكسر العين وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة ويجمع على عمائر وعمارات . الرابعة البطن وهي ما انقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم وتجمع على بطون وابطن . الخامسة الفخذ وهي ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية . السادسة الفصيلة بالصاد المهملة وهي ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس وبني أبي طالب وتجمع على فصائل فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل اه وهذا وان كان خارجاً عن صددنا الا انه لايخلو من فائدة.

أُبيّ : تصغير أب المخفف فاما الابّ بالتشديد فهو المرعى قال تعالى (وفاكهةً وأباً متاعاً لكم ولانعامكم) كذا قال ابن دريد وفي شرح الحماسة نقلاً عن ابن جني أنه يجوز أن يكون تصغير آب على الترخيم ويجوز ان يكون تحقير اب من قولك هذا تيس اب وعنز ابواء ويجوز ان يكون تحقير اسم رجل سمي اباً من قولهم تيس اب وهو ما انشده أبو زيد :

اقول لكنـــاز توكل فانه أبي لا أظن الضأن منه نواجيا

ويجوز أن يكون تحقير إباء مصدر أبيت ولست اقول ان المصدر يحقر ولكن كان انساناً سمي اباء كما سمي مضاء ثم حقر اه . وفي شرح القاموس أبى التيس يأبى أبى منقوص وتيس أبيّ بين الاباء اذا شم بول الاروى فمرض منه فهو أبوا من تيوس ابو وعنز أبية وأبواء وتقول اخذ الغنم الابا بالقصر اهـ .

الاتغم : والادغم والارغم من رجال الاشعريين فالاتغم هو المتغضب والادغم من قولهم فرس ادغم وهو أن يكون بوجهه لون يخالف لونه من سفعة أو غيرها والارغم من الرغم واصل الرغام التراب ومنه قولهم ارغم الله انفه اي الصقـــه بالتراب من ابن دريد .

أثاثة : اسم قبيلة من بني مازن وهو اسم مأخوذ من أثاث البيت وهو المتــاع الجيد وكذلك فسر قوله تعالى (اثاثاً ومتاعاً الى حين) وأثاثة بالضم والفتح اسم

والد مسطح الصحابي ابن خالة الصديق الذي نزل في حقه لما قطع عنه الصديق النفقة (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) الآية وقيل انه مأخوذ من تأثث الرجل اذا صار ذا أثاث وهو ما جد من متاع البيت لامارث .

الاثرم : من الثرم محركة انكسار السن من أصلها أو سن من الاسنان المقدمة مثل الثنايا والرباعيات أو خاص بالثنية وعليه اقتصر الجوهري يقال ثرم الرجل كفرح فهو اثرم وهي ثرماء ومنه الحديث في صفة فرعون أنه كان اثرم وفي الحديث نهى أن يضحى بالثرماء اي لنقصان أكلها الذي يلزم منه عدم سمنها والاثرم لقب أبو بكر الاثرم احمد بن محمد بن هاني الطائي صاحب الامام أحمد بن حنبل واحد رواة مذهبه المتوفى سنة ٢٦١ .

وأما الافرم فهو المتحطم الاسنان كما في القاموس وغيره والاهتم مكسور الثنايا والرباعيات والانثى هتماء .

الاجدع : من الجدع كالمنع وهو الحبس والسجن وقطع الانف أو الاذن أو اليد أو الشفة يقال جدعه فهو أجدع بين الجدع محركة والانثى جدعاء (وبنو جدعاء من بطون طي) والاجدع الشيطان وسمي به الاجدع بن مالك بن امية والد مسروق التابعي الكبير المتوفى سنة ١٦٣ وغير اسمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسماه عبد الرحمن وقال انت مسروق بن عبد الرحمن حدثنا رسول الله ﷺ ان الاجدع شيطان فكان اسمه في الديوان مسروق بن عبد الرحمن — من ابن دريد والقاموس مع شرحه .

احمس : بطن من تميم من قولهم حمس الشر اذا اشتد وكل شيء اشتد فقد حمس والحمس قبائل من العرب تشددوا في دينهم منهم قريش وبنو عامر بن صعصعة وخزاعة من ابن دريد . وفي شرح الحماسة يقال حمس الرجل في الامر يحمس حمساً وحماسة اذا اشتد فيه وهو احمس وحميس وكانت قريش وكنانة وخزاعة وجماعة من عامر بن صعصعة يسمون حمساً لتشددهم في احوالهم ديناً ودنيا وكانوا اذا احرموا لا يأقطون الاقط ولا يسلأون السمن اي لا يصفونه من الزبد ولا ينتفون الشعر ولا الوبر وكان اهل الجاهلية يحرمون اشياء ولا يأتون البيوت من ابوابها ولكن من ادبارها او ظهورها وكان الرجل اذا احرم قبل الحج فان كان من اهل

المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سلماً يصعد فيه وينحدر وان كان من اهل الوبر دخل من خلف البيت الا ان يكون من الحمس فدخل رسول الله ﷺ وهو محرم من باب بني بنيـــاناً واتبعه رجل من اهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر احد بني سلمة ولم يكن من الحمس فدخل معه فانكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال يارسول الله وانت محرم فقال له اني احمسي فقال له الرجل ان كنت أحمسياً فاني أحمسي رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) الآية والنسب الى الحمس أحمسي كان النسب الى الفرائض فرضي ويقال قد حمس الشر وحمس الوغى اذا اشتد قال الشاعر :

وفر ابو الصهباء اذ حمس الوغى والقى بابدان السلاح وسلما

فلو انهـــا عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيداً وازغـــا

وكثر ذلك حتى سميت الشجاعة حماسة لان الشجاع يشتد على قرنه عند المراس وبنو حماس وبنو حميس قبيلتان من العرب وبنو عامر تسمى الاحـامس وكأنهم ذهبوا في واحد حمس الى انه صفة فجمعوه جمع الصفات كما يقال احمر وحمر واصفر وصفر وذهبوا في واحد الاحامس الى انه اسم فجمعوه جمع الاسماء كما يقال احمد واحامد وهم يخرجون الاسماء الى باب الصفات كثيراً كقولهم بنو فلان الذوائب لا الذنائب اي لاعالي لا الاسافل كما يخرجون الصفات الى باب الاسماء كالاسود للحية والادهم للقيد والابطح للرمل المنبطح على وجـــه الارض وهذه صفات في الاصل اخرجت الى باب الاسماء فاعرفه اهـ . وحماس بن ثامل بوزن كتاب من شعراء الحماسة وهو القائل :

ومستنبح في لج ليل دعوته بمشبوبة في رأس صمـد مقابل

وقلت له اقبل فانك راشد وان على النار الندى وابن ثامل

قال ابو الفتح بن جني قد يمكن ان يكون حماس جمع احمس وهو الرجل الشديد كسر أفعل على فعال كاعجف وعجـــاف وسمي الرجل بالجمع كما سمي بكلاب وانمار وقد يجوز ان يكون حماس من تحامس القوم تحامساً وحماساً اذا تشادوا واقتتلوا وقال ابو العلاء حماس لا يمتنع ان يكون من الحماسة وهي الشدة وقيل من الحماس وهو شجر وعلى ذلك فسروا قول القطامي :

حدا في صحارى ذي حماس وعرعر   لقاحاً يغشيها رؤوس الصياهب

وقال بعضهم الحمسة السلحفاة فيجوز ان يكون حماس جمع حمسة مثل أكمة وآكام واما اسم ابي الشاعر المذكور وهو ثامل فهو من قولهم ثمل القوم اذا كان لهم ثمالاً اي عماداً يقوم بأمرهم ومعنى البيتين المتقدمين انه شب ناره أي اوقدها في معظم ظلمة الليل في صمد اي جبل او ارض مرتفعة مقابل لسمت الضيف فدعاه بها لما اعلاها حتى اهتدى بها لى بيته والمستنبح الذي يتقصد نبح الكلاب ليهتدي به الى من يضيفه كذا يفهم من شرح الحماسة .

الاحوص : سمي به جماعة منهم الاحوص بن جعفر بن كلاب كان سيداً في قومه والحوص بالتحريك ضيق العين حتى كأنها مخيطة ومنه قولهم حصت الثوب اذا خطته اما الاخوص بالخاء المعجمة فهو من الخوص بالتحريك وهو ان تكون العين غائرة من ابن دريد وغيره .

أحيحة : قال ابن دريد هو تصغير الأحاح والأحاح مايجد الانسان في صدره من حرارة الغيظ يقال اجد أحاحة واحة اه . وهو اسم أحيحة بن الجلاح سيد الاوس في الجاهلية وابو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية . ثم ان قوله تصغير أحاح لاتساعده القواعد اد لو كان كذلك لكان تصغيره أحيح بتشديد الياء وقد نبه على ذلك اخونا الاستاذ المغربي اثناء القائه محاضرة ترجمة حال أحيحة المذكور والصواب انه تصغير أحة ثم وجدت في التاج نقلا عن الفراء في صدره أحاح وأحيحة من الضغن وكذلك من الغيظ والحقد وبه سمي أحيحة مصغراً اه .

واما الجُلاح اسم والده فهو بوزن فُعال كما قال ابن دريد وانه من الجلَح محركة وهو انحسار مقدم الوجه من الشعر رجل اجلح وامرأة جلحا وجلّح الرجل في الامر بتشديد اللام اذا صمم عليه ومضى فيه اه . فلفظ جُلاح لا يكون مأخوذاً من جلح الذي هو كفرح الا اذا عد الجلح من الامراض فيأتي مصدره على فعال كالسعال والهزال والذي في القاموس ان الجُلاح كغراب السيل الجُراف أي الجارف الشديد الجري ووالد أحيحة اه . فالظاهر أنه منقول من هذا المعنى لما تقدم من حكمة تسمية العرب ابناءها بمثله .

للكلام صلة   سعيد الكرمي

جباية الشام في الاسلام

٣

و كانت ايام الجراكسة فريدة بثروة عمالها والغالب ان الواحد منهم كان يأخذ رزق مئة الف او مئتي الف انسان على نحو ما كانت الحال في مصر قبل اربعين سنة ولكن الثروة كانت شيئاً كثيراً في تلك الايام محصورة في الافراد فقد أخذ تيمور من دمشق لما جاءها سنة ٨٠٣ عدا المأكول والمشروب وغيره الف الف[1] دينار فقام بها اهل دمشق من غير مشقة فلم يرض تيمور بذلك وقال ان المطلوب بحساب بلاده وهو عشرة آلاف الف دينار او الف تومان والتومان عشرة آلاف دينار من الذهب نزل بالناس باستخراج هذا منهم ثانياً بلاء عظيم ولما حمل الى تيمور قال هذا المال لحسابنا انما هو ثلاثة آلاف الف دينار وقد بقي عليكم سبعة آلاف الف دينار وظهر لي انكم عجزتم ثم اخذ اموال المصريين حكام البلاد والتجار الغائبين عن دمشق وافرد على كل رأس من كبير وصغير عشرة دراهم شامية وافرد على اوقاف الجوامع والمساجد اجرة ثلاثة اشهر فتزايدت البلايا وكانت دمشق يومئذ احسن مدن الدنيا واعمرها كما قال المؤرخ ولذلك هان عليها ان تجمع عشرة ملايين دينار وهو اذا قيد اعتباره بنسبة هذه الايام لا يقل عن مئتي مليون ليرة رجع الرسوم والمكوس في القطر الشامي فقد تنوعت انواعها في عهد الجراكسة ومنها ما كان الخلف يلغيه على غير ارادة السلف وترى الى اليوم في جامع حلب الكبير[2] عدة سوار في الغاء الرسوم فالسارية الاولى كتب عليها ان الملك دمرداش ابطل سنة ٨١١ مكس البيض من المملكة الحلبية . الثانية ابطل فيها الملك جقمق سنة ٨٥٢ ما كان يؤخذ ظلماً من الدلالين في سوق الحراج . الثالثة في سنة ٨٤٦ بابطال الملك الظاهر جقمق مكس الكتان . الرابعة سنة ٨٤٦ بابطال ما كان يؤخذ من اهل سرمين . الخامسة بتاريخ سنة ٨٥٧ بابطال مكس الزيتون من قرى عزاز . السادسة سنة ٨٦٤ بابطال

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي وتاريخ مخطوط ناقص من اوله (٢) تاريخ حلب الشهباء للدكتور بيشوف الجرماني

ماتجدد على المصبغة بقلعة القصير عن كل خابية عشرة دراهم وان لا يؤخذ منهم سوى كل خابية درهم واحد وغيرها بابطال مكس السلاح في جميع سوق السلاح ومنها ما كتب سنة ٨٨٢ بابطال مكس الملح الداخل مدينة حلب ومنها لابطال ماعلى الدباغين بدير كوش من المكس المظلمة ومنها ماصدر سنة ٨٩٣ بابطال ما كان يأخذ ناظر الحنة من سوق الخانوية ومنها ماصدر سنة ٩٠٢ بابطال ما كان يؤخذ من مكس القطن ومنها ماصدر سنة ٩٠٢ بابطال مكس المسك والزعفران ومنها بابطال مكس السماق ومنها بابطال ماهو معين عن ختم القماش العراقي والدمشقي والقدسي . ومعظم هذه الاوامر المسطورة على الاعمدة مشفوعة بجملة ملعون ابن ملعون من جددها او يعيدها الى غير ذلك من استجلاب اللعنات على من يجددها ومنها كان الله ورسوله خصمه يوم القيامة الى غير ذلك من القيود والعقود .

ويحق لنا ان نستنتج مما تقدم ان المكوس كانت تختلف باختلاف البلاد فما كان في طرابلس لايجبى مثله في حمص وما كان في القدس لاعهد لحلب به وما في دمشق لامثيل له في المدن الاخرى وهاك امثلة اخرى من هذا القبيل ففي مدخل جامع طرابلس[1] امر بابطال المظالم المحدثات على اهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم والخبز والفراخ وغير ذلك وذلك في ايام ابي النصر شيخ سنة ٨١٠ وفي مدخل هذا الجامع امر من صاحب طرابلس بابطال منع استيفاء رسم الدخان وما يتأديه من يكون متكلماً في ديوان الحجوبية الكبرى واستاد دارية الديوان الشريف من سكر وخل وغير ذلك ومن طرح الصابون والزيت والبلس (Potasse) ومن جميع مايحدث من ديوان النيابة والديوان الشريف وغيرها من جميع الكلف والخادم الجارية بها العادية قديماً والحادثة مستقبلا سنة ٩٠٨ وعلى حائط مدرسة الشمسية امر كتب سنة ٨٢٦ بابطال الملك اشرف برسباي ما على البلاد الطرابلسية من الخيل بالبريد وفي سنة ٨٤٦ سومح عوام القدموس بما على انوال الحياكة وخراج الكروم بالقدموس مسامحة مستمرة على الدوام ونقش ذلك على حائط الجامع الكبير وفي

(١) رحلة فان برشم الى سورية Van berchem : Voyage en Syrie

سنة ٨٥١ أبطل ما تجدد على عوام القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الاعمال الطرابلسية من الشاب الخام ودورة الاستادار . وفي مدرسة طرابلس رسم بابطال ما على النحيرة (المسلخ) بطرابلس من الموجب لديوان النيابة وقدره في كل يوم ثمانون درهماً وبابطال معلوم كتابة السر احد وعشرون درهماً ومعلوم الحجوبية ثلاثة عشر درهماً وفي حائط تلك المدرسة أيضاً كتابة بتاريخ ٨٨٨ بابطال المظالم وهي الطروحات التي كانت تطرح على التجـــار والمتسببين بمدينة طرابلس وذلك عن الصابون والكرم والزيت وغير ذلك وفي سنة ٨٨٨ ابطل مكس الدواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس وابطل مكس نحيرة البقر والجاموس وقطع الضأن وقرم الاساكنة بالقدموس والخوابي وعلى ذلك الحائط كتب سنة ٩٠٩ بابطال المظالم والحوادث عن فلاحي الوقف ان لا يكربوا فلاحي الوقف الا الجزية الشرعية والمال المقرر وفي سنة ٨٢١ ابطل ضمان المكس بسوق العطارين بطرابلس الشام وكتب على حائط مدرسة الرفاعية سنة ٨٧٠ ان لا يؤخذ من تجار حماة وغيرها من السمسرة والترجمة الا ما جرت به العادة القديمة وهي على الالف عشرة دراهم لا غير وان لا يتناول الاجرة الا من باشر العمل بنفسه من ابناء السبيل ومنع النصارى من الترجمة والسمسرة وان لا يؤخذ شيء ممن باع سلعته بغير دلال .

وبذلك رأيتم ان الغاء المظالم والمغارم كان على أشده في آخر أيام الجراكسة وكان من أسوأ ملوكهم شعبان قال المؤرخون فيه انه كان متطلعاً الى جمع المال وأقام ديواناً برأسه للبدل وفتح باب قبول البدل في الاقطاعات والوظائف وجعل لذلك ديواناً قائماً بالذات وكان يعين البدل في المناشير وهو مبلغ ثلثمائة درهم فما فوقها والخلاصة فان الجراكسة تفننوا في طرح المكوس ومن غريبها في أيامهم مكس القرعان وذلك ان شخصاً من المماليك الجراكسة كشف رأسه في سنة ٨٣٠ بين يدي السلطان فاذا هو اقرع فضحك منه السلطان فقال ذلك المملوك اجعلني والي القرعان يا مولانا السلطان فأجابه السلطان الى ذلك واخرج له مرسوم سلطاني به وان يكون شيخ القرعان وخلع عليه خلعة فصار يدور في الاسواق والحارات ويكشف رؤوس الناس فمن وجده اقرع يأخذ منه ديناراً حتى اعيان الناس فضج منه الناس وشكوه للسلطان فضحك ونادى بالامان للقرعان وان كل شيء على حاله وكسب ذلك الرجل في هذه الحركة مالاً عظيماً .

انتهى دور الجراكسة المحزن المرمض وأملت الامة بدخولها في حوزة الترك العثمانيين ان ترى أيام رغد وسعادة لانها دولة جديدة تتحامى ما أمكن الاغلاط التي وقعت فيها الحكومة قبلها ولكن جاء الامر على العكس من ذلك على ما تراه.
لما فتح السلطان سليم العثماني الشام ومصر بعد ان كان في ضائقة شديدة اضطرمعها الى الاستدانة من بعض التجار قال وقد ملأ خزائنه من أموال الجراكسة : اني ملأت الانابير بالذهب وكل من يستطيع من اخلافي ان يملأها دراهم فليختم عليها بطابعه والا فتبقى الخزينة السلطانية مختومة بطابعي . هذه كانت وصيته ولذلك كانت خزينة « الاندرون » مختومة بخاتم سليم . لا جرم ان اكثر فتوح السلاطين العثمانيين كان السائق اليها حب الغنائم والنهب ولذلك كانوا يرجحون فتح البلاد في جهات اوربا على الفتح في آسيا لان تلك كانت أغنى في نظرهم وعلى شيء من الانتظام في الجملة تسد مغانمها نهمة جيوشهم وخواصهم وفيها من الجمال ما يكافيء الاتعاب فيتمتع السلطان وأهل دولته بمن شاؤا من بنات المغلوبين وبنيهم ولذلك جاء النسل التركي في الاستانة فقط مزيجاً من الروم والكرج والبشناق والارناؤد والرومان والصرب والبلغار والمجر والطليان والروس والبولونيين وغيرهم من أمم اوربا .

قال ابن اياس[1] كان في حلب من المال عندما فتحها سليم بن عثمان نحو مائة ألف ألف دينـــار ورأى من الكنابيش الزركش والرقاب الزركش والطبر والسروج الذهب والبلور وطبول البازات واللجم المرصعة والفصوص المثمنـــة والبركستوانات الفولاذ الملون والسيوف المنقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يره قط ولا فرح بـه أحد من أجداده ولا أحد من ملوك الروم لان الذي جمعـــه الغوري من الاموال من وجوه الجور والظلم والتحف التي أخرجها من الخزائن من وفائد الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسة احتوى على جميعه السلطان سليم شاه بن عثمان من غير تعب ولا مشقة اه .

ولما دخل السلطان سليم دمشق تفنن في ضرب المكوس ومن جملتها المكوس على المومسات[2] فتأسف العقلاء واكبر الامر اهل الدين والورع . ومن وصل به الطمع في مال الامة الى هذه الدرجة وهو في مبدإ تغلبه على البلاد يجب عليه ان

(١) تاريخ مصر (٢) الكواكب السائرة .

يريها شيئاً من العدل بنسيها مظالم الدولة الجركسية وحدثما شئت ان تحدث عما احدثه اخلافه من البدع في الارتفاعات بعده حتى قال مؤرخو الترك[1] انفسهم ان خراج ايالة الشام كله كان يعطى للمرأة السابعة من نساء السلطان ابراهيم وكان الجابي يأتي دمشق فيجبيها بنفسه لان نساء القصر لم يكنّ يأمنّ أحداً من الولاة والمتصرفين على جبايتها من الامة فتأمل ايالة بل مملكة كهذه تعطى جبايتها لامرأة واحدة من نساء القصر تنفقها على زينتها وازيائها كيف تكون محاببها عادلة مصروفة سبلها !

قسم القطر السوري اوائل الفتح العثماني الى اربع ايالات كبرى[2] وهي ايالة دمشق وتحتوي على الوية دمشق والقدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون واللجون والبقاع وعكا وتدمر وصيدا وبيروت والكرك والشوبك وافطاعها السنوي كلها مليون اقجه[3] ولأمير لوائها من مئتين الى ثلثمائة ألف اقجه وفيها ١٢٨ زعامة و ٨٦٦ اقطاعاً وعدد جندها ٢٦٠٠ من الفرسان . وكانت ايالة طرابلس عبارة عن الوية طرابلس وحماة وحمص وسليمية وجبلة وارتفاعها السنوي خمسة يوكات[4] ولديوان الخاص من ٢١٠ الى ٣٩٠ ألف اقجه وحاميتها من الفرسان ١٤٠٠ وايالة حلب وتدخل فيها حلب واذنة واكراد كلس والبيرة (بيره جك) وعزيز والمعرة وتركان حلب وعزاز ومنبج والمضيق وخراجها ثمانمائة وسبعة عشر ألف اقجه وديوانها الخاص يرتفع من ٢٠٠ الى ٥٠٠ ألف اقجه وفي هذه الايالة ١٠٤ زعامات و ٧٩٩ اقطاعاً وحاميتها ٢٥٠٠ فارس يخرج منها عشرة يوكات كان يدفعها اولاد رمضان حكام اذنة . وهناك بعض الوية تحسب من سورية مثل الرقة وسروج وعانة تدفع ايضاً خراجها بحسبها .

وكانت الدولة تستوفي نصف ايراد سورية على عهد السلطان سليمان الاول[5] اعني في سنة ٩٩٩هـ ١٥٥٣م ٢٠٠٫٠٠٠ دوكا والدوكا عشر اقجات والبارة ثلاث اقجات وتصرف الباقي على وقاية البلاد ومحافظتها وكذلك كانت تفعل في مصر تأخذ نصف ريعها وتصرف النصف الآخر في حمايتها .

(١) تاريخ ابو الفاروق لمراد بك (بالتركية) . (٢) نتائج الوقوعات لمصطفى باشا (بالتركية) . (٣) كل ثلاث اقجات بارة وكل ٤٠ بارة قرش والكيس خمسمائة قرش ذهباً او فضة . (٤) اليوك مبلغ خمسمائة الف قرش . (٥) منتخبات الجوائب .

وما برحت الحال المالية في هذه الديار في ادبار وهي تبع للوالي الذي يتولى زمام الحكم فقد ذكروا ان والي الشام رفع في سنة ٩٩٤ المظالم وابطل المكوس الزائدة فابطل مكس الخمارات وكان لكل من كان حاكما على بر الشام ثم ابطل البسق من باب صاحب الشحنة. والبسق كبير الانكشارية يلتزم هذه الوظيفة بمال كبير يدفعه للآغا وللباشا ويكون في باب صاحب الشحنة يقطع الجرائم ويدفع المال عن اربابه بربح ديناراً عثمانياً كل يوم فاذا كانت الجريمة خمسين ديناراً مثلا دفعها عمن ألزم بها وله ربحها في كل يوم خمسون عثمانياً ماذا بقيت عليه اياماً حتى يسعى في تحصيلها تضاعفت عليه حتى لا يقدر على الوفاء والتخلص منها فان كان له اسباب او عقار او وقف او غير ذلك باعها او ملكها لذلك البسق كيفما اراد فادى ذلك الى تمول الانكشارية وتملكهم كثيراً من الاملاك وابطل البسق من باب القاضي والانكشارية التي رتبت على البضائع المجلوبة وابطل المكوس التي كانت تؤخذ على البن الداخل الى دمشق وعلى الموازين .

وفي سنة ١٠٠٤ طالبت الحكومة الرعايا بعوارض سنتين جديدة وعتيقة وطالبوا الاسرائيليين بمال عظيم . وهذا كثيراً ما كانت تعمد اليه حتى الى عهد قريب تطلب المال قبل استحقاقه وتسلب اموال الصيارف والمرابين بحجة الاستدانة منهم وحدث ان بعض الامراء والملوك صادروا النصارى واليهود خاصة كما فعل الملك الاشرف قايتباي فصادرهم مرتين في ايامه. وغرّم احمد حافظ باشا سنة ١٠١٨ وكان كافل الشام اموالاً طائلة وصادر جماعات في دمشق واخذ اموالاً منهم بغير حق ولذلك كانت المصادرة عامة تتناول من في صندوقه مال ايا كان مذهبه .

وهكذا انقضى القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر في سلسلة مغارم ومظالم فقد تولى احمد باشا الجزار دمشق لاول مرة سنة ١٢٠٠ وكانت مدة حكمه فيها خمس سنين لم يرتح شهراً واحداً من طلب المال ظلماً ومن طرح النقود وطرح البضائع المتنوعة ينهبها من جهات ويطرحها على اخرى باسعار زائدة ومن مظالمه انه اذا وجد قتيل في احد الانهار يلحقون جميع القرى التي تشرب من ذاك النهر ويأخذون منهم مالا غزيراً وكان لا عمل له الا القبض على الاغنياء ومصادرتهم على ابشع صورة فصدق فيه قول الشاعر :

قد بلينا بامير ظلم الناس وسبح فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح

قال ابن آق بيق[1] في حوادث سنة ١٢٤٧ اشتغل الشام بالظلم واكرامية الباشا من البلاد واشتغل حسن آغا بالظلم في دمشق وارهاق القرى بالطروحة والاكراميات واقراض الذخائر ومعاونة الجودة وغير ذلك من المظالم التي لم يسمع لها اثر في السابق . وفي سنة ١٢٤٧ كانت محاولة سليم باشا والي الشام وضع « مصريتين » ضريبة على كل سكرة أي عقار في دمشق من جملة اسباب قتله حرقاً مع جماعته .

وقال ابن عابدين : ان غالب الغرامات الواردة على القرى في هذا الزمان (أي في أوائل القرن الثالث عشر) ليست لحفظ املاك ولا لحفظ أبدان وانما هي بمجرد ظلم وعدوان فان غالب مصارف الوالي واتباعه وعمارات منزله ومنزل عساكره وما يدفعه الى رسل السلطان الواردين باوامر ونواه وامثال ذلك كله يأخذه من القرى ويسمون ذلك بالذخيرة تؤخذ في بلادنا في السنة مرتين ويزيد فيها دراهم كثيرة رشوة لاعوانه وحواشيه من اعيان البلدة وقد جرت العادة بقسمة ذلك كله على عدد فدن القرية وتارة يقسمونه على مقدار حق الشرب بالساعات الرملية فمن كان له فدان مثلاً يؤخذ منه ما يخصه اومن له ساعة يؤخذ منه ما يخصه سواء كان رجلاً اوامرأة او صبياً وكذا يجعلون منها على رقاب الرجال ساكنين في القرية الذين لا املاك لهم فيها .

قلنا وهذا من جملة الدواعي التي انتقلت بها في القرن الماضي قرى ومزارع كثيرة في سهول سورية وجبالها الى ارباب النفوذ فخرج اهلها عن ملكها ورضوا بالاستعباد على ان يكونوا احراراً مالكين وذلك فراراً من ظلم الحكومة وتخلصاً من الضرائب الثقيلة التي لا تتحملها نفس بشرية وكثيراً ما كان الشيوخ يقصون علينا قصة الطبلة يوم تدق في قريتهم ويجيء اعوان الظلمة لاخذ المظالم من اهلها ، وهناك كنت تسمع من المؤلمات وضروب الظلم في طرق الجباية ما تسأل الله معه السلامة وتستغرب كل الغرابة من جنس هذا الناطق المتمرد ومن طراز ادارة العثمانيين التي تعرف كيف تستنزف دماء الامة واموالها وقلما فكرت فيما يجلب لها الثروة ويحفظ عليها الحق ويقيم بينها قسطاس العدل .

---

(١) تعليقات بخط اليد

ولما فتح جيش محمدعلي المصري بلاد الشام كان الاجنبي[1] اذ ذاك يعطي رسوم كمارك وضرائب اقل مما يدفع الوطني بكثير ولذلك اضطر بعض التجار الى ابتياع حماية الاجانب حتى يستطيعوا ان يتجروا وهذا كان مبدأ اشتداد الامتيازات الاجنبية . كتب اللورد دوفرين[2] الى حكومته سنة ١٨٦٠ يقول : في مقدمة اسباب ضعف الادارة العثمانية في سورية ان الباب العالي كان يعتبر هذه الولاية منذ بضع سنوات كايالة اجنبية يقتضي الانتفاع منها ما امكن ولذلك طرح منصبها في المزاد ولم يول عليها الا الزائد الاخير ومن الطبيعي ان كل وال جديد لم يكن يفكر الا في تعويض ما دفعه من المال وبجمع الثروة فيسلب اهالي الايالة لدن وصوله مبتزاً منهم الاموال ومثقلا كاهلهم بالضرائب الجديدة . وبعدان ذكر كيف كان الوالي يرشو جماعة الاستانة لتستقيم له الولاية مدة يواصل فيها استنزاف الاموال واملاء جيوبهم بها قال : فنشأ عن ذلك مظالم لا تطاق وابتزاز اموال لا تحصى وتعاقب على الايالة ولاة غير اكفاء للمنصب جائرون مرتشون طامعون في جمع المال لاتشبع بطونهم خالون من ادنى اهتمام بالمصلحة العامة اه .

تبدلت الاوضاع الادارية في سورية مرات على عهد العثمانيين وفي سنة ١٢٧٢ﻫ كانت تقسم الى ايالتين ايالة دمشق وايالة صيدا ودخل الاولى التي هي عبارة عن دمشق ومرج الغوطة ووادي العجم ووادي بردى وجبل قلمون وحماة وحمص وبعلبك ومعرة النعمان وعجلون والبقاع وحاصيا وراشيا وحوران وجبل الدروز وحصن الاكراد والقنيطرة وايكي قبولي من الخراج والاعشار والبدل العسكري والرسوم المختلفة ٤١٨٠٥ اكياس يضاف اليها ٩٠٠ كيس كانت تدفعها الخزينة الى الاوقاف وذلك عدا ما كان يؤخذ من حماة وحوران وحمص وجبل الدروز وحصن الاكراد ومعرة النعمان وعجلون عيناً من الاعشار والرسوم وهو ١٨٧٥٩ اردباً من القمح و٢٥٨٨٤ اردباً من الشعير و٩٥١ من الذرة و١٣٣٩٣ اوقة سمن و ٣٢٠ اوقة حرير و ١٣٠٠ رأس غنم . وكان دخل ايالة صيدا وقائم مقاميتي

---

(١) سورية على عهد حكومة محمد علي ليريه F. Lerrier : la Syrie Sous le gouevrnement de méhémet - ali

(٢) المحررات السياسية تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن .

لبنان الدرزية والمسيحية ويدخل فيها بيروت وطرابلس واللاذقية ونابلس وعكا وحيفا وساحل عثليت والاقضية الشمسية ٣١٫١٥٤ كيساً ماعدا المستوفى عيناً من القمح والشعير والذرة والكرسنة والسمسم والعدس والسمن والزيت والفيالج والقطن.

وكان مجموع دخل ايالة دمشق ١٨٥ الف ليرة على ذاك العهد وايالة صيدا ١٥٠ الفاً وكان لبنان يؤدي للدولة سنوياً ٣٥٠٠ كيس جزية وخراجاً . كتب المستر برانت قنصل انكلترا في دمشق الى سفير دولته في الاستانة عن حالة ايالة دمشق في ١٤ حزيران ١٨٥٨ من كتاب ما يأتي ان الضرائب كانت باهظة على عهد الحكومة المصرية على ان استتباب الامن وعدم بخل الحكومة على الشعب كانا يكفيان لاقناعه ان في وسعه تحمل وقرها دون ان يرزح تحتها وكان الدخل يدار بنزاهة واقتصاد ولدى الحكومة المصرية جيش وافر العدد وتقوم بكل نفقات ادارة الايالة المتوقع ازديادها تدريجياً اما حالة اليوم (اي على عهد الحكم التركي) فهي على عكس ما تقدم على جميع الوجوه فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق [1] مع انها اقل من ذي قبل والامن مفقود والدخل يقل كل يوم لاهمال القرويين حراثة الاراضي وكل ما يتم جمعه ينفق باسراف او يسرقه الموظفون والاموال اللازمة لادارة الحكومة تطلب من الاستانة وصار من الجلي ان المالية تزداد اختلالاً وفساد الادارة مستمر . كانت حكومة محمد علي فرضت على كل ذكر ساكن في المدينة ضريبة جديدة تدعى ضريبة الفردة تختلف بين ١٥ قرشاً الى ٥٠٠ قرش حسب حالة كل انسان وكان مجموعها يبلغ عشرين الف ليرة انكليزية ولما عاد الاتراك الى البلاد لقوا مقاومة شديدة في جبايتها فابدلوها بضريبة على البيوت تستوفى دون حدوث اضطراب كبير او قتال على ان مجموعها لا يتجاوز العشرة آلاف ليرة انكليزية وقد جرت بعض احتكارات وفرضت ضرائب جديدة على البنايات المحدثة للاستعاضة عن الدخل الذي اسرفوا به وكانت الحكومة المصريه تستوفي نحو ٥٥ الف كيس

(١) قال بيرو ان الضرائب التي وضعها ابراهيم باشا المصري على السوريين كانت شديدة وما كان القوم يتحملونها لو لم يكونوا من عناصر واديان مختلفة قلنا ومن حسنات ابراهيم باشا انه ابطل الرشى والاصطناع وابطل المصادرات وقرر حق التملك .

ولا يتأخر لها بارة وهذا المبلغ يساوي ٢٧٥ الف فهبط الدخل اليوم الى ٣٥ الف كيس قيمتها ١٤٣ الفاً وخمسمائة جنيه يجبى منهـا عشرة آلاف كيس اي زهاء ٤١ الف جنيه في ذمة الاهالي وهذه يتعذر جباية قسم منها ·

هذا ما قاله رجل غريب عن البلاد واصرح منه ما كتبه مدحت باشا ايام كان والياً على سورية بتاريخ ١٧ آذار ١٢٩٥ شرقية من لائحة في سياسة سورية واموالها ومما قاله :[1] ان الاوامر التي تصدر من الاستانة الى سورية محصورة في طلب المال والجند فقط وبذلك بطل العمل بالقانون والاصول المرعية وفتحت ابواب سوء الاستعمال وماعدا بعض الرجال من الموظفين اصبح كبار العمال وصغارهم لا يلتفتون الى غير مصالحهم فطرأ على المعاملات الخلل وبسوء تأثير ذلك فسدت اخلاق الناس وكثر القتل والنهب والغارة على الاموال والعروض في كل مكان واختل الامن كل الاختلال. قال واذا القينا نظرة على واردات الدولة نرى الخراج والاموال قد نزل ارتفاعها الى النصف وخربت مسائل الاعشار البلاد وقل البدل العسكري وحدث ما نشأ عن بلية «القائمة» فمن اجل سقوط اسعارها نزلت الواردات في العام الماضي الى النصف وبقي النصف الآخر في باب النفقات بدون تسديد .

وكلام مدحت باشا يشمل ولايتي سورية وبيروت لان الولايتين في عهده كانتا ولاية واحدة فكلامه يشمل معظم سورية وفلسطين وبالطبع كانت فلسطين اقصى الجنوب وحلب في اقصى الشمال على هذه الصورة او اشد لان روح المملكة كانت واحدة وهي المركزية الشديدة وكانت في الدور الذي سلف لا مركزية ولكنها اشبه بالفوضى .ولم تتغير الحالة المالية عن عهد مدحت باشا بل ظلت تعسة الى آخر سقوط سورية ورحيل الاتراك عنها منذ ثلاث سنين وان كانت الارتفاعات زادت في العقود الاربعة الاخيرة لانتشار الامن في الجملة بتأسيس المحاكم النظامية التي قضت على الاستبداد بعض الشيء وكفت البـادية عن العيش في البلاد القريبة من المعمور بعد ان كانت تأتي لاخذ الخوة من القرى القريبة من الحواضر الكبرى ولزيادة النفوس بقلة الاوبئة وتخفيف بعض المطالب وسد العجز المالي ولا سيا في

(١) خاطرات مدحت باشا (بالتركية) .

الساحل بما ادخله المهاجرون الى اميركا وغيرها من ابناء سورية فكانوا وما زالوا يحملون الى هذه الديار مبالغ طائلة تدخل في تحسين الزراعة والصناعة وتزداد بها الحركة التجارية . وكانت الدولة العثمانية كلما سلخت عنها الولايات النائية تزيد في مقدار الجباية والمظالم على بلادها فالدخل ينقص على الدوام بسلخ الممالك من جسمها والخرج يزيد لان اهل الاستانة عالة على اهل الولايات يشقى هؤلاء لينعم اولئك ويبنوا القصور ويتمتعوا بالولدان والحور .

ولم يكف الحكومة العثمانية زيادتها في العشور حتى بلغت ثلاثة عشر الا ربعاً في المئة تؤخذ من الحاصل والمحصول عدا ما يلحقها ظلم الملتزمين والعشارين وهو قد يبلغ عشرين في المئة في بعض الانحـــاء ولم يكفها زيادة الاموال والضرائب الاخرى الى ضعفين بل الى اضعاف ما كانت قبل عشرين سنة بل زادت في العشر والخراج زيادة مهمة مدة الحرب العامة دع ما احدثته من التكاليف الحربية واستلبته من اموال الفلاحين وعروضهم ومواشيهم ولولا ارتفاع الاسعار ودخول ملايين من الليرات التي اقترضتها الدولة من المانيا لتنفقها على الجيش الذي جمعته وجلبته من القاصية لولا ذلك لبقي عشرة في المئة فقط من قرى هذا القطر عامراً ولآضت الحال اتعس مما كانت قبل ستين او سبعين سنة ايام كان الفلاحون لا يستطيعون زراعـــة اراضيهم لقلة الايدي العاملة فيجلبون اناساً من العبيد يستخدمونهم في الحرث والكروب .

لا جرم ان الاموال اذا جبيت كما تجبى في البلاد المتمدنة بالرفق وبحسب طاقة المكلفين يتوازن مع الزمن الدخل والخرج بل قد يزيد الاول على الثاني اذا وقع الاقتصاد في وجوه النفقات تكتفي سورية بما تخرجه لها ارضها ويفيض عليها ما تصرفه على الخطوط الحديدية ورصف الطرق وتعبيدها في المدن وبين القرى ومن الاسلاك البرقية والتلفونية والكهربائية وتجفيف البطائح واصلاح طرق الري واقامة معالم العلم ودور التهذيب وكل مملكة تسد عجزها بالاقتراض ولا تستثمر بايدي رجالها ما في سطحها وبطنها من الخيرات يكون مصيرها الى الاستعباد الاقتصادي وهو ابشع ضروب الاستعباد في هذا العصر وما لا تستطيع ان تعمله لنفسك ليس في مكنة غيرك ان يحمله اليك . وكل امة لا تفرض الجباية بالعقل ولا تجبيها بطرق العدل ولا تبذل على المرافق العامة منها الفضل تنحل بل تضمحل . محمد كرد علي

حقائق تاريخية

عن دمشق وحضارتها

تابع لما في الجزء الماضي

٤ سكانها واجناسهم

كانت قبائل العمالقة وفروعها محتلة سورية منذ اوائل الزمن التاريخي. ومنهم الجرجاشيون وغيرهم من ابناء اعمامهم كاليبوسيين . ولما حدثت زلازل شديدة ارتعدت لها فرائص الارض على ضفاف خليج العجم وما اليها في القرن العشرين قبل الميلاد هلعت قلوب سكانها من القبائل السامية واليافثية والحامية ففرّوا منذعرين من تقويض مساكنهم وتدمير عمرانهم فساحوا في الارض الى ان رأوا نجعتهم ضواحي دمشق لخصبها واتساعها فاستظهروا على سكانها من الكنعانيين وتولوا شؤونها ومنهم الفينيقيون الذين غلبهم اللوديون والآراميون والعبرانيون فتمازجت اصول قدماء السكان في سورية ووثقت اواصر النسابة بينهم المصاهرة ولكنها لم تغنهم فتيلاً فنشبت بينهم مشاحنات ونمت ضغائن قضت عليهم بالحروب المستطيلة .

وممن سكت عنهم المؤرخون أو أغفلوهم أو اشاروا اليهم من طرف خفي [١] اللودانيون اخوة الآراميين لأن سام بن نوح رزق خمسة ابناء عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام .

وبما ان مملكة أرام كانت المملكة الاخيرة من هذه القبائل شاع ذكرها على السنة المؤرخين فاشاروا اليها بالتفصيل واغفلوا ذكر مملكة لود الذي كان اكبر من أرام فملك قبله واشتهر . وكان لبني لود مواقع حربية عظيمة وآثار عمران كثيرة في شمالي سورية ومتوسطها وجنوبيها . فاسسوا مملكتهم الضخمة ونزلوا دمشق

---

(١) راجع لترمان ومسبرو المؤرخين الفرنسيين وبعض تواريخ مصر ولا سيا الاثرية منها . وكتب السياحة ونحوها .

قبل اخوتهم الارامين وأسسوا حضارتها وشيدوا أبنيتها العظيمة ولا سيا هيكل رامون المنيع الذي حول الى كنيسة القديس يوحنا المعمدان ثم الى الجامع الاموي الكبير المشهور بآثار بنائه الفخم وهندسته الرائعة . ولهذا افرد هذه الصفحة لتحقيق تاريخهم وحصر الشام عن أصلهم ولم أر أحداً تعرض لوصفهم بالتطويل غيري في ما نشرته في مقتطف السنة الماضية بعنوان (اقدم سكان سورية اللوديون) وهو بحث عنهم مستفيض .

تقرر في هذا العصر تحقيق التاريخ بالآثار القديمة ونحوها فلهذا اذا استنطقنا هيكل الكرنك في مصر أرانا صفحات جدرانه لنطالعها فنقرأ فيها أخبار غزوات الفراعنة لهذه القبيلة التي يسمونها (روتنو) لأن اللام والدال تبدلان في اللغة الهيروغليفية بالراء والتاء فيقال في اللودان الروتان . مما يثبت ان سكان سورية حين غزا تحوتموس او (توطميس) الاول من الدولة الثامنة عشرة المصرية هذه البلاد سنة ١٦٥٠ ق م كانوا هم اللوديين او الروتيين لا غيرهم وان شئت فقل اللودان او الروتان .

وقد شمل اسم اللودان القبائل التي لم تخضع للمصريين . وكانت قبائلهم تقسم الى لودان المغرب او الاسفل وهم سكان دمشق هذه وما اليها وبلاد فلسطين . والى لودان المشرق او الاعلى وهم سكان سورية الشمالية وجزء من غربي ما بين النهرين . فلهذا كانت دمشق عاصمة اللوديين وحصنهم المنيع في (بلودان) اي بيت اللوديين وهي مشهورة بمناعتها الطبيعية فارتفاعها ٤٥٠٠ قدم . وموقع قلعة الشقيف على علو ٦٨١٠ — اقدام منها فهي تشرف على جميع المضايق والطرق التي تأتي منها جيوش الاعداء ولا سيا المصريين الذين حاربوهم . وكلمة الشقيف كلدانية بمعنى الصخرة وأرادوا بها الحصن المنيع كالصخر او المشيد على الصخر . ومثلها شقيف تيرون في جنوبي سورية

ولما استظهر المصريون على اللوديين وملكوا منهم وادي سورية اي سهل بعلبك والبقاع وما يتصل به اقاموا حصناً على مضايق وادي محفورة لدفع غزوات اللوديين لهم من دمشق وضواحيها وسموه (بريتان) اي بيت الروتيين بلغتهم المصرية كما سبق . وهي الى اليوم قرية عامرة . وقربها قرية (حور تعله) وهي مركبة من (حور) الاله المصري الذي يقابل (ابلون) عند اليونان و (تعله) بمعنى تعالى . مما يدل على نزول المصريين فيها واتخاذها هيكلاً لآلهتهم . ومن غريب ما قرأت في

تاريخ ابن عساكر ان خربة (حور تعله) من ضواحي دمشق كان فيها مسجد ينسب اليها وذلك يدل على ان نفراً من الروتيين جاؤا من بعلبك واستعمروها وسموها باسم بلدتهم كما هو الحال في كثير من التسميات مثل (تربل) في البقاع . فان سكانها في زمن الايطوريين (الجبليين) الذين غلبهم بومبي القائد الروماني في منتصف القرن الاول للميلاد وكانت حاضرتهم كلشيس او خلقيس (مدينة النحاس) اي عنجر اليوم في البقاع . امتد ملكهم الى السواحل فجاء نفر من جبل تربل او من مدينة طرابلس الشام وسكنوا هذه القرية فسموها باسم موطنهم الاول .

واذا أردنا التوسع قليلاً بامتداد الامة الروتانية في انحاء سورية نرى ان اسم (بيروت) يقرب من (بيت روت) فكأنها كانت تفرقهم البحري للدفاع عن بلادهم . وهذا أولى من تسميتها (بالآبار) كما يقول المؤرخون لان معظم المدن الساحلية لا ينابيع فيها بل آبار فقط فلماذا خصت بيروت بذلك الاسم دون غيرها ؟ . واسمها في الآثار المصرية (باروتا) وهو أقرب الى هــــذا الوجه منه الى الآبار .

ومن أوجه ما هنالك ان نهر الليطاني الذي يتخلل سهل بعلبك والبقاع ليس إلاّ تحريف كلمة لوداني او روتاني وان شئت فقل (لوتاني) فهو منسوب الى هذا الشعب القاطن في ذلك السهل الافيح وكذلك نهر البردوني المتخلل زحلة . ونهر بردى الذي ينساب في هذه المدينة يترجح انها من هذا الاشتقاق فقيل (نهر بيت روده) ثم نحت وابدل فصار برودى أو بردى وحذفت كلمة النهر . ويوجد في سهل بعلبك قريتا (حوش بردى) و (حوش النهب) والاسمان من أسماء نهر دمشق كما مر . وتوجد قرية برتي في جزين ايضاً وهي من هذا القبيل وقس عليها.

والمرجح ان اللوديين هم الذين شيدوا الحصون والمعاقل الفخمة في مشارف سورية وفلسطين مثل قلعة حلب وشيزر وحماة وحمص ودمشق وكرك الشوبك وغيرها لكثرة غزوات المصريين لهم . وكانت لهم عاصمتان عظيمتان هما (كركميش) المركبة من (كركو) اي حصن و (كموش) الاله القاهر . ومثلهـــا قرية (عرجموش) في البقاع قرب زحلة وهي خربة اليوم . وعرفت كركميش هذه باسم هيرابوليس اي المدينة المقدسة عند اليونان ثم حرف اسمها الى جيرابوليس فجرابيس كما هو الآن .

وعاصمتهم الثانية كانت قادش او قدس بمعنى المقدسة وهي على ضفة بحيرة باسمها تدعى الآن (قطينة) نسبة الى الحثيين الذين سمُّوا (كثيين) وهي في محل النبي مندو في جوار حمص حيث البعثة الاثرية الفرنسية تحتفر الآثار الدالة على حضارة تلك العصور[١] .

ومن البراهين الدامغة على صحة رأينا في هذه القبائل اللودية او الروتية ان الآثار المصرية لم تدوّن في ما دونته من اخبار غزوات ملوكها الاولين الا ّ اسم الروتنو اي اللوديين . ولم تذكر الحثيين والاراميين الا ّ في زمن الدولة التاسعة عشرة . وذلك لأن الحثيين استظهروا على اللوديين بعد ان دانوا لهم زمناً طويلًا ودفعوا لهم الجزية التي ضربوها عليهم فانتهز الاراميون – الذين امتزج بهم أبناء عمهم اللوديون – الفرصة للاقتصاص من غالبي أنسبائهم فضربوا الحثيين ضربات قاضية واشتهر ذكر الاراميين من القرن الثامن قبل الميلاد الى فتح اليونانيين البلاد في القرن الرابع قبله . فلذلك نقل الينا اليونان ذكر الاراميين في منازلتهم اياهم ولم يذكروا اللوديين لانهم كانوا قد اندغموا بهم وزالت مملكتهم بيد الحثيين كما مرّ .

وكان من تأثير غلبة اليونان للاراميين انهم بدلوا اسم بلادهم (أرام) باسم (سورية) كما سبق لنا تعليل ذلك في صدر المحاضرة فذكر هيرودوتس البلاد بهذا الاسم الجديد وشاع بيننا .

فلهذا كانت حضارة دمشق القديمة من قبائل العمالقة ولا سيما الجرجاشيين واليبوسيين كما مر ثم توالى عليها ملوك اللوديين والحثيين والاراميين واليونانيين والرومانيين الى الفتح العربي وتمازجت أصول تلك القبائل بالمصاهرة .

وكانت قبائل اليمن العربية قد اندفقت الى هذه البلاد على أثر اندفاق سيل العرم في بلادها اليمنية فكان منهم قبائل الضجاعم والغساسنة والقضاعيين والاياديين

---

(١) راجع صفحة ٣١٦ من الجزء العاشر لمجلة المجمع العلمي في سنتها الاولى هذه وهذا تفصيل ما وعدنا به هناك . ولقد جاءت بعثة افرنسية سنة ١٨٩٤م الى هذا المحل واحتفرته ثم عادت في ربيع السنة الماضية . واستأنفت عملها في خريف هذه السنة . وستزيل اكتشافاتها كثيراً من الالتباس والاشكال في تاريخ الامم اللودية والحثية وغيرها .

والايطوريين وغيرهم متخللين حكم تلك الدول بأماراتهم وملوكهم .

وغزا ملوك اشور وبابل هذه البلاد ولا سيا عاصمتها،دمشق هذه وكان تغلث فلاسر ثاني ملوك اشور قد حاصرها وافتتحها سنة ٧٣٢ ق م وجلا ثمانية آلاف من سكانها الى بلدة قير في العجم وقتل ملكها رصين. ثم حاصرها شلمناصر وضايق أهلها وقطع أشجارها .

وكانت الدول العبرانية قد طمحت نفسها اليها ففتحها داود الملك وحالفته ثم انتقضت عليه بارسال نجدة من قومها الى هدد عازر ملك صوبة الذي حاربه داود فاوغر ذلك صدره عليهم وقتل من ارامیي دمشق ٢٢ ألفاً واستولى على البــلاد وأقام محافظين في ارام دمشق فاستعبد سكان هذه المدينة الاراميون مدة طويلة للعبرانيين وأدوا الجزية لهم .

وكانت دمشق مدة بيد الاشوريين الى سنة ٧٢١ قم فاتفق سكان دمشق مع اليهود على الاشوريين ثم استولى عليها البابليون والفرس . وقال استرابون : ان دمشق كانت أشهر مدن سورية في الدولة الفارسية . وكثرت الجاليات الى دمشق من البلدان التي لها علاقة بفاتحيها . وانتقل بعض سكانها الى تلك الاصقاع سنة الله في خلقه ولا تجد لسنة الله تبديلا .

ولما ملكها اليونان كانت هذه الحاضرة مدينة عظيمة لا يفوقها الا انطاكية من بعض الوجوه .

وفي عهد استيلاء الدولتين اليونانية والرومانية عليها قدم كثير من رعاياهم وامتزجوا بسكانها وخفيت أصولهم الا بعض البيوتات التي حفظت انسابها مثل آل سرجون الذين تقدموا عند الدولة الاموية في ديوان الانشاء ومنهم نشأ القديس يوحنا الدمشقي الفيلسوف الشهير الملقب باسم نهر بردى (مجرى الذهب) كما سبق القول آنفاً . ويقال ان بيت هذه الاسرة الوطنية القديمة هو اليوم محل دير الآباء اليسوعيين قرب باب توما وان هذه الاسرة لها بقية في صافيتا تعرف فيها باسم آل الخوري لكثرة الكهنة الذين تسلسلوا منها .

وكان انقلاب عظيم عند تنصر اليونان والرومان في هذه المدينة ولا سيا في أيام تيودوسيوس الكبير الذي شدد النكير على الوثنية وابطل عبادة الاصنام وهدم بعض هياكلها ثم هدم ابنه اركاديوس بعض هيكل رامون في هذه العاصمة ثم رممه

وجعله كنيسة مار يوحنا المعمدان المعروفة اليوم (بمقام سيدنا يحيى) وفي وقت قصير تنصر أهلها كلهم ما عدا اليهود .

وفي سنة ٥٤٠م فتحها الفرس ودمروا معظم ابنيتها فزادوها خراباً ثم عادت بعد قليل الى الرومان وعمالهم الغساسنة فجددوا شيئاً من حضارتها وابنيتها .

ولما كان الفتح العربي سنة ١٣ ﻫ (٦٣٤ م) حدث انقلاب آخر في الحاضرة فهاجر منها واليها كثير من العرب والامم الاخرى التي فيها فتمازجت اصولهم. ولم يطل الوقت حتى هاجر كثير من سكانها ايضاً الى المغرب والاندلس . ثم نكب فيها العباسيون الامويين فخربوا مساكنهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فازدادت المهاجرة منها الى الاقطار السحيقة. وعند تشييد الجامع الاموي في زمن الدولة الاموية استقدم آلاف من الصناع البيزنطيين اليها وسكنوا فيها بأسرهم ونشروا فيها الصناعات الجميلة.

ولما كانت الحروب الصليبية وحوصرت الثغور والمدن رحل كثير من الاسر الاسلامية الى دمشق مثل آل النابلسي وبقاياهم فيها الى اليوم وقد سبقت الاشارة اليهم.

وفي خلال تلك العصور القديمة ومابعدها كثرت الفتن بين اليهود والسوريين الوطنيين. والقيسيين او المضريين واليمنيين . والامويين والعباسيين . والمشارقة والمغاربة . والسنة والشيعة. الى ان كانت حوادث الانكشارية والقبيقول فاضطرب حبل سكانها وهجرها كثير منهم وحل غيرهم محلهم من امكنة مختلفة.

ومن اكبر نكباتها غزوة تيمورلنك (الاعرج الحديدي) فضايق الدمشقيين وشدد عليهم وأمنهم حتى سلموا وبينهم ابن خلدون المؤرخ المشهور فكان من دهائه انه قال له : دعني اقبل يدك التي اناملها الاقاليم الخمسة. واراد بذلك انه كان فتح خمسة اقاليم. فدخل تيمور المدينة ولم يؤذها اولا ولكنه حاصر القلعة ونكث بوعده. فنكب الاهلين شر نكبة وسلب اموالهم واحرق البيوت وكان يعذب الامراء فيسقيهم الرماد ويعطيهم الماء والملح والكلس ويكويهم بالنار ليقروا له بأموالهم فاستخرجها منهم استخراج الزيت بالمعاصر . ثم امر بالنهب العام والسبي والفتك والقتل والاحراق والاسر على الاطلاق فمزق شمل السكان كل ممزق وسبى المخدرات وبقي على هذه الحالة من الضغط ثلاثة ايام فاحرق المدينة وغادرها ملتهبة غيظاً ونقل جميع صناع السيوف والزجاج والاواني الفاخرة والاعيان ففر من بقي من سكانها

خوفاً وبعد ان وثقوا بعدم عودته الى البلاد عاد قليل من السكان القدماء . وجاء المدينة اقوام من المدن الاخرى ولا سيا حماه فان كثيراً من سكان دمشق اصلهم منها منذ ذلك العهد وكذلك من الانحاء الاخرى .

وكانت الفتن قد كثرت في حوران ولاسيا بين القيسيين واليمنيين فقصدها كثير من الاسر المسيحية فلبثوا فيها مدة وبعضهم غادرها الى حمص وحماة وحلب وعكار والحصن ولبنان وغيرها. وهي اليوم معظم الاسر. وكثرت المهاجرة اليها الى لبنان على اثر الفتح العثماني في اوائل القرن السادس عشر للميلاد. فلهذا نشأت اصول اسرها وسكانها متمازجة في الغالب. فهي مختلفة الاجناس والمذاهب بين عرب وشراكسة واكراد وترك وفرس ويهود وكرج وقبط وسريان وارمن ويونان واوربيين. وبين هذه الاسر المختلفة كثير من ارباب النسب الصحيح واهل البيوتات المعروفة والبيوت العلمية على اختلاف فروعها ولاسيما الطبية فيقال ان آل بختيشوع المسيحيين لهم فيها بقية قليلة في الصالحية اليوم تعرف بآل الحكيم. وآل الرحبي من اطبائها المسلمين المشهورين نالوا منزلة رفيعة في خدمة مستشفياتها ومدارسها. واشتهر من غير هاتين الاسرتين كثير من اطبائها وعلمائها ومؤلفيها ومشاهيرها .

اما الصناعات فيها فكانت راقية كما سترى ولذلك ترى معظم اسماء اسرها مما يدل على صناعاتها القديمة مثل آل بولاد والسيوفي وجوهر وجوهري وسابكي وصيقلي وحداد ونحاس وقزاز ومباردي وقساطلي وساعاتي وهواويني ومنير وخوام ومواباتي وجوانحي وطرابيشي واشباهها وكلها مختلفة الاجناس والاصول والفروع والاسماء ملتبسة احيانا بصناعاتها المترافقة واصولها المتخالفة بما فصلته في كتابي (الاخبار المروية في تاريخ الاسر الشرقية) وهو في ثمانية مجلدات كبيرة لا تزال مخطوطة معدة للطبع .

« لها تتمة » عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجمع العلمي

رسالة تدبير المنزل لارسطو الفيلسوف

هي مقالة نادرة الوجود توفقت الى العثور عليها في مجموعة من مخطوطاتي فأحببت الآن نشرها بعد تقديم كلام عليها تعريفاً للمجموعة ولفن تدبير المنزل :

(١) وصف المجموعة

هي بطول ٢٣ سنتيمتراً وعرض ١٦ س ومعدل ما في كل صفحة منها ١٦ سطراً بخطوط مختلفة قديمة عليها مسحة من الطلاوة خشنة الورق خشبية الدفتين مغشاة بالجلد الاسود القديم شرقية التجليد جمعت مباحث مفيـدة في علوم الطب والطبيعيات والفنون والعمران ومزية اهم مقالاتها الابتداء بكلمة (العلة في كذا). وعناوينها بكلمة (الثمرة). في اولها خرم نحو كراسين وقبل آخرها خرم بضع صفحات وفي آخرها صفحة واحدة والباقي منها ٣٥٨ صفحة تؤلف هذه المجموعة المهملة الخط المحدثة التنقيط والتبويب على هوامش النسخة ولاسيا في اوائلها وعلى داخل الدفة الاولى ابيات شعرية طبية مشوشة توفقت الى قراءتها وفي آخرها هذه العبارة (وكتبه ابو السرور ابن الحكيم وهبه صاحب الكتاب). وعلى هامش احدى الصفحات هذه العبارة (ملكه من فضل ربه الحبيب نقولا عبد يوسف الطبيب ابن المروق الرجل النصراني الملكي المذهب ارثاً عن اجداده وذلك في سنة سبعين والف لابونا آدم[1] (كذا) عليه السلام) ومن قدم النسخة وشؤون اخرى استدللت ان هذا التاريخ اقدم وخط الحاشية احدث من خط الكتاب وكذلك ما على دفته. وقد احدث اعجامه تشويشاً في بعض الالفاظ اتصل (برسالة ارسطو هذه) فاصلحته. واليك وصف مباحث هذه المجموعة :

(١) رسالة في تعليلات الاسكندر الافروديسي A. Aphrodissi من اهل القرن الثالث للميلاد ومن معاصري جالينوس الاتي ذكره وممن اشتغل بكتب ارسطوطاليس وشرحها ورسالته ١٧١ مقالة صغيرة سقط بعضها بخرم الكتاب وكل منها يبتدىء بكلمة (العلة) ومنها اسمها .

---

(١) ولعله يريد للهجرة كما كان شائعاً وهذه السنة الهجرية تقابلها سنة ١٦٥٩ م. او انها تحريف لسني آدم .

(٢) ثمار المسائل الطبية على وجه آخر لثيوفرسطوس Theophrastus ابن اخ ارسطوطاليس وتلميذه وهذه الكلمة التي اشتهر بها هي لقبه لفصاحته اما اسمه الاصلي فهو تيرتاموس Tirtamus وقد توفي سنة٢٧٨ق م ورسالته في ١١٨ مسألة وله مؤلفات مشهورة وبعضها مفقود منها (تدبير المنزل) ذكره ابن القفطي وتجهل امره

(٣) ثمار مسائل ارسطوطاليس Aristotle الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ٣٢٢ ق م وهي في نسختي باسم (مابال). وقال ابن ابي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م) في كتابه (عيون الانباء) ان اسمها ايضاً (المسائل الطبيعية) وان عددها سبع عشرة مقالة واما في نسختي فهي خمس عشرة مقالة في الازمان والاهوية والامراض المتولدة بحسبها والعلاجات والعرق والخمر والسكر والتعب والاعياء والجلوس وشكله والمشاركة في الالم اي العدوى والنافض والبرد والقشعريرة والآثار الكائنة في الوجه وجميع البدن وخواص الحيوانات والصوت والطيب والروائح المتغيرة والامزجة والعلة وكلها جديرة بالنشر ولاسيما مقالة (العدوى) وله مؤلفات كثيرة اعتنى العلماء بشرحها ونشرها .

(٤) ثمرة من كلام جالينوس ويحيى في الترياق تبتدىء بكلمة (العلة) ايضاً . والاول هو كلوديوس جالينوس C. Galenus الطبيب المشهور المتوفى سنة ٢٠١م وله مؤلفات مطبوعة ومفقودة وبعضها انتحله. والثاني هو يحيى النحوي Gramaticus اليوناني الملقب فيلونيوس Philonius اي المجتهد وهذا فسر مقالات (مابال) المذكورة وعرب كتب جالينوس ومنها (جوامع كتاب الترياق) ولعله هذه الرسالة وكان معاصراً للفتح العربي في القرن السابع للميلاد .

(٥) كلام طبي لعيسى بن ماسويه وهو من علماء صدر الدولة العباسية الاول ومترجميه (٦) ثمار مسائل طبية على وجه آخر (٧) شروط القاء الادوية البسيطة في المركبة (٨) اليرقان وتعليلات مفيدة في مسائل طبية (٩) تعاليق الاغذية وتقسيم الادوية (١٠) ثمار المسائل الطبية (١١) الشعر (١٢) الروح والنفس (١٣) العطش (١٤) الحقن لجالينوس (١٥) الروائح (١٦) قوانين حسنة في الادوية والاغذية (١٧) ثمار مقالة ارسطوطاليس في تدبير المنزل التي ننشرها وهي في ست صفحات ونصف (١٨) مسائل في الحيوان فيها خروم قليل (١٩) تعليق املاه الشيخ

الفاضل أبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٣ م (٤٣٥هـ) في موضوع الصناعة الموسيقارية سقطت الورقة الاخيرة منها . هذه مواضيع الكتاب كلها سردتها هنا خشية أن تعبث يد الضياع بهذه النفائس .

(٣) علم تدبير المنزل

لقد عرف العرب الحكمة العملية واقسامها وذكروها في مؤلفاتهم ومما وقفت عليه من ذلك قول الامام عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف (بطاش كبري زاده) أي ابن الحجر الكبير المتوفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠م) في موسوعته (مفتاح السعادة ومصباح السيادة[1]) ما محصله :

ان للحكمة العملية أربع شعب : (الاولى) ان تتعلق بالشخص وحده وهي علم الاخلاق . و (الثانية) ان تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي علم تدبير المنزل . و (الثالثة) أن تتعلق باحوال أهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي علم السياسة . و (الرابعة) أن تتعلق بآداب الملوك ووظائف السلطان وآداب الوزارة والاحتساب وقود العساكر والجيوش وهي من فروع علم الحكمة .

واسترسل صاحب المفتاح هذا في وصف الشعب اصولها وفروعها مما لا محل لنقله الآن .

على ان موضوعي الآن هو في فرعين متداخلين (احدهما) علم تدبير المنزل او الاقتصاد المنزلي الذي يسميه الافرنج Economic domestique . و (الثاني) علم تدبير المدينة أو الاقتصاد السياسي ويسمونه Economic politique. ولقد عرّف الاول : انه علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالدين والولد والمالك والمملوك . واشتهر اليونانيون في هذا الفن وعرفوا أصوله وفروعه وألفوا فيه كتباً أشهرها عندهم كتاب زينوفون xenophon الفيلسوف المتوفى سنة ٣٥٥ق م والملقب بالنحلة لفصاحته . وكتاب ارسطوطاليس الفيلسوف وكتاب ابن اخيه

---

(١) لهذه الموسوعة نسخ مخطوطة افضلها نسخة العلامة احمد باشا تيمور وقد طبع في الهند سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م جزآن منها في نحو الف صفحة بقطع ربع كبير والجزء الثالث في النسخة التيمورية جدير بالطبع وهو من الدوحة السابعة الى آخر الكتاب وكله في آداب العرب وعاداتهم وربما عدت الى التبسط في هذا الموضوع .

تيوفرسطوس وقد مر ذكرها . وكتاب روفس الفيلسوف الافسي الذي كان قبل جالينوس المشار اليه فيما مر . وعرّب العرب هذه الكتب مثل غيرها في صدر الدولة العباسية فكتابا زينوفون وتيوفرسطوس مفقودان في ما نعلم أو نادران وكتاب أرسطو ننشره الآن وهو نادر وكتاب روفس نشرته مجلتا الضياء والمشرق[1] . وقد ألف العرب فيه كتباً ورسائل .

وعرّف الثاني : انه علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة وهذا كان عند اليونان عاماً ولهم فيه مؤلفات منها (تدبير المدن) لارسطوطاليس والف فيه العرب كتباً منها (السياسة المدنية) للفارابي الفيلسوف وغيره . وفي القرن السادس عشر للميلاد جمع أصول هذا العلم وخصصه شلي فعد فناً حديثاً وفيه مؤلفات كثيرة مثل قسيمه عند الافرنج اليوم .

أما الرسالة التي اخترتها اليوم لارسطو من هذا العلم فهذه هي بالحرف الواحد كما في المجموعة المومأ اليها وقد وضعت ما اصلحته منها بين هلالين لتميزه والله الهادي الى الصواب .

ثمار مقالة ارسطوطاليس
في تدبير المنزل

الفرق بين السياسة المنزلية والسياسة المدنية مماثل للفرق بين المنزل والمدينة فالمنزل (ذو رئاسة) واحدة والمدينة ذات رئاسات كثيرة. فتدبير

(١) نشرت مجلة الضياء اليازجية فصل المال والخدم من هذه الرسالة (٢ : ١٩٩ و ٢٤٣) . ثم نشرت مجلة المشرق اليسوعية الرسالة برمتها في المجلد السادس عشر منها وطلبت معارضتها بنسخة رسالة ارسطو في مدريد فكتبت مقالة ومعارضة لها في المجلد السادس عشر صفحة ٢٥٧ وفيه ارتأيت على قصر الباع ان مؤلفها هو (روفس) الذي ورد اسمه عرفاً ومصحفاً حتى تشوش أمره في كثير من الكتب القديمة والحديثة مثل (بروش) و(برسس) و (برولس) اذ لم نجد أحد هذه الاسماء في كتب التراجم أو التاريخ اما روفس فترجم كما مرت الاشارة اليه الآن وكفى بهذا شاهداً لترجيح هذا الرأي .

المنزل انما يتم بالسياسة المنزلية حسب[1]. والمدينة تتم بالشريعة والسياسة. والسياسة تختلف بكثرة الصناعات والنظامات. من الصناعات ما يستعمل موضوعها ولا يعمل كصناعة الزمر وآلات الغناء. ومنها ما تعمل وتستعمل. من جملة هذه الرئاسة المدنية فانها تحدث النظام وترجع فتعمله للانتفاع به. والرئاسة المنزلية تعمل بسياسة المنزل وتنتفع به. والرئاسة المدنية تكون مدينة تضمها المنازل وكورها وضياعها. وثبات النظام في جميع ذلك على نسبة. لتحسن الحياة وتطيب فان لم (تقو) على ذلك بسبب ما كانت تجمعه وتعجل فساده. ولان الجزء يتقدم الكل فالكل مركب من (اجزاء كثيرة.) ما يتقدم النظر في السياسة المنزلية على السياسة المدنية والمنزل يتم (بسكانه) وفيه. واول حاجاته (المرأة) والثور الحارث. فالثور الحارث مبدأ علة الغذاء. وبالمرأة تحفظ الحرية لان بها تتم الصيانة وحسن المعاونة. وأول العناية ينبغي ان ينتفع بالفلاحة ثم بالمعادن الارضية. والفلاحة اس الغذاء. وثمار الفلاحة لا تخرج طوعاً من نفسها من دون عناية منا ولا بالاكراه لها. وغذاء الكل اصله الارض وتسمى ام الكل بالطبع. والفلاحة تقع فيها ايضاً القوة لانها لا تعانى كما يعانى باقي الصناعات بالايدي حسب. لكن باجهاد جميع الجسم بقوى ناهضة فيه لان ثمار الفلاحة كثيرة ما اذا (اجبرت) تهلك. فلهذا يجب ان تقع العناية بالفلاحة لكيما يستمد منها عوض الهالك. فالعناية بالمرأة لان الذكر والانثى (مشتركان) بالطبع في المعاونة والايلاد.

(١) يستعمل (حسب) في هذا الكتاب بمعنى فقط .

وكل منهما يشتاق صاحبه طبعاً ومثل ذلك يوجد في سائر الحيوانات ولا يوجد احدهما (من) دون الآخر. فلمحبة الوجود يطلب كل منهما الآخر طبعاً ولهذا يشتركان ه[1]

والحيوانات تطلب طبع التأكيد بالاشتراك الذي من الذكر والانثى. فاما الانسان[2] بالعقل والفكر يضيف الى اشتياق طبع التأكيد حسن المعاونة ولا (يبغي) الاولاد لاتباع الطبيعة حسب. بل (يبتغيهم) للانتفاع بهم عند ضعف قوته وضعف حاله. ولهذا مما (يحن) عليهم عند التربية وبعد التربية (يخلف) الشخص من الشخص ليدوم بقاء النوع. ومع اشتراك الذكر والانثى جعل الخالق تعالى حالهما (متضادة) حتى يتوافقا في الافعال بان ينطاع الاضعف للاقوى. فالذكر (ذو نجدة) والانثى ذات (جبن). وذاك يجمع ماهو خارج المنزل. وهذه تحفظ ما في المنزل. وذاك يقوى على السعي خارجاً. وهذه تقوى على سعي الخدمة داخلا. وذاك تصححه الحركة وتسقمه الدعة. وهذه بالضد. والانثى مخصوصة بالاولاد والتربية. والذكر مخصوص (بالتأديب) والتقويم. ومنفعة احدهما بالآخر مشتركة. والشروط للمرأة على الرجل (اولا) تجنب ظلمها لكيما تتجنب ظلمه لتكون السنّة بينهما عامة مشتركة وظلمها ايثار غيرها عليها. و(ثانياً) (احسان) عشرتها في الحضور (والغيبة) فبهذا يتم (التحاب) بينهما.

واما زينتهما فقبيح ان تكون مفرطة لان نسبة الزينة في الاجسام نسبة

(١) علامة انتهاء الكلام مختصر (انتهى) (٢) سقطت الفاء

المداجاة في الاخلاق. كاان هذه قبيحة فتلك ايضاً. ومراعاة الزينة مافي مودات النفس. والواجب اطراحها الى طلب ماتتشارك فيه النفوس في المودة. ثم قنية العبيد للاستخدام في الامور الداخلة والخارجة. ومن العبيد من يوكل وهذا يأمر. ومنهم من يستخدم وهذا يؤمر. ومن المستخدمين من (يكون) عمله (صعباً) ولهذا يجب ان يوفر عليه الغذء. ولا يجب ان يعاشر الخدم (بالفظاظة) والافتراء ولا (بالاهمال). ولا يعودون الدعة المفرطة. والرؤساء منهم من يوفر عليهم الاكرام ويوفر على المستعملين الطعام. ولا يسقوا النبيذ الا قليلا لانه يغير الاخلاق المحمودة ويجعلها مذمومة. فكان بعض الملوك يمنع شربه في العساكر. ويتعلق بالعبيد استخدام وتأديب واشباع. فالاشباع مع ترك الاستخدام (والتأديب) بنظره. والاستقصاء في الاستخدام والتأديب ومع الغذاء صعب فيجب أن يوحدوا بالاستخدام اويوسع لهم الغذاء. فالمستعمل بغير اجرة كافية غير (منصف) واجرة العبد (الغذاء) وكاان (بمجازاة) الاجر على الافعال المحمودة يصلح. كذلك بمجازاة العبيد على الاستخدام وتفقدهم بالكسوة والغذاء والراحة والمراعاة بالادب ويستعمل ذلك معهم بقدر استحقاقهم قولا وفعلا مع فكر وتمييز كما يفعل الطبيب في اعطائه الدواء بقدر العلة.

ولا ينبغي أن يكون العبد المستخدم لا جبانا[1] ولا شجاعاً بل متواسطاً (كذا) لان الجبان لا صبر له والشجعان لا خضوع لهم. (وليشوفوا) بالعتق

(١) الاولى حذف حرف النفي (لا) من قبل كلمة (جبانا)

(ليحرضهم) على العمل (وليصبروا) فيه لنوائب الدهر. وليوعدوا بالتزويج (وتلوح) لهم الاسباب التي يتلذذون بها. واكثر الادّخارات هي لمصلحة الخدم لان حاجة المستخدم أقل من حاجتهم .

ومدير المنزل يحتاج في المال الى أربعة أشياء. أن يكون له قدرة على اقتنائه ثم حفظه بلا منفعة في جمع مالا يحفظ. ويكون مثل من يفعل هذا مثل من يطرح الماء في بحرة مثقوبة الاسفل . ويقتني من المال المثمر اكثر من غير المثمر حتى لا يؤثر فيه الانفاق ولا يستأصل بالخرج ويستودع ويخزن لمن له قوة على اثمار ه حتى ان ضاع منه شيء وقع الاخلاف له. وخزائن المال ينبغي (أن تكون صغاراً) ليتمكن صاحبه من مراعاتها في كل وقت والمراعاة نافعة في الحفظ. وعلى الرجل أن يراعي بعض الاشياء وعلى الامرأة بعضها . كما أن بعض آلة المنزل للامرأة وبعضها للرجل. (وتفقد مايفقد) في المنازل الصغار بخلاف مايفقد في المنازل الكبار كما في المنازل الكبار (تعجز) قدرة اهلها عن حفظها فيفوضون ذلك الى قوّام عليها يجرون مجرى ارباب المنازل في الحفظ . ويجب لارباب المنازل ان (يحدوا) لهم في ذلك حداً (يستنون) بهم فيه .

من المنافع في تدبير المنزل ان يكون ارباب المنزل (ينتبهون) من النوم قبل العبيد وينامون بعدهم حتى لا يخلو العبيد بالمنزل ولا يترك المنزل ايضاً عند النوم بغير حارس كما يفعل في حراسة المدينة ليلاً ونهاراً ويكون حفظ المنزل ليلاً أكثر فان ذلك اولى بالحكمة في تدبير المنزل

(واجود) في بقائه على السلامة. والمنازل الصغار يعد لها بمقدار حاجتها. والمنازل الكبار يعد لها ذلك. ويوزع على اهلها توزيعاً سنوياً وشهورياً. ولا ينبغي ان يدفع الاواني (التي) يحتاج الى استعمالها الى القوام في كل يوم دفعة واحدة بل شيئاً بعد شيء ويراعي ذلك ليعلم السالم من الهالك ويراعي العبيد بما (يؤدي) صحتهم كالحجامة وغيرها. ويراعي امر الخدم باسرهم الاحرار منهم والعبيد. والنساء والرجال. والغيّب والحضّر. والدواب، وتكون « الكسى « كثيفة » في الشتاء رقيقة في الصيف ويراعي أمر إدامهم ليكون الغذاء قوياً «ويختار » للمنزل بواباً من افضل الخدم واشدهم تيقظاً فهو الحافظ للدار باسرها. ويختار اصلح الاواني وابقاها على الاستعمال. ويكون كل صنف منها معلوم الموضع حتى لا (يتطلب) عند الحاجة بل يكون عتيداً.

تمت مقالة ارسطو طاليس في تدبير المنزل — يارب ارحم عبداً كتبه آمين.

المجمع العلمي عيسى اسكندر المعلوف

اخبار وافكار

اجوبة العلماء الاعلام المستشرقين

المنتخبين اعضاء شرف في مجمعنا

وهذا ما كتبه العلامة الدكتور د. س. مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير

اكسفرد ٥ تشرين اول سنة ١٩٢١

حضرة العلامة الفاضل والاستاذ الكامل مدير المجمع العلمي العربي في دمشق

سيدي بعد تأدية واجبات الاكرام ومزيد الاحترام والاعتراف بما لكم عليّ من المنن. فقد تأسفت تأسفاً لا يبلغه وصف عند وقوفي على تحيتكم المؤرخة في الـ ٢٢ من ايلول التي استفدت من مضمونها انه لم يبلغكم خطاب عبرت فيه عن الشكر الجزيل اللازم اداؤه الى المجمع العلمي لانتخابهم اياي عضو شرف حتى اعتزي الى زمرتهم وانتظم في سلكهم واشترك في اعمالهم واشغالهم. ولعمري لم افز طول عمري بمزية احب الى قلبي من تلك المزية. ولا هدية انفس عندي من تلك الهدية فقد قبلتها متشكراً مفتخراً مبتهجاً متبلجاً وارجو ان تمكنوني من تدارك ما فات واستقالة العثرات وعند ورود خطابكم المبشر اردت ان اوجه اليكم مستعجلاً بسبع مجلدات تشتمل على تواريخ القرن الرابع الهجري كان صديقي المرحوم المستر آمدروز شرع في طبعها فاكملتها انا بعد وفاته طبعاً وترجمة وانما حال دون ذلك تأخير حصل من جهة الناشر والآن لا يبقى سبب يقتضي تأخيراً وسارسلها ان شاء القادر بعد يوم او يومين وارجو ان تقبلوها قبولاً حسناً مستدلين بها على اننا نقدر حسن ظنكم بنا حق قدره واننا لم نزل على قلة معرفتنا باذلين جهدنا في ترقية العلوم الشرقية لازال مجمعكم العلمي ناشر لوائها ورافع علمها وموقد نيرانها ومكرم جيرانها والسلام.

المخلص

د. س. مرجليوث

وما كتبه ايضاً العلامة الدكتور ا . غولتزيهر المستشرق المجري الشهير .

التحية والتسليم لحضرات رؤساء المجمع العلمي العربي في دمشق حرسها الله تعالى

اما بعد بث جزيل السلام واداء واجب الاحترام فقد بلغتني مجلتكم الغراء بالاخبار عما اكرمتم الفقير باجتبائه عضواً ملقباً بالشرف من اعضاء مجمعكم المحترم مع هزيل بضاعتي المزجاة وقلة استحقاقي ذلك التشريف بيد اني منذ عنفوان شبابي ما ابرح محباً للعلوم المشتملة عليها ندوتكم مشتاقاً الى تحصيل فوائدها حسب طاقتي الضعيفة فانما مقصودي بكتابي هذا ان اقضي حق نعمتكم عليّ بان اعرض الى مقامكم العالي تشكري على عنايتكم .

وايضاً فان ورود سطوركم الكريم الذي تلقيته بالتبجيل والتعظيم اوقع في خاطري ذكرى ايام سلفت لي صحبة حبيبي علامة بلدكم المرحوم الشيخ طاهر بن الشيخ صالح الجزائري زمان كوننا كلانا في عهد الشباب وما كان بيننا من الالفة والمودة مدة استقامتي في دمشق الشام ذات الثغر البسام سنة ١٢٩٠ — اذ كان حبل وفائه موصولاً بحبلي غير منقطع طول انفرادنا وقد احفظ في ذخائري تحف مكاتيبه الفصيحة المرسلة منه اليّ اولها بتاريخ جمادى الاولى عام ١٢٩١ وهلم جراً رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وارجوكم ان تتفضلوا بقبول جليل الثناء والاحترام . من كاتبه الفقير

تحريراً في ١٥ اكتوبر من شهور سنة ١٩٢١ خادم العلوم الشرقية في جامعة بودابست عاصمة المجر

Dr Ignace Goldziher

المرحوم الدكتور ايغناز غولتزيهر

Dr. Ignax Goldxiher

فجعت الآداب السامية بل العربية عامة ومجمعنا خاصة بفقد هذا العلامة المستشرق المجري احد اعضاء مجمعنا الشرفيين . ومما يزيد اسفنا انه كتب الينا الرسالة المنشورة في هذا الجزء ثم فاجأنا نعيه فكان فقده خسارة عظيمة للآداب السامية والمباحث الشرقية وهذه لمعة من ترجمته رحمه الله :

ولد هذا العلامة الاسرائيلي المجري في مدينة Szekesfehervar المكاربة في ٢٢ حزيران سنة ١٨٥٠ وتلقى علومه العالية في جامعات بودابست وليبسك وبرلين

وتخرج في العلوم الشرقية بالاستاذ ارمنيوس فمبري وكلف بدرس اللغات السامية ولاسيا العربية فاتقن كثيراً منها وساح في القطر السوري على نفقة الحكومة المجرية سنة ١٨٧٣ وفي فلسطين ومصر سنة ١٨٧٦ واجتمع بكثير من علماء هذه الاقطار وتلقى آداب العربية والعلوم الاسلامية على شيوخ الجامع الازهر في القاهرة . ولم يقف عند هذا الحد بل اكبّ على الدرس والتبحُّر في العربية والعلوم الاسلامية وبقية اللغات الشرقية حتى صار ثقة المستشرقين المعاصرين في هذه العلوم واكثرهم تبسطاً فيها . وانتظم في سلك عضويات معظم المجامع العلمية الشهيرة والجمعيات الاسيوية والمؤتمرات الشرقية فكان عضو شرف ومراسلاً وعضواً عاملاً فيها . وانتخب عضو شرف للمجمعين العلميين المصري والسوري .

ولقد تولى اعمالاً علمية كثيرة اظهر فيها نبوغه واضطلاعه ونال لقب دكتور شرف من جامعتي ابردين وكمبردج . وكتب مقالات رائعة في المجلات الاسيوية والعربية ومباحث كان رأيه فيها سديداً وسهم ظنه غير طائش. وخطب في المؤتمرات العلمية منها خطابه على مذهب داود الظاهري في جمعية المستشرقين في ليدن (هولندة) في ايلول سنة ١٨٨٣ : وذكر شروعه بطبع الكتب المختصة بداود الظاهري وبابن حزم ولاسيا (المحلّى) ومنها خطابه في (المراثي عند العرب) الذي القاه سنة ١٩٠٢ في مؤتمر همبورغ وهو الثالث عشر من مؤتمرات المستشرقين. واتقن اصول اللغات السامية عامة والعربية خاصة . واشتهر بتحقيقه في تاريخ الاسلام وعلومهم .

اما مؤلفاته فكثيرة ومعظمها مبني على البحث والتنقيب ولاسيا في اللغة العربية والاسلام اخصها الشرع الاسلامي والحديث الشريف. واكثر كتبه وضعها باللغات الالمانية او الفرنسية او الانكليزية . ومن اقدمها كتابه في (اليهود) المطبوع في مدينة ليبسك سنة ١٨٧٠ وبحثه في (آداب الجدل عند الشيعة) طبع بالالمانية سنة ١٨٧٤ و (الاساطير والمتولوجية عند اليهود) طبع في ليبسك سنة ١٨٧٦ وترجم بالانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٧٧ . وكتاب (في الاسلام) طبع في بودابست بالالمانية سنة ١٨٨١ ونقل الى الفرنسية . و (درس في الاسلام) بالالمانية طبع في هل سنة ١٨٨٥ – ١٨٩٠ في مجلدين . و (بحث فلسفي في اللغة العربية) بالالمانية

طبع في مجلدين . ونشر ديوان الحطيئة مترجماً اياه ومعلقاً عليه شروحاً في ليبسيك سنة ١٨٩٣ و (كتاب محمد بن تومرت) و (معاني النفس) و (مقالة لكاتب اسرائيلي في اسماء الله الحسنى وصفاته تعالى) طبعت في بردابست سنة ١٩٠٩ في ٢٩صفحة والف بالالمانية رسالة (التقية في الاسلام) ونشرها ملحقة بالمجلة الالمانية الشرقية. والف بالافرنسية رسالة (اللامساسية) المتعلقة بمسألة السامري وعجل الذهب ونشرها في المجلة الافريقية ثم طبعها على حدة .

وكثيراً ما سمع من بعض المستشرقين ان علماء العرب مقصرون في تمحيص الرواية ومعرفة اقدار الرواة في اصول علم الحديث وقواعد الجرح والتعديل فعزم سنة ١٩١٢ على وضع كتاب في هذا المعنى يكشف القناع عن الحقائق ويظهر عناية العرب في التمحيص والتحقيق وبينما هو يرصد المعدّات لعمله ظهر كتاب (توجيه النظر الى علم الاثر) لفقيد العلم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري من اعضاء مجمعنا العاملين ولما رأى مافيه من التحقيق واصابة الغرض الذي كانت ترمي اليه نفسه سروقال: (لقد كفانا الشيخ طاهر مؤونة التأليف بهذا الموضوع) وترجمه بالنمسوية .

وسنة ١٩١٣ نشر رسالة في (الحسين بن منصور الحلاج) انتقد بها كتاب (الطواسين) الذي نشره المسيو لويس ماسينيون الفرنسي من اعضاء مجمعنا الشرفيين فتكلم في نقده هذا باسلوب لم يسبق اليه. وسنة ١٩١٦ نشر (كتاب المستظهري) أو (فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) للامام ابي حامد الغزالي الشهير الذي اهداه الى الخليفة المستظهر بالله العباسي ونسبه اليه فطبع في ليدن(هولندة)مصدراً بمقدمة في ٨١ صفحة . وكتب عنه فصلاً مطولاً باللغة الالمانية في ١١٢ صفحة الى غيرها مما نقتصر منه على ما ذكر . وما زال مثابراً على المطالعة والتأليف والترجمة حتى استأثرت به رحمة ربه في اثناء هذا الشهر فشق على الادب واصدقائه نعيه عزّى الادب بفقده .

ع ٠ ا ٠ م

مطبوعات حديثة

كتاب الخراج لابي يوسف ومجلة سوريا

لقد عني سعادة الجنرال غورو المفوض العالي للجمهورية الفرنسية في سورية برفع منار عمرانها فوكل الى مكتب الآثار القديمة والفنون الذي يترأسه المسيو ڤيرولو في المفوضية العليا في بيروت ان ينشر كتباً مفيدة عن بلادنا ومجلة تبحث في تاريخه وآثاره وعمرانه بادارة كبار العلماء مثل بوتيه وميجون ودوسو. فنشر هذا المكتب الآن كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب بن ابرهيم الانصاري المتوفى سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨م) فترجمه باللغة الفرنسية ترجمة مضبوطة وعلق عليه حواشي المسيو فانيان المشهور بمؤلفاته عن العرب وآدابهم وطبعه في باريس سنة ١٩٢١ الحالية فكان اول مطبوعات هذا المكتب وذيله بفهارس وتعاليق مفيدة ملأت ٣٥٢ صفحة بقطع ربع كبير.

وأصدر ذلك المكتب مجلة سوريا Syria النفيسة فملأها بالمباحث الاثرية الفنية والعلمية الشرقية مدبجة بصور بديعة الطبع والورق كثيرة الفوائد في تاريخ الامم القديمة ولاسيما العرب منها وآثارهم وقد ظهرت منها السنة الاولى وبعض الثانية الى الآن وهي مطردة الظهور باوقاتها بادارة اولئك العلماء الاعلام في باريس فطالعنا فيها المقالات الرائعة ورأينا الرسوم البديعة عن آثارنا وابنيتنا .

فنشكر لحضرة رئيس المكتب المشار اليه والعلماء الذين يتولون تأسيس هذه المشاريع المفيدة همتهم وسعيهم لنشر مثل هـــذه السلاسل الادبية العلمية ونحض المواطنين على مطالعة الكتاب والمجلة .

تاريخ سوريا باللغة الفرنسية

عرف العلامة الاب لامنس اليسوعي بتدقيقه في مباحثه التاريخية ولاسيما عن بلادنا وآثارها وشؤونها ولهذا كان الجزء الاول من كتابه هذا LaSyrie الذي بحث فيه عن سوريا ودولها ولا سيما عن العرب وحضارتهم وملوكهم متتبعاً الآن

بالحروف الصليبية ولقد طالعنا كثيراً من فصوله فاعجبنا بتدقيق مؤلفه وتقصيه في البحث احياناً مع اختصار الكتاب فحبذا لو ترجم باللغة العربية لتعم فائدته في المدارس والبيوت . متوقعين ان يتحفنا بباقي الاجزاء على هذا النمط البديع . شاكرين له عنايته بوطننا وحاثين على اقتناء الكتاب الذي طبع في مطبعة رهبنته في بيروت في ٢٨٠ صفحة بقطع ربع متوسط .

مجلة الكلية

اهدي الينا الجزء الاول من المجلد الثامن لهذه المجلة التي تنشرها الجامعة الاميركانية في بيروت وكان قد ظهر منها خمسة مجلدات قبل الحرب باللغتين العربية والانكليزية وفيها المقالات المفيدة والمباحث الجديدة وعطلت في اول الحرب العامة مثل غيرها من المجلات والصحف . واعيدت في اول سنة ١٩٢٠ بالانكليزية فقط نشرة نصف شهرية بثماني صفحات . ثم ظهرت في العام الماضي شهرية في ثمانية اجزاء .

والآن اعيدت الى طرازها الاول قبل الحرب فظهرت شهرية بشكل كراس ثلاثة ارباعها باللغة العربية في ٤٨ صفحة والربع بالانكليزية في ١٦ص. ولقد طالعنا فيها كثيراً من المقالات اللغوية والعلمية والاجتماعية وسررنا بعودتها لخدمة الصحافة والعلم فنشكر القائمين بها اطيب الشكر ونطلب لها الرواج الجديرة به .

مجلة البدر

انشأها مؤسسو جمعية (الجامعة الزيتونية) في تونس (المغرب) وهي شهرية علمية ادبية تبحث في فلسفة الدين وتطورات العلم والاجتماع . وسنتها عشرة اشهر وقيمة الاشتراك بها ٣٠ فرنكاً في داخل المملكة و ٤٠ فرنكاً خارجها وكل جزء في ٧٢ صفحة بقطع ربع تصفحنا جزئيها الاولين فرأينا فيها مباحث رائعة ومقالات ممتعة تزينها الرسوم وكذلك وصف مخطوطات نقلت عنها بعض الرسائل وتراجم المشاهير وغيرها مما يحمل على شكر ناشريها والدعاة لها بالرواج والانتشار .

خلاصة

عن مجمعنا واعماله في اثناء السنة

لقد اشرنا الى شيء من ذلك في ما مضى والآن نجمل الكلام احاطة بالموضوع.

اعضاؤه العاملون — ان اعضاءه العاملين هم الآن اربعة: الشيخ سعيد الكرمي وانيس افندي سلوم والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى افندي اسكندر المعلوف.

اعضاؤه الشرفيون- مرذكرهم في تضاعيف مقالات المجلة ولاسيما في صفحة ٣٠

اصلاحه للكتب — أصلح اعضاء المجمع كثيراً من الكتب التي عرضها عليه مؤلفوها ولاسيما بعد ان قرر مجلس المعارف الكبير برقم ١٦٢ وتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٩٢١ أن تحال الكتب المدرسية الى المجمع العلمي ليصحح اسلوب انشائها. فاصلح كثيراً منها قد طبع وهاك اسماء بعضها (مع حفظ الالقاب) مرتبة بحسب مواضيعها. فمن الكتب الزراعية الجزء الثاني من دروس الزراعة لوحيد ايش ومحمد اديب. ومن الدروس المدنية المعلومات المدنية لعبد الفتاح ملحس وآخر لوحيد ايش. ومن الدروس الهندسية كتابان لوحيد ايش ومحمد مصطفى وكتاب لوحيد ايش ومحمد اديب. ومن دروس القواعد كتاب في النحو لمحمود الكرمي. ومن دروس الجغرافية ثلاثة كتب لعبد الغني باجقلي ومحمد اديب. وهي للدرجات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من صفوف المدارس.

اصلاحه لغة الكتاب—لقد نشر المجمع على صفحات هذه المجلة وغيرها من الصحف مقالات (عثرات الاقلام) ولا يزال يتابع نشرها بما ضاق عنه نطاق هذه المجلة وسيطبعها بكتاب على حدة. على ان بعض الكتاب قد قلدنا في اتخاذ هذا العنوان لمقالاته فالمرجو ان يستبدل به غيره دفعاً للالتباس كما اعلنا ذلك في الصحف.

وشرع مؤخراً في (الوضع والتعريب) فاذاع نشرة يطلب فيها من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس ان تنبئه بما تحتاج اليه من الالفاظ وضعاً وتعريباً فارسل بعضها اليه طائفة من الالفاظ التي يشتغل فيها الآن وسينشرها بعد عرضها على لجنة انتخبتها الحكومة من الاخصائيين لتقرير مايوافق واثبات ماهو الأولى.

نشر بعض الكتب وهو آخذ ايضاً بتصحيح كتاب (قانون البلاغة لمحمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة ٥١٧ هـ ورسالة (الازمنة) لمحمد بن مستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وليس لهذه نسخة ثانية الا في المتحف البريطاني في ما نعلم. وغيرها من (الرسائل والكتب) والتعليق عليها وطبعها ونشرها. فنرجو ممن لديه افادات عن مثل هذه النوادر ان يتحفه بها.

القاء المحاضرات — ولقد اعتنى اعتناء خاصاً بالقاء محاضرات لغوية وعلمية وأدبية واجتماعية من قبل اعضائه او ممن يدعى من الادباء وذلك في ردهة المجمع الكبرى كل اسبوعين مرة. وكان يعلن ذلك في الصحف قبل بضعة ايام ليعرف موعد القاء كل محاضرة. وهذا بيان ما ألقي حتى الآن في ردهته :

(١) — محاضرة في (معلقة طرفة بن العبد) للشيخ عبد القادر المغربي من اعضاء المجمع العلمي يوم الاحد في ١٧ نيسان سنة ١٩٢١ نشرت في الجزء السابع من المجلد الاول من مجلة المجمع صفحة ٢٠٣ — (٢) — (الحسبة في الاسلام) للاستاذ محمد افندي كرد علي رئيس المجمع ومدير المعارف العام ليلة الجمعة في ١٦ حزيران نشرت في الجزء التاسع ص ٢٥٧ - (٣) — (احياء اللغة العربية) لمتري افندي قندلفت من اعضائه (اذ ذاك) ليلة الجمعة في ٢٤ حزيران — (٤) - (الحمى الرزغية وكيفية الوقاية منها) للدكتور مرشد افندي خاطر من اعضاء المجمع الشرفيين ليلة الجمعة في اول تموز. نشرت في الجزء السادس ص ١٨٠ — (٥) — (بماذا يكون انتظام المجتمع الانساني) للشيخ سعيد الكرمي نائب رئيس المجمع ليلة الجمعة في ٧ تموز نشرت في الجزء الثامن ص ٢٢٥ (٦) (الشعر وتأثيره في الاخلاق) للاستاذ الشيخ عبد الرحمن افندي سلام من اعضاء المجمع الشرفيين. الخميس في ١٤ تموز — (٧) — (العلم) للاستاذ انيس افندي سلوم من اعضائه. الخميس في ٢١ تموز - (٨) — (القضاء في الاسلام) لعارف بك النكدي مفتش العدلية واستاذ الاجتماع في معهد الحقوق. الجمعة في ٢٩ تموز — (٩) — (جباية الشام في الاسلام) للرئيس محمد افندي كرد علي. الجمعة في ٢٦ آب نشرت في الجزء العاشر ص ٢٩٨ و ١١ ص ٣٢٩ و ١٢ ص ٣٥٩ (١٠) (الحقوق المدنية في الشرق) للشيخ سعيد مراد الغزي استاذ المجلة

في معهد الحقوق. ليلة الجمعة في ١٣ تشرين الاول. (١١) — (حقائق تاريخية عن دمشق وحضارتها) لعيسى افندي اسكندر المعلوف من اعضائه نشرت في الجزء الـ١١ ص ٣٤١ والـ١٢ ص ٣٧٠ ولها تتمة تنشر في اول السنة الثانية للمجلة . ليلة الجمعة في ٢٧ تشرين الاول . (١٢) —(أحسَنُ بن الحلاج) للشيخ عبد القادر المغربي ايضاً. ليلة الجمعة في ١٠ تشرين الثاني. (١٣) - (العمل بالعلم) لانيس افندي سلوم ايضاً. ليلة الجمعة في ٢٤ تشرين الثاني . (١٤) - (صناعة الانشاء العربي) للشيخ سعيد الكرمي ايضاً . ليلة الجمعة في ٨ كانون الاول .

المكتبة الظاهرية التي تحت نظارة المجمع وادارته ان المكتبة الظاهرية التي مرّ وصفها في هذه المجلة صفحة ٨ قد اعتنى بها مجمعنا عناية خاصة . حتى تضاعف عدد كتبها المطبوعة والمخطوطة . ثم جلب اليها في هذه السنة ٣٥٨ مجلداً من مطبوعات اوربة ومصر وسورية ومعظمها من كتب الادب والتاريخ والاجتماع . الخ . وقد ابتاع لها ايضاً كثيراً من النوادر مثل كتب مذهب الاباضية منها تفسير القرآن العظيم المسمى «هميان الزاد» في اثني عشر مجلداً كبيراً وكتاب « قاموس الشريعة » من مطبوعات زنجبار . و «لغة المغرب العامية» في مجلد مخطوط . واهدي اليها ٥٢٠ مجلداً بعضها مخطوط والآخر مطبوع مرت الاشارة الى اكثرها في مجلتنا صفحة ٦٤ و ٦٥ و ٢٨٠ و ٣١٧ و ٣١٨ واهدى المرحوم يوسف بك السبع كتاباً قديماً في الصلوات باليونانية نسخ في القرن الثالث عشر للميلاد. واهدي بواسطة مجلس المعارف كتاب مخطوط في «عقيدة الدروز» . ومما ابتاعه المجمع شرح المفصل لابن يعيش طبع اوربة والمجلد الحادي عشر من دائرة المعارف البستانية العربية فتم به ما طبع منها. وكتاب «المبسوط» للسرخسي في ثلاثين مجلداً من كتب الفروع في مذهب الامام ابي حنيفة . وتتمة اربعة عشر مجلداً صبح الاعشى للقلقشندي . واستنسخ كتاب «الازمنة» لقطرب وكتاب (الانصاف والتحري) في الدفاع عن المعري لابن العديم الحلبي المعروف بابن ابي جرادة المتوفى سنة ٦٦٠هـ وسينشرهما في المجلة او على حدة.

واهدى اليه مؤخراً احمد باشا تيمور فهرست المكتبة الخديوية في عشرة مجلدات.

مكتبة المجمع الخاصة ـ اشترى المجمع لمكتبته في هذه السنة ٣٩١ مجلداً من مصر وأوربة والبلاد الشرقية . عدا ما طلب شراءه من النوادر باللغات الشرقية والغربية . ومما اهدى اليه سعادة احمد تيمور ستة مجلدات من مطبوعات مصر العربية في العلوم . ووزارة المعارف الفرنسية الجليلة ٧٨ كتاباً من النفائس مر وصفها في صفحة ٢٨٠ وفخامة المارشال ليوتي حاكم مراكش الافرنسي ١٥ كتاباً . والمستشرق الدكتور مرجليوث ثلاثة مجلدات من تجارب الامم لابن مسكويه . وعيسى اسكندر المعلوف من اعضاء المجمع خمسة كتب من مؤلفاته ومؤلفات جميل بك المعلوف نسيبه وكانت باللغات العربية والافرنسية والانكليزية .

المتحف الذي تحت نظارة المجمع وادارته ـ لقد مر شيء من وصف محتوياته ومما اهدي اليه بواسطة مديرية المعارف بقية آثار ذات شأن كان البارون فون سودن والدكتور فيوله الالمانيان قد اخرجاها من القبة القائمة في صحن دار الجامع الاموي الكبير سنة ١٩٠٨ وهي رقوق كثيرة مهمة من اسفار قديمة مسيحية وعبرانية باللغات الآرامية الفلسطينية واليونانية والعبرانية والقبطية والحبشية والعربية وبعضها قد جندر أو طُرّس اي محيت كتابته الاولى وكتب عليه ثانية ونقلاها الى الاستانة فاهدي قسم منها الى الالمان فنقلوه الى برلين . واستعيدت بعض هذه القطع فاتصل بالمتحف منها في ٢١ آذار الماضي ثلاث مائة وتسع وثلاثون قطعة وكلها نفيسة .

ومن محتوياته اشياء نفيسة تختص بالمحمل الشريف وكسوته وصناديقه . وقطعة نقود ذهبية بيزنطية من قطنا والدنانير الذهبية المضروبة في دمشق وقد مر وصفها في صفحة ١٦ . وعشر علب مقوّى ضمنها مخطوطات سريانية وكوفية وعبرانية وقبطية من دائرة المعارف . وهدية الدكتور حسن افندي رعد الطرابلسي . وهدية السيد سمير الدردري من النقود وهدية المرحوم يوسف بك السبع التمثال الصغير وغيرها مما سنعود الى تفصيله .

★★★

شكر للعلماء والصحف

نشكر من صميم الفؤاد حضرات العلماء الاعلام الذين وازروا مجمعنا بمراسلاتهم ومقالاتهم ومحاضراتهم وهداياهم والصحف الغراء التي ذكرت المجمع ومساعيه في ترقية اللغة والآداب العربية ولاسيما تناقلها «عثرات الاقلام». والتي اشارت الى مجلة المجمع واستحسنت خطتها حتى كان ذلك من اسباب طلبها من الاقطار الاميركية والهند وغيرها.

ونشكر ايضاً الذين شهدوا الجلسات العامة في الابحاث اللغوية والعلمية والتاريخية. وحضروا المحاضرات باوقاتها واشتركوا بالمجلة ونشروها بين ظهراني القوم مؤازرتهم. ونتوقع ان نتلقى في السنة القادمة كثيراً من المقالات اللغوية والعلمية والتاريخية. ووصف المخطوطات والمكاتب مما له علاقة بموضوع المجلة فنحله محله من صفحاتها وماتأخر نشره سينتشر في السنة القادمة ان شاء الله . كما اننا نرجو معاضدة المجلة ونشرها ثم نكرر اسفنا على من فقدنا من العلماء الذين انتظموا في سلك اعضاء مجمعنا العاملين والشرفيين وترجمناهم . رحمهم الله .

رجاء

المرجو من اعضاء مجمعنا العلمي العربي الشرفيين في كل قطر ان يتحفنا كل منهم برسمه الشمسي الواضح وترجمة حياته مفصلة بالسنين واسماء مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة وما يتعلق بذلك لنحفظه في سجل مجمعنا الخاص مع اتحافنا بمؤلفاتهم المطبوعة ولا نظنهم الا فاعلين ان شاء الله .

ختام المجلد الاول

نحمد الله على ما منّ به علينا من التيسير في العمل بمعاضدة الحكومة الجليلة وارباب الفضل والعلم حتى انجزنا المجلد الاول من المجلة بحسب الطاقة . عاقدي النية ان نزيد المجلة تحسيناً في سنتها الثانية بتوسيع حجمها والتبسط في مواضيعها ونشر نوادر الرسائل والكتب ووضع بعض الرسوم اذا تيسر نقشها باتقان . الى غير ذلك مما نترقى به معها تدريجاً عاماً فعاماً . فنجاري الفطرة . والله نسأل ان يؤازرنا بعنايته انه السميع المجيب .

الفهرس الاول العام لمجلة المجمع العلمي

(مرتب على حروف المعجم)

* * *

الفهرس الثاني للاعلام من كتبة مقالاتها ومراسليها

« على حروف المعجم حسب اسرة الرجل غالباً »

* * *


Bibliotheca Alexandrina
06552804